اليوبيل الفضي لإعادة تأسيس الإيبارشية ١٦٩٢ . ١٧١٧ ش، ١٩٧٦ . ٢٠٠١م

ⲔⲈ

مطرانية ملوى وأنصنا والأشمونين للأقباط الأرثوذكس

Coptic Orthodox Diocese of MALLAWI

HERMOPOLIS & ANTENOEPOLIS

25

٢٥

موسوعة الأنبا بيمن

المجلد الثامن

التربية المسيحية

تقديم

الأنبا ديمتريوس

٢٥ عام

مطرانية ملوى وأنصنا والأشمونين للأقباط الأرثوذكس

Coptic Orthodox Diocese of MALLAWI

HERMOPOLIS & ANTENOEPOLIS

ⲕⲉ

25 ٢٥

موسوعة الأنبا بيمن

المجلد الثامن

التربية المسيحية

تقديم

الأنبا ديمتريوس

اســــــم الكتــــــــاب : **المجلد الثامن من موسوعة الأنبا بيمن**
التربية المسيحية
اســــــم المؤلــــــــف : **المتنيح الأنبا بيمن**
اســــــم المطبعــــــــة : مطبعة مطرانية ملوى .
جمــــــع تصويــــــــرى : بمطرانية ملوى
رقـــــم الايـــــــداع : ١٥٩١ / ١٩٧١
الطبعـــــــــــــــــة : طبعة تذكارية بمناسبة اليوبيل الفضى
لإعادة تأسيس الإيبارشية

Ⲡⲁⲡⲁ Ⲁⲃⲃⲁ Ϣⲉⲛⲟⲩϯ

Ⲡⲓⲙⲁϩ ⲅ̄ (ⲡⲓⲙⲁϩⲣ̄ⲓ̄ⲍ̄)

H.H.Pope Shenouda III , 117th

Pope and Patriarch of Alexandria and the See of St. Mark

قداسة البابا شنودة الثالث

مثلث الرحمات نيافة الحبر الجليل

الأنبـا بيمــن

Ⲁⲃⲃⲁ Ⲇⲏⲙⲏⲧⲣⲓⲟⲥ

Ⲡⲓⲉ̀ⲡⲓⲥⲕⲟⲡⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ Ⲙⲁⲛⲗⲁⲩ ⲛⲉⲙ Ⲁⲛϯⲛⲱⲟⲩ ⲛⲉⲙ Ϣⲙⲟⲩⲛ

H.G.Demetrius

Bishop of Mallawi, Hermopolis & Antenoepolis

الأنبا ديمتريوس أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين

مقدمة طبعة اليوبيل الفضى

لإعادة تأسيس الإيبارشية

لحياة ومؤلفات نيافة الحبر الجليل مثلث الرحمات

الأنبا بيمن

أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين

يسعدنى فى مناسبة اليوبيل الفضى لإعادة تأسيس الإيبارشية وتجليس نيافة **الأنبا بيمن** أسقفاً لها فى ١٩ / ٦ / ١٩٧٦م أن أقدم هذه الطبعة فى شكل موسوعة لحياته ومؤلفاته فى ثلاثة عشر مجلداً .

والتى تظهر مدى إخلاصه وتفانيه فى خدمة الكنيسة بوجه عام وكذلك دوره الكبير فى خدمة الإيبارشية ونهضتها روحياً واجتماعياً وتنموياً .. وفى كل المجالات . نيح الله نفسه البارة فى فردوس النعيم ونفعنا الله بصلواته وسيرته المباركة وأقواله ومؤلفاته وعظاته البناءة . وليعيننا الله كما أعانه لنكمل أيام غربتنا بسلام .

بصلوات الجالس على عرش القديس مارمرقس الإنجيلى قداسة البابا المعظم **الأنبا شنودة الثالث** والذى إليه يرجع الفضل فى تركيز الرعاية والخدمة فى هذه الإيبارشية التى كانت قبل خمسة وعشرون عاماً جزءاً صغيراً من إيبارشية المنيا والأشمونين والتى كانت تمتد من سمالوط شمالاً إلى ملوى جنوباً .

بنعمة الله

ديمتريوس

أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين

محتويات الكتاب

(المجلد الثامن من الموسوعة)

مقدمة طبعة اليوبيل ....

١. تقديم الكتاب ١٦٣٧

٢. الفصل الاول ١٦٤٣

٣. الفصل الثانى ١٦٧٣

٤. الفصل الثالث ١٧٣٣

٥. الفصل الرابع ١٧٩٩

٦. الفصل الخامس.. ١٨٩١

التربية المسيحية

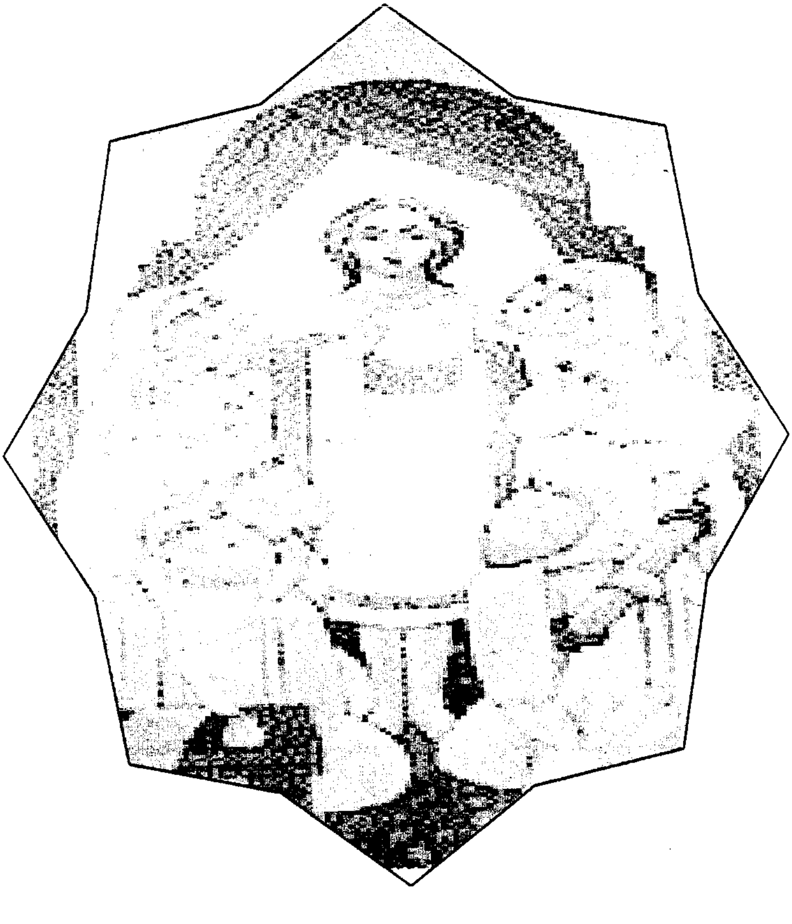

تقديم الكتاب

لحضرة صاحب النيافة الأنبا شنودة

من هو المعلم ومن هو المربى؟

المسيح إلهنا هو المعلم الصالح ، هكذا كان يُلقب ، وهكذا كان يعمل ، وهكذا قال عن نفسه " معلمكم واحد المسيح " (مت ٢٣ : ٨) " ويكون الجميع متعلمين من الله " (يو ٦ : ٤٥) وعندما صعد المسيح له المجد أرسل لنا الباراقليط ، روح الله القدوس لكى يعلمنا ويرشدنا إلى جميع الحق (يو ١٦ : ١٣) .. عندما يكون تعليمنا صادراً عن الله ، نضمن سلامة التعليم . هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن تعليم الله مزود بقوة منه للتنفيذ ، فهو يلقى إلينا كلامه المقدس اللازم لخلاص أنفسنا ، وفى كلامه قوة " لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته " (عب ٤ : ١٢) . ولكن مع أننا نتعلم من الله ، والمسيح إلهنا هو المعلم ، والروح القدس يأخذ مما له ويخبرنا (يو ١٦ : ١٤) ، إلا أن الرب أقام فى كنيسته معلمين " هو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً ، والبعض أنبياء ، والبعض مبشرين ، والبعض رعاة ومعلمين " (أف ٤ : ١١) .. فما معنى هذا ؟ هل يوجد معلمون إلى جوار المسيح ؟ كلا يوجد هناك معلمون فىالمسيح .

المعلم الحقيقى من بنى البشر ، هو ذلك الإنسان القديس الحكيم ، الذى يحمل المسيح فى داخله . والمسيح الذى فيه هو يعلم الناس فيه وبه . ومن النور الحقيقى الذى فيه ، يشرق هو على الآخرين بالنور . لقد قال يسوع المسيح له المجد " أنا نور العالم " (يو ٨ : ١٢) . وقال أيضاً " أنتم نور العالم " (مت ٥ : ١٤) .. فما المقصود بهذا ؟ . لاشك أنه فى الإنارة للآخرين بيننا وبين المسيح فرق كبير جوهرى هو منير بذاته ، لأنه النور الحقيقى الذى يضئ لكل إنسان آتٍ إلى العالم ، أما نحن الذين بنوره نعاين النور فإننا به ننير للآخرين . هو نور العالم بطريقة مباشرة ، أما نحن فإننا مجرد حملة للنور . بنوره الذى فينا هو الذى يضئ للناس . وإن لم يكن نوره فينا نصير ظلمة لأنفسنا وللآخرين . إن كان المسيح يحيا

فينا (غل ٢ : ٢٠) ، فإنه يعمل بنا كل شئ ، ولا نعمل نحن من ذواتنا إنما نحن نتـأمل مـا يعمله فينا وبواسطتنا ونقول " كل شئ به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان "(يو ١ : ٣) .

لذلك ينبغى حينما نتحدث عن التربية الكنسية أن نذكر دور المعلم فيها ، وكيف ينبغـى أن يكون مملوءاً من الروح القدس والحكمة حاملاً المسيح فى داخله ، لكى يكون " صالحـاً للتعليم " و" مفصلاً كلمة الحق باستقامة " ، ومعطيا لأولاده قدوة صالحة من حياته ، حتـى يمتصوا من صفاته الصالحة ما يروى ظمأ قلوبهم إلى الرب . وهكذا يتكلم بينهم بقوة الـووح الذى فيه ، وتقتدر كلماته كثيراً فى فعلها . مسكين ذلك المدرس الذى يعلم فى مدارس التربية الكنسية إن كان فارغاً من الداخل ، لا أقصد فارغاً من المعلومات ، وإنما من روح الله الـذى حدثنا بولس عن ثماره بأنها فرح ، وسلام ، وطول أناة ، ولطـف ، وصـلاح ، وإيمـان ، ووداعة ، وتعفف " (غل ٥ : ٢٢) .

ومسكين هذا المدرس إن كان خالياً من ثمار الروح هذه . وفى نفس الوقت مملوءاً من المعرفة . لأن مثل هذه المعرفة تنفخ (١كو ٨ : ١) . مثل هذا قد يصلح أن يكـون " دائـرة معارف " ، ولكنه لا يصلح أن يكون مربياً . أما أولاده فقد تمتلئ عقولهم أفكـاراً ، دون أن تقوى هذه الأفكار على تغيير حياتهم إلى الأفضل . حسناً قال معلمنا بولس الرسول " وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع ، بل ببرهان الروح والقوة . لكى لا يكـون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله . لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر .. بحكمة الله فى سر " (١كو ١٢ : ٤ – ٧) .

المعلم فى مدارس التربية الكنسية ينبغى أن يكـون أيضاً إنساناً ذا خبرة ، حتى يكون عملياً فى تعليمه ، لا يكلم أولاده عن نظريات لم يمارسها ، وإنما عن خبرة ودراسـة . وينبغى أيضاً أن يكون عارفاً بالنفس البشرية وكل عناصرها . يعرف حواس هـذه النفـس ومشاعرها وغرائزها وانفعالاتها وانطباعاتها . يعرف حالة كل مرحلة من مراحـل السـن وصفاتها وما يلائمها من طرق التدريس وطرق المعاملة . وذلك لأن " رابح النفوس حكيـم (أم ١١ : ٣٠) .

إن موضوع التربية المسيحية هو علم بكر بالنسبة إلى جيلنا هذا ، وإن كان الآباء قد طرقوا هذا الموضوع بطريقتهم الخاصة منذ أقدم العصور مثل القديس إكلمنضس الإسكندرى فى القرن الثانى فى كتابه " المربى " والقديس أوغسطينوس بعده بأكثر من قرنين فى كتابه "المعلم " .. وإنه بلاشك مجهود مفرح ونافع هذا العمل الكبير الذى قام به الأستاذان سليمان نسيم وكمال حبيب بوضعهما هذا الكتاب، حيث استفادا كثيراً من معلوماتهما القيمة فى التربية وعلم النفس . ومن خبرتهما الطويلة فى محيط التربية الدينية ، وصاغا الموضوع بطريقة روحية ، استخدمت المعرفة النفسية كأداة توضع فى يد النعمة لكى يعمل بها الروح عمله الإلهى فى تربية التلميذ تربية شاملة من كل ناحية .

من كل قلبى أشكرهما على هذا المجهود وأهنئهما ، وأريد أن أعتبره مجرد خطوة أولى فى هذا الموضوع الواسع أو مجرد مقدمة له . الرب يعطيهما بنعمته أن يتبعا هذه المقدمة ببحوث أخرى تفصيلية .

وليعط الرب نعمة لمن يقرأ هذا الكتاب لفائدته وفائدة أولاده فى مدارس التربية الكنسية ..

١٩٦٣/١٢/٩ (٢ أمشير)
تذكار القديس الأنبا بولا السائح

شنوده

أسقف المعاهد الدينية والتربية الكنسية

فكرة الكتاب

هذا كتاب فى التربية المسيحية وأصولها ، راعينا فيه أن يستند إلى الأسس الروحية والعلمية ، وقد لاحظنا أن هذه الأسس كثيراً ما تلتقى فى نقط مشتركة ، مما كشف لنا عن أوجه التشابه بين اتجاهات المسيحية فى تربية النفس البشرية وإعدادها للحياة الأفضل ، وبين اتجاهات التربية الصحيحة القائمة على فهم سليم لطبيعة النفس فى ظل التقدم الواضح الذى قطعته أبحاث علم النفس فى السنوات الأخيرة .

ولكن ليس معنى وجود نقط التقاء أن كلا الأهداف والطرائق متفقة ، فالمسيحية لها أهداف أسمى وأعمق مما تتطلبه التربية الاجتماعية العالمية ، كما أن الطريق فى المسيحية يختلف جذرياً عما رسمه رجال التربية . لذلك يعتبر هذا الكتاب إبرازاً لأهداف وطرائق المسيحية فى تربية الإنسان ، وتقويماً لمبادئ التربية من خلال النظرة المسيحية .

وفى ضوء خبرة عشرين سنة أو تزيد فى ملاحظة النتائج العملية لتطبيقها فى محيط الخدام والشبان والأطفال ، رأينا أن نقدم هذه المحاولة المتواضعة ، راجين أن تكون بركة للعاملين فى حقل الخدمة المتسع ، حقل التربية الهادفة إلى حياة أفضل .

ونرجو ألا نكون مغالين إذا قلنا إن عملية التربية تعتبر من الدقة بمكان بحيث تتطلب حكمة ودراية ، إلى جانب حاجتها الأساسية إلى عمل النعمة فى المعلمين والمتعلمين جميعاً ، حتى ينتقل المؤمنون من مرحلة السماع والفهم إلى مرحلة الإيمان والتطبيق العملى .

وليس أصعب من التعامل مع الأطفال والصبيان والشباب فى البيت والمدرسة والمجتمع ، خاصة فى ضوء ظروفنا الاجتماعية التى تمر بمرحلة تطور وتغيير هائلة فى وقتنا الحاضر ، مما يتطلب الكثير من الجهود فى نشر الوعى الروحى التربوى بين الأمهات والآباء ، وبين المدرسين والخدام بل وبين الرعاة والقادة أنفسهم .. حتى يقوموا جميعاً على هذه المسئولية الخطيرة خير قيام .. ويسهموا فى إعداد المواطنين الأمناء الساعين نحو الملكوت السماوى والذين يكونون أكفاء فى حسن التعامل مع بعضهم البعض مسهمين فى

إيجابية وإخلاص بتقديم كل ما يستطيعون من خدمات لوطنهم وكنيستهم بل وللإنسانية جمعاء مبتدئين بأنفسهم .

ولكى يسهم هذا الكتاب فى توصيل الفكر التربوى الأصيل إلى القارئ رأينا أن نكتب فصلاً عن الشخصية الإنسانية وكيف تعمل المسيحية على إعادتها إلى الصورة الإلهية ، إذ لاشك أن هذه الغاية هى الهدف الأساسى لرسالة الخدمة المسيحية ، ولكى نترجم هذا الفكر ترجمة عملية وضعنا منهجاً فى التربية المسيحية يستند إلى الأسس نفسها التى رسمها الكتاب المقدس وآباء الكنيسة ، وقد وجدنا كما سبق القول أن هناك تطابقاً واضحاً بين هذه الأسس وبين كثير مما وصل إليه علم النفس التربوى من حقائق .

ألا فليكن هذا الكتاب بركة ونفعاً لقرائه جميعاً وضوءاً جديداً يكشف بعض معالم الطريق الطويل إلى الحياة الأفضل .

المؤلفان

الفصل الأول

التربية ماهيتها ـ عواملها

١ ـ تعريف التربية

٢ ـ ضرورة التربية ومسئولياتها

+ التربية الجسمية

+ التربية العقلية

+ التربية النفسية

+ التربية الاجتماعية

٣ ـ مفهوم الانسان فى نظر المسيحية ٠

٤ ـ اهداف التربية الدينية

٥ ـ اهداف التعليم الدينى ٠

الفصل الأول

التربية ماهيتها .. عواملها

تعريف التربية والمدخل إلى دراستها

التربية عملية إعداد وتوجيه للحياة فـى مختلـف مجالاتــها الطبيعيــة والاجتماعيـة والإنسانية وعلى مدى مراحل العمر ، ولاسيما مرحلة الطفولة ، وهى مرحلة اكتساب الخبرة وإتقانها ، ثم التدريب على تقييمها ولذلك فإن للخبرة أهميتها وتأثيرها فــى توجيـه العمليـة التربوية ، فالخبرة هى مضمون التربية تشكلها وتتشكل بها فردياً واجتماعياً .

أما فرديا

فلأن التربية الصحيحة تحقق للفرد النمو المتكامل من النواحـــى الجســمية والعقليـة والنفسية والاجتماعية والروحية والجمالية ، وتعطيه الفرصة التـــى تجعلــه يكتشــف ذاتــه وقدراته ، ويميز الفروق التى بينه وبين الآخرين ، ثم ينتقى الاتجاه الـــذى يتناســب وهــذه القدرات . وبذلك تتصل التربية بعملية نمو الفرد ومحاولة الوصول به إلى أقصى حد ممكــن من الكمال والسعادة .

أما اجتماعيا

فلأن التربية تحقق التوازن بين الفرد والمجتمع .. فالتربية لا تقف عند حد إعداد الفرد وتهيئته للحياة ، وإنما هى تعد الفرد للقيام بمختلف وظائفه فى المجتمع الذى يعيش فيه . إنها تنقل إلى الفرد تراث مجتمعه لكى تضمن لهذا المجتمع الاســتمرار والبقــاء مــن ناحيــة ، والتطوير والارتقاء من ناحية أخرى . فإذا كانت التربية تمثل انعكاساً لأوضاع معينــة فــى المجتمع ، فهى فى الوقت نفسه تعمل على إحداث التغيير فى هذه الأوضـــاع لتصــل إلــى الأفضل ، وبذلك لا يتخلف عن حضارة العالم وما حققه من مظاهر التطور والارتقاء .

وإلى فترة طويلــة ظلت الدراســات النفســية وانطباعات النظريات المختلفة عليها : كنظرية التطور ، ونظرية الفعل المنعكس الشرطى أو النظرية الترابطية ، ثم نظريات وليــام جيمس وماكدوجل فى الغرائز ، ونظرية فرويد فى اللاشعور ، تشكل مدخلاً هاماً لعلم التربية

من حيث تأثر الكائن الحى بظروف البيئة التى تحيط به ، ومحاولته التكيف مع هذه الظروف والدوافع التى تدفع به إلى هذا التكيف ، مما أدى إلى ظهور نظرية الغرائز ، والنظرية الغرضية فى توجيه سلوك الكائن الحى ، والتى تبلورت بعد ذلك فى فلسفة التربية عن طريق النشاط .

المدخل الاجتماعى

لكن ثمة مدخلاً آخر استجد بعد ذلك .. ذلك هو القيم الثقافية والحضارية المؤثرة فى المجتمع وهى التى تبلورت عن الأصول الاجتماعية للتربية ، وما يرتبط بها من مظاهر التطور فى المجالين العلمى والإنسانى ، وفى ما يترتب على هذا التطور من تغاير الأفكار المؤثرة فى حياة الناس وفيما يسود عليهم من اتجاهات ، وفيما يقوم بينهم من علاقات ، تميزها سمات معينة ، تتباين من مجتمع لآخر بل وبين جيل وآخر .

وفى النصف الثانى من القرن العشرين الذى نعيشه يمكننا أن نلاحظ بسهولة سمة التغير السريع لأحوال المجتمعات نتيجة الطفرات العلمية والتكنولوجية مما ترك آثاره فى أحوال الناس ونفسياتهم ، وانعكس بالتالى على طرق تعليمهم وفلسفة تربيتهم ، تظهر فى أسلوب إعدادهم لحياة سريعة التغير .

ومن المعروف أن طرق التربية واتجاهاتها تختلف فى المجتمع الزراعى عنها فى المجتمع الصناعى ، كما تختلف فى مجتمعات البلاد المتقدمة تكنولوجياً عنها فى البلاد النامية ، وكذا فى البلاد الديمقراطية عنها فى البلاد الديكتاتورية ، وفى البلاد الرأسمالية عنها فى البلاد الاشتراكية ، لكن إمكانية الاتصال بين أجزاء العالم وتزايدها عاماً بعد آخر قد أضحى قوة أخرى تضاف إلى القوى التربوية والنفسية ليزداد تبادل التأثر والتأثير بين خبرات البلاد المختلفة ، مما أتاح الفرصة للإفادة من كافة الخبرات تحقيقاً للتكامل فيما بينها. ولقد ظل هذا المفهوم يلح على الأسرة الإنسانية حتى أخرجت فكرة العمل المشترك فى مؤسسة العلوم والتربية والثقافة المعروفة باليونسكو لتصبح مركزاً ليس فقط لتبادل الخبرات وإنما لتطويرها وتنميتها ، واعتبار المؤثرات المتباينة فى مختلف البيئات والمجتمعات للتنسيق بينها

حتى يمكن الوصول فى النهاية إلى تقارب وجهات النظر نحو الفكر التربوى الإنسانى الموحد.

المدخل المسيحى

وينقلنا هذا إلى التساؤل هل من مدخل مسيحى إلى علم التربية ؟ الواقع أن المسيحية أكدت وحدة الإنسان فى الله نفسه . ففى صلاة الرب الشفاعية " ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد " (يو ١٧: ١١ــ٢٢) . فالله أب ، والإنسان ابن خُلق على صورة الله ومثاله . وبمجيء المسيح تأكدت هذه الوحدة على أساس فاعلية الأسرار المقدسة فى النفس الإنسانية وتحويلها إلى هيكل لروح الله . وهذا هو المدخل المسيحى إلى علم التربية . لكن لا يتبادر إلى الذهن أن هذا الفعل الباطنى للأسرار الإلهية هو فعل فردى ، ذلك أن المؤمن لا يتحرك فى فراغ وإنما يعيش فى مجتمعه العام من ناحية ، ومجتمعه الكنسى من ناحية أخرى ، ومطلوب منه أن يتشبه بإلهه فى أعمال المحبة وسلوك الكمال . فهذه هى ثمار بنوته لله وهى ثمار تمتد إلى أعضاء الجماعة جميعاً وتستهدف بنيانهم من خلال القيم المسيحية .

ضرورة التربية ومسئولياتها

تتضح ضرورة التربية فى أنها لازمة لتوجيه نمو الفرد ورفع مستوى الحياة فى الجماعة . أى أنه بدون التربية يتوقف نمو الفرد نحو السلوك الموجه المرغوب فيه ، كما تتجمد أحوال الجماعة وينقطع استمرار تراثها ، بل واستمرار كيانها نفسه .

ويمكن تلخيص وظيفة التربية من خلال مسئولياتها الضخمة فى أنها تقوم على :

١. إعداد الأفراد للتكيف مع مجتمعاتهم وبخاصة فى عصر التغير السريع .
٢. تأكيد شخصية الفرد والكشف عن قدراته واستعداداته .
٣. حماية الإنسان من طغيان عصر المادة ، وإيجاد التوازن الفكرى والروحى بين الإنسان والمادة .
٤. تحقيق التفاهم الإنسانى والعلاقات الإنسانية على المستوى العالمى .

٥. الحفاظ على الجيد من التراث الثقافى وتنقيته وتبسيطه .
٦. تنمية هذا التراث وتطويره وتعميق أبعاده .

فإذا أضفنا إلى ذلك حاجة بلادنا الخاصة إلى علم التربية لتأكيد الاتجاه الاشتراكى ، وتثبيت القيم المرتبطة به فى عقول الناس ، ثم ربطه بسلوكهم ومسار علاقاتهم ، ومن جانب آخر فى الكشف عن علاقة هذا الاتجاه بمبادئ الشركة فى الحياة المسيحية ، وبالوسائل التى تكفل تحقيقها عملياً فى حياة المؤمنين ، اتضحت لنا ضرورة التربية كعلم وممارسة فى ذات الوقت له مضمونه الواسع من الخبرة الإنسانية المتطورة والمنفتحة على مختلف المجالات النفسية والاجتماعية والروحية.

ويقودنا هذا إلى دراسة مظاهر النمو فى حياة الإنسان ودور التربية فى توجيهها ، التربية العامة والتربية المسيحية .

أولاً : النمو الجسمى والتربية الجسمية

تشمل التربية الجسمية كل ما يؤدى إلى صحة البدن من اختيار أنواع الطعام النافع ، والرياضة فى الشمس والهواء ، والاستفادة من طرق الوقاية الحديثة حفظاً للطفل من الأمراض . وقد ثبت أن صحة الجسم تؤدى وخاصة فى السن المبكرة إلى حفظ الذكاء ، وصون القوى العصبية والنفسية والعقلية من التلف . ولو طبقنا هذا المبدأ على التربية المصرية فى وقتنا الحاضر لوجدنا أن الأمراض المتوطنة عندنا كالبلهارسيا ، والانكلستوما ، والرمد ، هى فى صميمها مشاكل تربوية . ولكى لا يتعطل نمو بلادنا وتطورها ، ولكى تستمر ثروتنا القومية فى الزيادة ، وجب أن ننظر إلى علاج هذه الأمراض نظرة جادة على أساس تربوى يستهدف استئصال جذورها من وسط شعبنا وريفنا . فتدريب الأطفال على العادات الصحية منذ بواكير طفولتهم ، وتنمية وعيهم العام ، وتعويدهم على تذوق الجمال والإحساس به فى النظافة ، ومقاومة الحشرات ، والطهارة الشخصية ، والتعفف عن الإفراط فى الطعام ، وتجنب المكيفات ، وتقدير قيمة الصحة ، وأهمية الوقاية ، والاحتياط من العدوى سواء فى تجنب الإصابة بها أو فى نقلها للآخرين ، كل هذا يدخل فى صميم مسئولية التربية

والمربون ولاشك ملتزمون به سواء فى مجال تعليم الصغار أو الكبار بالوسائل التعليمية والإعلامية المختلفة .

على أن مدى النجاح فى تحقيق أهداف التربية من هذه الناحية بالذات يتصل اتصالاً وثيقاً بقدرة المجتمع على رفع مستوى معيشة المواطنين ، وتوفير إمكانيات الحد الأدنى للحياة الكريمة لهم فى المسكن الصحى ، والطعام الصحى ، والماء النقى ، والترفيه ، والاستحمام ، بالإضافة إلى نشر الوعى الصحى بينهم وإقناعهم بالأخذ دائماً بأسباب الوقاية . ولاشك أن بلادنا قد خطت خطوات واسعة فى تحقيق هذا النوع من الحياة لشعبنا ، وبخاصة بعد ثورة يوليو . وما أولته للريف من عناية خاصة ، لكننا لا نزال نعانى من الأمية المتفرعة إلى كافة النواحى مما يتطلب متابعة بذل الجهود .

ومن وجهة النظر المسيحية ، فإن الجسم وزنة أعطاها الله لنا ثم قدسها بأسراره المقدسة ، فنحن بالمعمودية نولد الولادة الروحية ، وبسر الميرون تصبح أعضاؤنا هى أعضاء المسيح ، وأجسادنا هى هياكل مقدسة يحل فيها روح الله كقول القديس بولس " أما تعلمون انكم هياكل الله وروح الله يسكن فيكم " (١كو٣: ١٦، ٦: ١٩).

وكما أننا نعبد الله بأرواحنا وعقولنا فإننا نعبده أيضاً بأجسادنا بالصوم ، وبالسجود ، وبأعمال الإماتة المختلفة التى تحقق لنا سيطرتنا على كل حواسه وحركاته وأهوائه . يقول القديس بولس "ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غل ٥ : ٢٤) وفى موضع آخر يقول " بل أقمع جسدى وأستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً " (١كو٩ : ٢٧) .

ويضعنا هذا أمام مسئولية تدريب ذواتنا على فضيلة الكف وإرادة الحرمان فيما يضر أجسادنا ، أو يثيرها ، أو ينحرف بها عن الغاية الأساسية منها ، والوظائف الطبيعية لمختلف أجهزتها وأعضائها .. يقول القديس بولس " كل الاشياء تحل لى لكن ليس كل الاشياء توافق كل الاشياء تحل لى لكن لا يتسلط علىَّ شئ (١كو٦ : ١٢ ، ١٠ : ٢٣).

كل الاشياء تحل لى لكن ليس كل الاشياء تبنى ، على أن إماتة الجسد وضبطه لا يعنى قتله أو القضاء عليه . فبدون الصحة الجسدية لا يمكننا ممارسة واجباتنا الروحية والتزاماتنا الاجتماعية والأدبية .

وليس من الحكمة أن نحيا فى العالم بجسد الناسك ، وإنما نعيش بعقليته وروحه متذكرين دائماً نسك سيدنا له المجد ، وصومه وجهاده ، سالكين إزاء أجسادنا بحكمة ولياقة . بل أن القديس بولس فى حدود وسائل العلاج التى كانت معروفة فى عهده نصح تلميذه القديس تيموثاوس قائلاً " لا تكن فى ما بعد شراب ماء بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة " (اتى ٥: ٢٣) ،أى استخدمها كدواء . هناك صراع بين الروح والجسد كقول القديس بولس " وهذان يقاوم أحدهما الآخر " (غل ٥ : ١٧)، وكقول القديس يوحنا الحبيب " لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون ، وتعظم المعيشة " (١يو٢ : ١٦) ، هذا يجعلنا أكثر حذراً وحرصاً فى النظر إلى طبيعة أجسادنا ، وفى الانتباه إلى حدود حركاتها . فالعين الطاهرة تجعل الجسد كله نيراً كقول الرب " فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً " والعين الشريرة مجلبة للنجاسة والهوان كقول الرب " وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً " (مت ٦ : ٢٢و٢٣) .

وما يصدق على العين يصدق بالتالى على مختلف الحواس ، فالحواس الطاهرة المتعففة ، كفيلة بتطهير الجسد كله وتأكيد نقاوته ولسنا فى حاجة إلى أن نتذكر أن خطيئة حواء بدأت بالنظر والتطلع إلى الشجرة المنهى عنها ، فوجدت أنها شهية للنظر وبهجة للعيون ، ولو أنها تطلعت بعين الوصية التى أوصيت بها ونظرت إليها بنظرة الطاعة لله لما أخطأت ، لكنها تعالت على الوصية ، وتحدتها ، فنظرت وتأملت ، وإذا بالنظرة تتحول إلى شهوة ، والشهوة إلى فعل ، وهنا كانت المعصية وكان التعدى . وإذاً فطاعة الله من جهة أجسادنا واجبة ، لأننا سندان بكلياتنا وجزئياتنا ، أى أننا سنقدم حساباً عما بدر من أرواحنا وأفكارنا وأجسادنا ، وإذا كان رب المجد قد طمأننا قائلاً " ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد " فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة " (مت ١٠ : ٣٠) ، كما أوصانا فى لطف " لا تهتموا

قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب .. لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها " (مت ٦ : ٣١ و ٣٢) ، فإنما لكى يعلمنا أن الجسد هو فى الدرجة الثانية بعد الفكر والروح لأننا " على صورته خُلقنا " ، وبالقدوة الصالحة يتعلم أبناؤنا منا قوة التحكم فى إرادتهم ، وقوة الضبط لأهوائهم ، ويتسلمون نعمة التعفف عن شهوات الجسد وأهوائه .

ولما كان " لكل أمر تحت السموات وقت " كقول الحكيم (جا ٣ : ١) ، كما أن لكل شخص موهبته واتجاه قدراته وإرادته ، فحياة المتزوج تختلف ولاشك عن حياة المتبتل وإن كان الخط الروحى الذى يجمعهما هو خط واحد من حيث تنفيذ إرادة الله فى كل سلوك مما يجعل للبتولية مكافأتها وللزواج أيضاً كرامته ، فالواجب ألا يدين أى منهما الآخر لأن كلا منهما مقدس فى الله ، كما أن لكل منهما موهبته التى يخدم ويمجد بها اسم الله . نقول هذا لأن للزواج جانبه الجسدى ، لكنه فى المفهوم المسيحى جزء لا يتجزأ من الحب المتبادل بين الزوجين ، وعنصر من عناصر المسئولية التى يحملانها معاً فلا يرتكب أحد جهالة ويقارن بين شكل المتبتل ، وشكل المتزوج ، فالمهم فى " الجوهر " حياة كل منهما ومضمونه من حيث جهاده فى سبيل تحقيق الكمال المسيحى فى حياته وفى ممارسة الفضيلة المسيحية أمام الله والناس . يقول القديس بولس " فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله " (اكو٦ : ١٢ ــ ٢٠) ، أى أن الفضيلة المسيحية تستهدف متزوجين كنا أو متبتلين ، تمجيد اسم الله بأجسادنا وأرواحنا .

ثانيا : التربية العقلية

ويقصد بها تنمية القدرات العقلية المختلفة كالتفكير والاستنتاج والربط والمقارنة ، كما تشمل التدريب على تكوين النظرة الناقدة المميزة وعلى جمع الحقائق وتبويبها ، وحسن إدراك الفرد لما يحيط به من مؤثرات وظواهر ، ووسيلة التربية العقلية تدريب العقل على البحث ، وتنمية قدراته على التصور والإبداع . والواقع إن العقل الإنسانى ثروة لا تقدر ، وكلما نجح المربى فى تنمية هذه الثروة وإطلاقها ، منذ مرحلة الطفولة المبكرة ، أتت بأوفر الربح .

وفى المفهوم المسيحى إن "مخافة الرب رأس المعرفة "(أم ١ : ٧) ، ويقول الرب " فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام " (مت ١٠ : ١٦) ، فالحكمة مطلوبة والتصرف الحكيم والسلوك الحكيم هما ثمرة من ثمار عمل النعمة فى الإنسان . بل كثيراً ما كان الرب يلفت نظر تلاميذه إلى وجوب احترام العقل والتفكير ، فكان يستغرب عدم إيمانهم أحياناً قائلاً "كيف لا تفهمون ؟ " (مر ٨ : ٢١) ويقول الحكيم " طوبى للإنسان الذى يجد الحكمة وللرجل الذى ينال الفهم "(أم ٣ : ١٣ ، ١١) ، كما يقول الرب " لا تجرب الرب إلهك " (مت ٤ : ٧) أى لا تتجاهل عقلك . بل إنه له المجد حين تحدث عن الذين يسمعون الكلمة وتثمر فيهم فى مثل الزارع قال " وأما المزروع على الأرض الجيدة فهو الذى يسمع الكلمة ويفهم " (مت ١٣ : ٢٣) . وكثيراً ما كان له المجد ينظر بغضب إلى الفريسيين المتعصبين الذين أغلقوا عقولهم ، حزيناً على غلاظة قلوبهم ، " فقد تمسكوا بالحرف وأبطلوا بتقليدهم وصية الله " وسخروا الإنسان لأجل السبت وعاشوا جُهالاً وعمياناً يعبدون المظهر ، ويتعصبون للحياة الجوفاء الخاوية . حتى أن الرب الذى كان يخاطب الجموع بالأمثال كثيراً ما كان يعلمهم تعليماً مباشراً قائلاً " اسمعوا منى كلكم وافهموا " (مر ٧ : ١٤) . وذلك لينمى لديهم القدرة على التمييز بين المظهر والجوهر ، ويوجههم إلى تجنب نوع الحياة الخاطئة التى كان يحياها هؤلاء الفريسيون .

على أن الكتاب المقدس الذى يفسر نفسه بآياته ومواقف قديسيه يحذرنا من تجاهل عمل الله فينا ، وثمار حكمته السمائية،فيحذرنا من أن " العلم ينفخ ولكن المحبة تبنى"(١كو٨ : ١) ، كما يقارن القديس بولس بين الحكماء الذين وقعوا فى خطيئة الكبرياء ظناً منهم أن حكمتهم كفيلة بخلاصهم ، وبين المتواضعين المحبين الذين أسلموا عقولهم وقدراتهم لعمل النعمة (١كو: ٢٦ ــ ٣١) يقول الحكيم " توكل على الرب بكل قلبك وعلى فهمك لا تعتمد "(أم ٣ : ٥) كما يقول "لا تكن حكيماً فى عينى نفسك" (أم ٣ : ٧) .

أما حكمة الرب فقد جاءت فى صلاته التى سجلها القديس متى "أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال" (مت ١١ : ٢٥) ،

وقد أكد القديس بولس هذا المعنى " بل اختار الله جُهَّال هذا العالم ليخزى الحكماء " (١كو١ : ٢٧) .

والغريب أن الإنسان وهو يشعر فى أعماق نفسه بسر الألوهة يتحرك فى داخله ويحرك عواطفه وأحاسيسه جميعاً ، يكابر ويتنكر ، ويستخدم عقله الذى أودعه الله فيه ثروة وبركة لكى ينكر وجود هذا الإله فما أصدق ما ينطبق عليه قول الوحى " قال الجاهل فى قلبه ليس إله " (مز ١٤ : ١) .

وهنا يأتى دور المربى الروحي فى أن يكون هو نفسه شعاع نور يقوى إيمان أولاده وتلاميذه بما يلمسونه فيه من الفضائل الإلهية ، وروح الصلاة ومشاعر الإيمان ، التى تجعله يترنم فى قوة مع القديس بولس " لأننى عالم بما آمنت "(٢تى١ : ١٢) ،فلئن كانت المسيحية تحترم العقل ، حتى أن القديس بولس يقول" امتحنوا كل شئ وتمسكوا بالحسن"(١تس٥ : ٢١) وتضعه فى موضع التقدير والكرامة ، لكنها تضع الإيمان والتصديق بما أتى به الوحى موضع التقديس والهيبة ولكلٍ مجاله الذى يتحرك فيه وهما معاً مكملان لبعضهما البعض . وحقاً إن العقل لا يستطيع أن يثبت ما جاء به الوحى ، لأنه يستقرئ التجربة والمشاهدة القائمة على الحس ، أما الإيمان فموضوعه أمور ما وراء الطبيعة " ما لم تره عين ولم تسمع به أذن " مما يحتم على الإنسان أن يسلم بما جاء فى الوحى الإلهى عنها تسليماً مترسماً توجيه الرب وسامعاً لصوت تطويبه " طوبى للذين آمنوا ولم يروا " (يو ٢٠ : ٢٩).

إن الإنسان الطبيعى لا يقدر أن يحكم على الأمور الروحية لأن عنده جهالة ، وكثيراً ما تخون الحكمة البشرية صاحبها لأنها قد تكون " أرضية نفسانية شيطانية " (يع ٣ : ١٥) ، أما الحكمة السمائية فهى أولاً طاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعنة مملوءة رحمة وأثماراً صالحة عديمة الريب والرياء " (يع ٣ : ١٧) ، هكذا تكشف هذه الكلمات الواضحة عن أثر الروح القدس فى نقل الإنسان من حال " الغيرة المرة والتحزب " إلى حال السلام والثمر الصالح . وواضح أن امتلاك الإنسان لهذه الحكمة السمائية يجعله قادراً على أن يسلك بإرادته وملء

مسئوليته السلوك المسيحى المطلوب كقول القديس يعقوب " من هو حكيم وعالم بينكم فلـــير أعماله بالتصرف الحسن فى وداعة الحكمة " (يع ٣ : ١٣) .

ثالثاً : التربية النفسية

ويقصد بها أن تكون نفسية الطفل نفسية ســوية خاليــة مــن العقــد والانحرافــات . فمــن شأن المزاج الثابت المتزن الذى يخلو من التوتـــر والاندفــاع أن يجعــل صاحبــه قــادراً على حسن التكيف مع المواقف المختلفة . ومن أهــم المظــاهر الدالــة علــى الاتـــزان الانفعالـــى أن تخلو حياة الفرد مـــن عوامــل الصـــراع النفســـى ، ولا يتســـنى تحقيــق هذا إلا بإعطائه الفرصة . وهو بعد فى بواكير الطفولـــة ، أن يعــبر عــن نفســه ويشــبع حاجاته النفسية بطريقة ســوية تخلو مــن عوامل الكبت والقــهر ، وتخلــو أيضــاً مــن عوامل التدليل والميوعة ، وكذلك يجـــب علـــى المجتمـــع أن يجنبـــه الشـــعور بـــالخوف والنقص والفشـــل .

وفى المفهوم المسيحى إن النمو النفسى السوى قرين الشـــعور بالســـلام الداخلـــى، والفـــرح الروحى الحق ، الذى تميزت به الحياة المسيحية .. يقول الرب " سلاماً أترك لكم ، ســـلامى أعطيكم ... ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا " (يو١٤ : ٢٧) ، وكثيراً ما كـــانت معاملـــة الوالدين ، وقسوتهما وإنكارهما لعمل الله فى حياتهما سبباً مباشراً وأكيداً لكراهية أطفالـــهما لله لما يحدث فى باطنهم ، لا شعورياً من استبدال الوالدين بالله من خلال مشاعر الكراهية التـــى يكنونها لوالديهم . من أجل هذا كان للجو العائلى الأثر كل الأثر فى تقريب الطفل وهو بعـــد فى بواكير طفولته ، من حب الله أو العكس ، ومن خلوه من عوامل الصـــراع النفســـى ، أو ازدحام نفسه الغضة بها ، مما يعرضه لمشاعر التوتر التى سرعان ما تنقلب ، تحت تـــأثير تكرار أسبابها وإلحاح عواملها ، إلى عقد نفسية مريرة ، تكمن فى اللاشـــعور ، كمحركـــات للسلوك المنحرف ، فينشأ الطفل عدوانياً ، أو انطوائياً ، أو معانياً من الاكتئاب أو الخـــوف ، أو انفصام الشخصية ، أو الشعور المستمر بالذنب ، وبخاصة فيما يتصل بالنواحى الجنســـية التى ربما يربطها بعض الجهال بالحرام والخطيئة ، على غير أساس ، مما يُحَوِّل خليقة الله

الطاهرة ، التى لما أوجدها قال " ورأى الله أن كل ما عمله فإذا هـــو حسـن جـداً " (تك ١ : ٣١) ،إلى شر وانحراف . ولا يعنى هذا أننا نــترك أولادنــا وبناتنــا فــى حيــاة الاستباحة ، فالوصية المسيحية وصية متكاملة ، والقديس بولس لا يوصينا فقط " اهربوا مــن الشهوات الشبابية " وإنما يتناهى فى تحذيرنا من مجرد شبه الشر قائلاً " امتنعوا عن كل شبه شر " (١تس٥ : ٢٢) ، وإنما نحن نُفرق هنا بين الكبت والضبط ، وبيــن التربيــة النفسـية السوية القائمة على التعقل والفهم السليم ، وبين التربية الخاطئة القائمة على الانفعال ، بيــن التدريب الهادئ بالقدوة وفاعلية النعمة الداخلية على التسامى بالفكر والحواس ، وبين الجــهل بأسس الحياة الطاهرة والسلوك عن خوف من العقاب أو عــن شــعور بالاشـمئزاز غــير الواعى (*).

وما نقوله عن هذا الجانب النفسى الهام ، ونعنى به حياة الطهارة ، يمكن أن ينســحب على بقية الانفعالات النفسية .. خذ مثلاً مشكلة الغضب ، أو مشكلة الحقد .. إن حلها الأوحـد هو تذوق فضيلة المحبة وممارستها عملياً .. وليس فقط المحبة وإنما التناهى فى المحبة على مثال سيدنا له المجد الذى قال " إن أحببتم الذين يحبونكم فأى فضل لكم " . وقد أثبتت البحوث النفسية أن المحبة شفاء أكيد لكل الاضطرابات النفسية ، فالصلاة من أجل المســيئين شــفاء للنفس الحاقدة ولاشك ، واحتمال أخطاء العدو ثم الذهاب إلى معاتبته بقصــد ربحــه شــفاء للنفس ، يقول الرب " وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه . إن ســمع منــك فقـد ربحـت أخاك " .. أما مشكلة الخوف فقد حررتنا المسيحية منها حين قال الرب لتلاميذه وهــم علــى وشك الغرق " أنا هو .. لا تخافوا " (مت ١٤ : ٢٧) ، فحتى فى ســاعة الخطــر يجــب ألا نجزع مترنمين بقول داود النبى " كنت أرى الرب أمامى فى كل حين ، إنه عن يمينى لكى لا أتزعزع " (أع ٢ : ٢٥) ، ومن جهة احتياجات الجسد أوصانا الرب ألا نقلــق قــائلاً فــى صراحة " لا تقلقوا " (لو ١٢ : ٢٩) .. وفى أى ظرف من ظروفنا المؤلمة كالمرض مثــلاً نجد الكنيسة تشاركنا آلامنا بسر مسحة المرضى . ولاشك أن للصلاة فاعليتها العظيمة فــى

* راجع سليمان نسيم ــ الشباب والجنس
كمال حبيب ــ حياة العفة ، سر الحب .

تهدئة النفس المضطربة وفى تشجيعها على التسليم لمن قال " لا تخف أيها القطيع الصغير " (لو ١٢ : ٣٢) ، كما تذكر قول القديس بولس " إن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله " (رو ٨ : ٢٨) .

وهنا يأتى دور الكنيسة التى تصلى من أجل المنتقلين والمسافرين والمرضى والذين هم فى ضيقة ، وفى حب تقول " يا عزاء صغيرى القلوب ، وميناء الذين فى العاصف ، كل الأنفس المتضايقة والمقبوض عليها ، أعطها رحمة ، أعطها نعمة ، أعطها غفران خطاياها وآثامها " (القداس ـ أوشية المرضى) .

ومن أقوى الأدلة على تأثير المسيحية فى وقاية النفس من الانحراف ما هيأته للأسرة من عوامل الاستقرار .. والحب المتبادل بين الزوجين .. والقضاء على أسباب الفرقة بينهما . وبذلك ضمنت للأطفال وبخاصة فى الخمس سنوات الأولى ، وهى السنوات الحساسة التى تتشكل فيها صورة الطفل الداخلية ، أن تصل إليهم عواطف الحب والحنان . فلقد أثبتت البحوث النفسية التى أجريت لمعرفة أسباب جناح الأحداث ، وإصابة الأطفال بأمراض الصرع والانهيار العصبى ، أن تفكك الأسرة ، وقيام المنازعات بين الوالدين ، ونزول جائحة الطلاق أو تعدد الزوجات ، هى أسباب هذه الأمراض جميعاً . من هنا نقلت المسيحية إلى الطفولة المعذبة ، التى شقيت طويلاً فى مجتمعات الظلم والضغوط الرهيبة ، منفذاً إلهياً يقوم على رعايتها بالحب وتوفير الأمانة والعطف والرفق تمثلاً بمن قال " دعوا الأولاد يأتون إلىّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات " (مت ١٩ : ١٤) .

على أن احترام الطفولة ، والرفق بها والعطف عليها ، لا يمنع تبصير الأطفال بأخطائهم حتى لا يكرروها ، وإنما العبرة هنا بأسلوب العقاب ، وتوقيته ، وظروفه ، بحيث يفرق المربى بين التقويم والانتقام ، وبين " موضوع الذنب " وبين " معاناته الشخصية هو " فكثيرون من المربين يعكسون متاعبهم على أطفالهم أو تلاميذهم فيضخمون أخطاءهم لكى يبرروا قسوتهم فى العقاب ، وما هو التأديب ، وإنما قد يكون فى حقيقته وواقعه تنفيساً عن

عقدهم المكبوتة مما يستلزم علاج هؤلاء الكبار نفسياً أولاً قبل أن يتصدوا لمسئولية التربية (*) .

وكما بعدنا بالعقاب عن الجانب البدنى إلى الجانب النفسى ، وكلما ارتبط العقاب فى نظر الطفل بشعوره إزاء مربيه بعاطفة الحب والتقدير ، كانت النتائج المطلوبة حتى ينضج الطفل نفسياً فيتسني له ـ فى ظل مثل هذا النوع من التربية ـ أن يتفهم أخطاءه بنفسه ، وأن تكون له القدرة على تقييم نفسه بنفسه وهذه هى قمة نجاح المربى .

ولسر الاعتراف ولاشك أهميته الخطيرة فى توجيه المؤمنين أفراداً وعائلات، نفسياً وروحياً ، والأب الكاهن ـ يفترض أن يكون أباً شيخاً محنكاً ـ هو قاض وأب وطبيب روحى ، يُبصر المعترف بنواحى ضعفه ، ويقيم سلوكه الروحى والنفسى والاجتماعى ، بعد أن يستمع له ولمشكلاته فى اهتمام . وهذا الاهتمام هو فى حد ذاته علاج ، ففيه مشاركة للمعترف همومه ومتاعبه ، وبخاصة أنه مقترن بالصلاة من أجله ، وافتقاده للتعرف أكثر على أسباب هذه المتاعب ، فقد يكون فى توجيه الأسرة ، وإشراكها فى الحل وسيلة فعالة لوضع حد لها .

ونعرف أن مشاكل الناس يمكن أن تحل بإحدى طريقتين على المستوى النفسى .. إما التوجيه النفسى ، وهو ما يحققه سر الاعتراف ، وإما العلاج الطبى للأمراض العصبية النفسية التى تحتاج إلى طبيب نفسى لعلاج أسبابها .. فقد تكون هذه الأسباب وراثية أى خلقية تكوينية ، تحتاج إلى أدوية معينة أو جلسات كهربائية أو تحليل نفسى طويل الأمد ، ولا يمنع هذا من اشتراك الأب الكاهن فقد يستطيع الاسهام فى نصح الأسرة ، وفى تهيئة بيئة جديدة يثمر فيها العلاج النفسى وتنتفى عن المريض بها العوامل التى تسبب له التوتر والضيق . كما أن فى اشتراك الأب الكاهن ـ وهو يرمز للكنيسة المترفقة ـ فرصة لمعاونة المريض على التخلص من محنة الشعور بالذنب الذى كثيراً ما سبب اليأس للكثيرين وجعلهم يشعرون وهماً وخطأً برفض الله لهم ، مما يزيدهم تخبطاً وضياعاً .

* لعل فى هذه الظاهرة ما يؤكد حاجة الكبار إلى توعية تربوية مستمرة .

من هنا فإن المفروض أن ندرب بناتنا وأولادنا على ممارسة سر الاعتراف منذ سن التاسعة ، حتى إذا ما وصلوا إلى مرحلة المراهقة كانت لهم من صداقتهم بالأب الكاهن وسيلة فعالة فى متابعة الجهاد الروحى ، والصمود فى معركة التوبة والطهارة ، لتثبيت إيمانهم .. ودعم نقاوتهم .. باطناً وظاهراً ، من الناحيتين النفسية والروحية ، فالحياة النفسية السوية هى الخلفية الطبيعية ، والقاعدة الأساسية لقيام حياة روحية سليمة تضمن عدم استتار العقد النفسية وراء تدين مريض يسئ إلى الدين نفسه وقد يكون عثرة للكثيرين (*) .

رابعاً : التربية الاجتماعية

ونستهدف توجيه الفرد إلى العلاقات الاجتماعية السليمة ووسائل التعامل مع الآخرين ، والوعى بحقوقه وبالواجبات عليه ، وتدريبه على التبعية والقيادة ، تبعاً للمواقف التى تقابله . فالتلميذ فى الفصل تابع لمدرسه ، عليه أن يطيعه ويحترمه ، ولكنه فى الفرقة الرياضية قد يكون قائداً ، عليه أن يوجه ويرشد . فهى إذاً عملية أخذ وعطاء فى حدود احترام حريات الآخرين ومشاعرهم وتقدير ظروفهم فى مجتمعه مع الآخرين فإنها تتطلب الكثير من الفضائل والصفات التى بدونها تصبح العلاقات الاجتماعية فاشلة . من هذه الفضائل مثلاً .. الأمانة .. الصدق .. الوفاء .. الإيثار .. التعاون .

وتعلمنا المسيحية ألا نكون أنانيين ، بل أن نحب الآخرين ، ونحتملهم ونخدمهم ، ولكى يؤكد لنا الرب هذا المعنى أوصانا بأن " بل من أراد أن يصير فيكم عظيماً يكون لكم خادماً " (مر ١٠ : ٤٣) ، وفى ليلة خميس العهد أحضر ماء وغسل أرجل تلاميذه معلماً إياهم " تدبير الاتضاع ورسم المحبة " (كما تقول الكنيسة في صلاة اللقان) ، فلما فعل هذا قال لتلاميذه " أنتم تدعوننى معلماً وسيداً ، وحسناً تقولون لانى انا كذلك فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض " (يو ٣ : ١٣ ، ١٤) .

وقد جاء فى أقوال القديس بولس ما يوضح حقيقة خدمة غسل الأرجل " لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً

* راجع كمال حبيب ــ التدين السليم .

(فى ٢ : ٤) ، ويعنى هذا التجمل بفضيلة القدرة على التسامح واحتمال ضعفات الآخرين ، وضبط النفس ،عملاً يقول القديس بولس " فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء ولا نرضى أنفسنا " (رو ١٥ : ١) ، والاعتراف بالخطأ والعمل على تصحيحه ، وعدم التعالى على أحد لأى سبب ، كما تتميز بالشجاعة فى قول الحق ومواجهة الخطأ فى صراحة .

والبيت هو المجال الاجتماعى الأول الذى تُمارس فيه العلاقات الاجتماعية بصورة مصغرة . ولو نجح الوالدان فى أن يسلك بعضهما مع بعض بروح المحبة والاحترام المتبادل ، ومع أولادهما بروح الخدمة والبذل ، فإنهما يكونان بذلك قد وضعا فى أولادهما بذور التوافق الاجتماعى السليم (*) ، بالإضافة إلى أسس التكيف فى الحياة الزوجية المستقبلة . فاتجاهات الأطفال إزاء الزواج وتكوين الأسرة تتكون من واقع العلاقات الأسرية والجو الذى ينمون فيه .

ولأن الكنيسة الأرثوذكسية كنيسة شعبية ، للشعب فيها دوره الفعال فى اختيار رعاته ، وفى معاونتهم فى الخدمة ، فإن فضيلة تبادل التعاطف والمشاركة فى الفرح والحزن ، بين المؤمنين أفراداً وعائلات تجد المجال العملى فى الحياة الكنسية الروحية بما فيها من أسرار .. وأعياد .. وأصوام .. وافتقاد ، بل إن الكثير من أوشيات القداس يدور حول موضوعات تهم الناس اجتماعياً فالأب الكاهن يعلن قائلاً " دبر حياتنا كما يليق " ، كما يطلب من أجل الزرع والأهوية والمياه وسداد الدين وتهيئة الحياة الصالحة النقية للمتزوجين ، والثبات للمتبتلين ، والنمو للأحداث .. كل هذا يشعر المؤمن بمشاركة الكنيسة له فى مختلف ظروفه الاجتماعية ، مما يجسد صورة الحب التى رسمها القديس بولس بالتفصيل فى رسالته الأولى إلى الكنيسة فى كورنثوس ، الإصحاح الثالث عشر حين تحدث عن المحبة التى لا تقبح .. ولا تفرح بالأثم .. ولا تظن السوء .. ولا تحتد .. ولا تهتم فيما لنفسها ، وكل هذه وإن قامت على فضيلة واحدة هى المحبة ، إلا أنها تمثل فى صميمها مختلف المعاملات

• راجع كمال حبيب ــ الأسرة المسيحية .

اليومية .. سواء فى الأسرة الواحدة .. أو فى العمل .. أو المدرسة .. أو المجتمع العام . ومن شأن اتخاذ المحبة فضيلة ترافقنا فى حياتنا اليومية أن نجد فيها الحل السريع للكثير من المشاكل الاجتماعية . ألا ترى إلى موقف القديس بولس من أنسيمس العبد حين رده إلى فليمون قائلاً " ... لأجل ابنى أنسيمس ... أن تقبله ... لا كعبد ... بل أخاً محبوباً ... " (رسالته إلى فليمون) ، وما جاء القديس بولس بجديد هنا إنما كرر ما فعله سيده له المجد من قبل حين جاءه قائد المئة قائلاً " غلامى (أى خادمى) ياسيد مطروح فى البيت مريض جداً " . فكانت إجابة الرب " أنا آتى وأشفيه " (لو٧) .

وهكذا ألغى الفوارق الطبقية بين السادة والخدم ، وحول اتجاه البشرية إلى جوهر النفس الإنسانية وقيمتها ، وليس إلى مجرد المظهر الخارجى أو نوع المهنة . ومن هنا اتبعت الكنيسة هذا المنهج نفسه فى تحرير العبيد المسيحيين ، ولاسيما فى مناسبة عيد القيامة (*) ، بل ومنعت أولادها من امتهان بعض المهن التى تشوه حياتهم المسيحية الداخلية .. كالمصارعة والمبارزة لكنها فى الوقت نفسه كانت توجد لهم مهناً بديلة حتى يعيشوا عاطلين (*) . وجاء هذا تأكيداً لقيمة العمل التى تحدث عنها القديس بولس فى مواضع كثيرة كما فى رسالته الثانية إلى كنيسة تسالونيكى بقوله " إذ أنتم تعرفون كيف يجب أن يُتمثل بنا لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم ولا أكلنا خبزاً مجاناً من أحد بل كنا نشتغل بتعب وكد ليلاً ونهاراً لكى لا نثقل على أحد منكم .. إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً " (٢تس٣ : ٧ ـ ١٠)، وجاءت الرهبنة المصرية تؤكد هذا المبدأ فى قوانين الشركة التى وضعها القديس باخوميوس فقد ذكر أحدها أن " العمل عبادة " وهو مبدأ لا يقتصر على أن يعطى للفرد كياناً اجتماعياً وإنما به يزداد إنتاج المجتمع ليصل إلى مستوى الرقى المنشود.

خامساً : التربية الجمالية

ويُقصد بها تنمية اتجاهات التذوق وحب الجمال لدى الأطفال فيشعرون بقيمة الفن فى مختلف صوره الطبيعية والإنسانية مما يكون له أكبر الأثر فى تشكيلهم النفسى والعقلى

* راجع سليمان نسيم ـ تاريخ التربية القبطية .
* المرجع السابق .

والاجتماعى . فالبيئة التى تتميز بالتناسق وجمال المناظر الطبيعية ، والبيت ذو الأثاث النظيف المنظم ، والحى الذى يضم حديقة جميلة بأزهارها وخضرتها .

هذه كلها تؤثر ولاشك فى ترقية وجدان الفرد ، وتُكون لديه اتجاه الإحساس بالجمال والتذوق الفنى .

ومن هنا يمكن أن ندرب أولادنا على تأمل جمال الإله نفسه الخالق ، والمدبر والقادر على كل شئ ، وكيف أضفى هذا الجمال المتنوع على خليقته فى أشكالها الإنسانية والطبيعية . ولاشك أن المؤمن يجد فى هذا كله نقطة بدء طبيعية ينطلق منها إلى التأمل فى جمال السماء والفضيلة ، هذه التى ترفعه إليها ألحان الكنيسة الرائعة ، وصلواتها العذبة ، وأعيادها وأصوامها الطقسية ذات النظام البديع الذى يرتبط بالملائكة والقديسين والشهداء .

ويستطيع المؤمن أن يجد فى الفن المعمارى الذى تُشيد على أساسه الكنائس ، وفنون الرسم والنحت المتنوعة التى اتبعها الفنان القبطى ، بوجه خاص ، وهو حفيد الفنان المصرى العبقرى ، فى تقديم الصور التى تبرز موضوعات الكتاب المقدس أو مناظر الرسل والقديسين ، يجد فى هذا كله جمالاً فنياً أخاذاً يرقى بعواطفه ، ويربطه ربطاً وثيقاً بموضوع هذا الفن وجذوره الحية فى سير الآباء الأطهار فينقلها بدوره إلى البيت .. صورة وطقساً . مما يحفزه على التأمل ، ويشجعه على العبادة والنمو الروحى هو وأسرته .

بذلك نكون قد درسنا مظاهر النمو المختلفة فى المجالات الجسمية ، والعقلية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والجمالية ، وحاولنا فى هذه الدراسة ، أن نربط بين أسس التربية العامة من ناحية ، وأسس التربية المسيحية من ناحية أخرى .

لكى نكشف عن نواحى التكامل التربوى فى المسيحية ، وكيف أنها فى عملها على الارتقاء بالإنسان إلى مستوى الخلاص قد ضمنت هذا العمل مفاهيم تربوية لتصل بالإنسان إلى ملء قامة المسيح الذى قيل عنه " وكان وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة ، والقامة والنعمة عند الله والناس " (لو ٢ : ٥٢) ، أى ينمو نمواً متكاملاً من مختلف النواحى .

وبقى أن ندرس التربية الدينية من وجهة النظر المسيحية ، ونرى أن نفسح لها فصلاً مستقلاً حتى نتعمق معناها ومظاهرها وأهدافها ، مقارنين فى وفاء بينها وبين التعليم الدينى حتى يتضح أمام المربى الفرق بينهما .

مفهوم الإنسان فى نظر المسيحية

الإنسان فى نظر المسيحية قمة الموجودات وتاج الخليقة . لقد خُلق على صورة الله ومثاله ، فهو إذاً العالم الصغير الذى توحدت فيه مظاهر الخليقة الروحية والمادية ، خلق حراً قادراً على رؤية وإدراك الحقيقة وتفهم وجوده . إنه لم يُخلق جسداً فقط وإنما وُهب نفساً خالدة ترى الله وتستنير به ، فالنفس جوهر روحى وخلودها أبدى وسر خلودها أنها نسمة من الله . فالمسيحية تؤمن بحرية الإنسان وترى أنه الكاهن الحر العاقل المريد ، والحرية فى نظر المفكر المسيحى منحة جزيلة شرف الله للإنسان بها . ويعتقد أوريجانوس أن الإنسان من خلال حرية إرادته يستطيع أن يصل إلى أعلى درجات الفضيلة ، وأن الله لا يريدنا أن نعمل الفضيلة إلا ونحن فى ملء حريتنا . وإنكار حرية الإرادة فى نظر هذا الفيلسوف المصرى يعنى أن الإنسان ليس كائناً حياً ولا كائناً عاقلاً . فالإنسان يستطيع أن يقبل وصية الله ويعمل على تنفيذها ، وبملء إرادته أيضاً يستطيع أن يرفضها . ويقول القديس أوغسطينوس مؤكداً هذا المعنى " إن حرية الإرادة هى القدرة على قبول تصور ما أو رفضه [١] . ويعلق أحد الفلاسفة على ذلك قائلاً " ولما كانت الفضيلة قائمة فى الإرادة فكل ما هو خير حقاً أو شر حقاً فى حياة الإنسان يتوقف عليه هو نفسه " [٢] .

غير أن الإنسان انحرف بطبيعة الخير وإرادة الخير التى جبل عليها مخالفاً الوصية التى أعطيت له . انحرف عن طلب الخير الدائم إلى الخير الزائل ، بمعنى آخر أساء استخدام حريته وبالتالى أساء توجيه إرادته فحصر فكره فى الحس وابتعد بنفسه عن الصورة الإلهية التى جُبل عليها إذ أن الخطيئة هى انفصال عن محبة الله فى إرادتنا .

---

[١] يوسف كرم ــ تاريخ الفلسفة فى العصر الوسيط .
٢ تاريخ الفلسفة الغربية ــ ص ٤٠٤ .

وبتغاضى الإنسان عن الفضيلة وانحرافه إلى الشر دخل فى دور الفناء والهلاك ولم يكن من المستطاع أن يخلصه منها سوى عمل إلهى يفوق الطبيعة فقد أصبحت الطبيعة البشرية بعد سقوطها فى حاجة إلى خلق جديد .

إن مدلول الخطيئة كما يرى القديس أثناسيوس هى تأمل الإنسان فيما لذاته والابتعاد عن التأمل فيما لله (*) ، وهو حين ابتعد عن الله ــ الخير الأعظم ــ نسى أن الخير هو الوجود ، والشر هو العدم أو هو الانحراف عن الوجود الحقيقى إلى عدم الوجود أى إلى الفناء والموت . فالشر ليس له وجود جوهرى ولكنه وجود لما قصر فكر الإنسان عن رؤية الخير كاملاً . ويقول السيد المسيح له المجد " وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة " (يو٣ : ١٩) . والطبيعة الإنسانية فى حالة الخطيئة تصبح وكأنها فى حالة تعدى على وصية الله . فبالخطيئة تتسلل الرذيلة إلى الإرادة فبدلاً من أن تصبح إرادة الله فى الإنسان هى الفضيلة تنقلب إلى إرادة الشر فيه . والموت هو النهاية الطبيعية لجسد الخطيئة لأن أجرة الخطيئة ليس الموت المادى فحسب ولكن الروحى والأدبى أيضاً . ولكن مما لا يتفق مع صلاح الله وعنايته أن تفنى خليقته بسبب الغواية التى أدخلها الشر . فهل يكون مصير الخليقة العاقلة إلى الهلاك ؟ هنا يتساءل القديس أثناسيوس " هل يحتمل الإله الخالق أن يرى الفساد والشر يسودان البشر ؟ وما الفائدة من خلقهم إذاً (*) ؟ لكن ثمة سؤال مقابل لهذا السؤال وهل الله مسئول عن شرورنا لأنه أعطانا حرية الإرادة وحرية الاختيار ؟ الإجابة بالنفى . لأن الإرادة التى منحنا إياها الله هى خير من حيث أنها قدرة على الاختيار ، وأنه لكمال أن نقدر على التصرف باختيارنا وأن نراعى بإرادتنا الحرة النظام الموضوع من الله ، فيكون ذلك بمثابة تجاوب منا مع إرادة الخالق . ورغم هذه الحرية التى أعطيت للإنسان والمسئولية التى كان يجب أن يتحملها نتيجة انحرافه إلا أن الله رأى أن يعيد تجديده وإنقاذه من هذا الانحراف ، فكان تجسده الإلهى . وكانت عقيدة التجسد فى المسيحية وغايتها

* القديس أثناسيوس ــ تجسد الكلمة ص٩ .

* القديس أثناسيوس ــ تجسد الكلمة ص ٢٣ .

خلاص الإنسان من خطيئته ، ذلك أن فكر الإنسان كان قد أنحصر فى الأمور الحسية فلكى يستعيد الإنسان صورته الإلهية وجب أن تنتقل أحاسيسه إلى شخص الله من جديد وتتركز مشاعره فى الذات الإلهية . ولا يستطيع الإنسان أن يحقق هذا إلا إذا عاين الله فى صورة حسية ، وهذا هو التجسد (*) .

أثر عقيدة التجسد فى التربية

تعتقد المسيحية أن الطفل يولد وآثار هذه الخطيئة عالقة به ، فما الوسيلة إلى تخليصه منها ؟ هل تأتى عملية الولادة الروحية أى عقيدة العماد لتطهير نفس الطفل وغسلها من خطيئته الأولى ، والمولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح (يو ٣ : ٦) . ولكن لكى يحيا الإنسان فى هذه الحياة الجديدة لابد أن يلبس المسيح إراديا فى التوبة كاستمرار ونمو لهبة التجديد التى أعطيت له فى المعمودية. من أجل هذا ترتبط هذه العقيدة بعملية تربوية على أكبر جانب من الأهمية هى أن الوالدين يتعمدان بالعناية على سلامة الطفل وخاصة من الناحية الروحية ويقدمانه إلى الكنيسة لممارسة الأسرار الإلهية ، ثم يسلمانه للمرشد الروحى عندما يبلغ أشده ليتعهده بالرعاية ويتأكد من استمرار توبته ، وغذاء عقله بالمعرفة ، واستنارته بالحق الإلهى .

تمهيد بدراسة مفهوم الإنسان فى نظر المسيحية

الهدف الأساسى للتربية الدينية المسيحية

تتحرك أهداف التربية الدينية ، من وجهة النظر المسيحية ، فى إطار هدف عام أساسى هو تكوين إنسان الله الكامل الذى يتشبه بسيرة الرب يسوع ويتتلمذ له . يقول الرب " فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل " (مت ٥ : ٤٨) ، كما يقول له المجد " لأنى أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً " (يو ١٣ : ١٥) ، أى أن التربية المسيحية ليست مجرد تعاليم تلقن ، أو مناهج تدرس ، وإنما هى حياة تُسلم بالمثال والسيرة ثم بالتعليم والتلمذة وتؤكد أقوال الآباء القديسين

* القديس أثناسيوس ــ تجسد الكلمة ص ٢٥ .

هذه الحقيقة الهامة والأساسية . يقول القديس يوحنا الحبيب عن اختياره للحياة مع الرب " الذى كان من البدء الذى سمعناه ، الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه ، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكى تكون لكم شركة معنا أما شركتنا نحن فهى مع الآب وابنه يسوع المسيح " (١يو١ : ١ ــ ٣) . وهذا ما يؤكده القديس بولس الرسول حين يتحدث إلى تلميذه القديس تيموثاوس قائلاً " وأما أنت فقد تبعت تعليمى وسيرتى وقصدى وإيمانى وأناتى ومحبتى وصبرى واضطهاداتى وآلامى ... وأما انت فاثبت على ما تعلمت وأيقنت عارفاً ممن تعلمت " (٢تى٣ : ١٠ ــ ١٤) ، وكذلك فى رسالته إلى المؤمنين بكنيسة كورنثوس يؤكد الفكرة نفسها حين يقول لهم " كونوا متمثلين بى كما أنا أيضاً بالمسيح " (اكو١١ : ١ ، فى٣ : ١٧) .لكن تمثلنا بالرب وبقديسيه وتكوين الإنسان المسيحى الكامل لا يمكن أن يتحقق فقط فى مجرد السلوك الخارجى ، أو الصورة المرئية الظاهرة ، وإنما يجب أن يتحقق أولاً فى أن يحيا الإنسان بالمسيح بل أن يحيا المسيح فيه . يقول القديس بولس " مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ " (غلا ٢ : ٢٠) ،وهكذا يصبح الهدف الأساسى من التربية الدينية المسيحية أن نحول حياة تلاميذنا إلى حياة المسيح فيهم ، أى إلى حياة أساسها عمل المسيح فى باطن المؤمن ليثمر حياة كاملة ، خفية وظاهرة ، فيكون مسيحياً بالعمل والحق ، وليس مجرد متدين له صورة التقوى لكنه ينكر قوتها .

نقطة البدء فى تحقيق أهداف التربية الدينية

ومما يساعد على تحقيق هذا الهدف الأساسى أن المعلم لا يبدأ مع التلميذ من نقطة الصفر ، فالتلميذ يأتى إلى المدرسة الابتدائية مزوداً بالكثير من الخبرات اللغوية والحركية والاجتماعية وربما الدينية . لكن خبراته الدينية ، رغم أنها محدودة إلا أنها تحمل الأساس المتين لاستكمال النمو الروحى . ذلك أنه بنواله سر المعمودية يكون قد حصل على الولادة الروحية أى أصبح مولوداً من الله . وبعد المعمودية يُمسح بالميرون المقدس وبه يصبح مسكناً للروح القدس . يقول يوحنا الحبيب " وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شئ وهى حق

وليست كذباً ، كما علمتكم تثبتون فيه " (١يو٢ : ٢٧) . فبحصول الطفل على هذين السرين المقدسين واستحقاقه بعد ذلك التقدم لسر التناول يصبح عضواً فى جسد الرب ، وقطعة حية نابضة من جسد الكنيسة المقدسة . فالتربية الدينية لا تعتبر شيئاً دخيلاً عليه . إنه ضمن حملان المسيح " الراعى الصالح " فيه تقدس روحاً وعقلاً وجسداً فأصبح هيكلاً لحلول الروح القدس كقول القديس بولس الرسول " أما تعلمون انكم أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم " (١كو٣ : ١٦) ، ومعنى ذلك أنه ليس المعلم هو الذى يجعل الطفل يحيا حياة المسيح وإنما هى فاعلية الروح القدس الباطنية ، وما دور المعلم سوى إشعار تلميذه بهذه الفاعلية ، وتسليمه لعمل النعمة الخفى فتنمو الكلمة الإلهية فى داخله كما تنمو البذرة فى باطن الأرض .

بين التعليم الدينى والتربية الدينية

ولذلك نجد أنه من الضرورى لفت نظرك إلى المقصود بالتعليم الدينى والمقصود بالتربية الدينية ، لتعرف الفرق بين أهداف كل منهما فنحن لا نريد أن تتحول دروس الدين إلى مجرد إعطاء معلومات أى مجرد تعليم ، لأن معنى ذلك أن الخبرة الدينية لن تتعدى دائرة العقل . والوقوف عند حد فهم الخبرة الروحية وتعقلها دون الإحساس بها قلبياً ووجدانياً ، ثم ممارستها عن اقتناع وفهم ، أى نجنى منها مجرد فهم ذهنى يطفو على سطح الحياة دون أن يمتد إلى أعماقها . أما إذا جعلنا من التعليم الدينى عنصراً من عناصر التربية الدينية فإننا نكون قد اتبعنا خطة السيد المسيح فى بناء الشخصية المسيحية لأنه بقدوته ومثاله وكماله أعطانا صورة للنموذج والنمط الذى يريدنا أن نحققه فى حياتنا . أما تعاليمه فقد أوضحت لنا الطريق إلى اتباع هذا النموذج .

ونفصل الحديث عن أهداف التربية الدينية ، ثم عن أهداف التعليم الدينى ليتضح من المقارنة ما بينهما من فروق وحتى نتعرف من ناحية أخرى إلى نقط اللقاء بينهما وذلك ليتمكن المعلم من تمييز موقع درس الدين من هذه الأهداف جميعاً فلا يؤديه الأداء النمطى التقليدى وإنما يجعل منه انطلاقة جديدة على الطريق إلى الحياة الأفضل ودفعة روحية لزيادة ارتباطه وارتباط الطفل بالله .

أهداف التربية الدينية

أولاً : تنقية النفس من الداخل

يقول الرب " طوبى لأنقياء القلب . لأنهم يعاينون الله " (مت٥ : ٨) ، ويقول أيضاً " ها ملكوت الله داخلكم " (لو١٧ : ٢١) . ومعنى ذلك أن المربى يجب أن يهيئ المجال لتحقيق التلامس السرى بين النفس وبين ملكوت الله الذى فى داخلكم وهو التلامس الذى من شأنه يحدث عمل التنقية إذ بدون تلامس النفس مع الحق الكامن فيها بسرى المعمودية والميرون لا يمكن أن تحدث هذه التنقية . أما وسيلة إحداث هذا التلامس فهى كلمة الله نفسه .يقول الرب " أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذى كلمتكم به " (يو١٥ : ٣) ، فكلمة الله التى يوصلها المعلم لأطفاله تقوم بعملية التنقية . وبالنسبة للطفل بالذات الكلمة ذات فاعلية أكثر وبالتالى قادرة على إحداث تنقية أعظم ، فتتفتح بصيرته الداخلية ويتطلع إلى ممارسة الفضيلة المسيحية عملياً .

ثانيا : التطبيق العملى للوصية المسيحية

إن تنقية وعمل النعمة السرى فى النفس الباطنة يؤدى بالطبيعة والضرورة إلى أثمار الفضيلة العملية فى الحياة الشخصية وفى السلوك العام . ولأن المحبة هى أم الفضائل فإن تطبيق مبادئها هو فى الواقع تطبيق للمبادئ المسيحية . فالرب يسوع لا يقف بنا عند مجرد المحبة التى بالكلام أو باللسان وإنما يأمرنا أن نمارسها بالعمل والحق . يقول له المجد " لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم . أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك " (مت٥ : ٤٦) ، فهو يريد منا كمؤمنين أن نسمو فوق مستوى طبيعتنا الإنسانية التى تجعلنا نحب من يحبنا فقط ، ونكره ونعادى من يكرهنا ويعادينا ، ذلك أننا عند هذا الحد نكون بشراً طبيعيين . أما إذا كنا قد تجددنا بالميلاد الثانى ، ولبسنا الرب يسوع وشابهناه فى البر وقداسة الحق فإننا لن نشعر بضيق حين نسمعه يخاطبنا " وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعدائكم ، باركوا لاعينيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم " (مت ٥ : ٤٤) . لكن الذى أوصانا بالتناهى فى المحبة إلى هذه الدرجة هو نفسه الذى أمرنا فى حالة ارتكاب أحد

الأخوة خطأ فى حقنا بأن نعاتبه فقد قال له المجد " إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما . إن سمع منك فقد ربحت أخاك . وإن لم يسمع فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكى تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة . وإن لم
يسمع منهم فقل للكنيسة . وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار " (مت ١٨ : ١٥ ــ ١٧) .أى أن تطبيق وصية المحبة يجب أن يكون نابعاً من فهم متكامل لوصايا المسيح من ناحية ، ومن الاسترشاد بالروح القدس الساكن فينا من ناحية أخرى . ودور التربية الدينية هو التدريب على تنفيذ الوصية الإلهية فى تكامل يجمع بين القبول من جانب ، وبين الوعى والفهم وحسن التقدير من الجانب الآخر .

ثالثاً : تقوية الإيمان بالحياة الأبدية

ويشمل تقوية الإيمان بخلود الروح ، والقيامة الثانية ثم الدينونة الأخيرة ، فالنفس الإنسانية منذ خلقتها ثم ممارستها الحياة وهى مرتبطة بالجسد على هذه الأرض ، والميل إلى التعبد كامن فيها يكاد أن يكون إحدى قواها الفطرية ، ودور المربى المسيحى أن يحمل من هذا الإيمان سلوكاً عملياً يتضمن خشية الله ، والتسليم الكامل لمشيئته ، وانتظار مجيئه الثانى ، والاستعداد للدينونة ليس عن خوف وإنما عن حب وطاعة وتقبل لوصاياه .

رابعاً : ممارسة وسائط النعمة

إن التدريب على ممارسة وسائط النعمة ، عن اقتناع وهيبة للثبات فى حياة الفضيلة ، بالمواظبة على العبادة ، والتوبة المتجددة اليومية يعطى اختبار النصرة على أهواء النفس والجسد ، وعلى قوى العالم المعثرة ، ومحاربات إبليس الشرير ، وذلك النعمة الموهوبة . يقول القديس بولس الرسول " لا أنا بل نعمة الله التى معى " (١كو١٥ : ١٠) ، كما يقول " أستطيع كل شئ فى المسيح يسوع الذى يقوينى " (فى٤ : ١٣) .

خامساً : فعل الفضيلة من أجل المسيح

يقول له المجد " إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى " (يو١٤ : ١٥) ، فالمؤمن الحقيقى يطبق وصية المسيح ، أى يعيش فضائله حباً فيه ولذلك فلا يهمه إن مدحه الناس أو لم

يمدحوه . بل إن هذا المؤمن ملتزم أن يعمل الفضيلة فى الخفاء ، فقد علمنا ربنا له المجد أننا إذا عملنا صدقة ، أو اختلينا للصلاة أو مارسنا الصوم وجب علينا ألا نظهر للناس شيئاً من هذا بل أن نمارسه فى الخفاء ، " وأبوكم الذى يرى فى الخفاء هو يجازيكم علانية " (مت٦ : ٤) ، وإتيان الفضيلة المخفاة يؤدى إلى مجموعة من النتائج العملية ذات الأثر الاجتماعى الهام .. كالنزاهة .. والأمانة .. والوفاء .. والبعد عن التعصب .. والتغلب على الأنانية ، وهذه الفضائل يمارسها المؤمن فى حياته الشخصية وحياته العامة .. فى بيته وعمله وبين أقاربه وجيرانه وزملائه ، وفى مختلف المجالات التى يتعامل معها ، بصرف النظر إن كانت هناك متابعة أو مراقبة أم لا لأنه يمارسها بالضمير الروحى والمسئولية الأدبية أمام الله جلت قدرته ، ولعل دور التربية الدينية هنا يصبح دوراً مزدوجاً فهو يعد الفرد الأمين النزيه المترفع عن الدنايا ، كما يعد فى الوقت نفسه . المجتمع الذى يقدر الفرد النزيه فيكافئه ويفخر به .

سادساً : اكتساب القدرة على مواجهة المشاكل والآلام فى صبر وحكمة

ذلك أن المؤمن الحقيقى يتميز بالثبات فى احتمال الألم . ومشكلات الحياة متباينة ، وقد تكون متلاحقة . وتحتاج مواجهتها إلى فضيلة الصبر والتدريب على السلوك بروح الصلاة مع الصوم ، كوسيلة لطلب الإرشاد واستجلاء السبيل الإلهى كما تختاره وتحدده إرادة الله ، وأيضاً تدخل الله للتغلب على هذه المشكلات .

والمؤمن الذى أثمرت فيه التربية الدينية هو الذى يسلم حياته ومشكلاته وهمومه لإلهه القادر الأمين فى عمل الخير .

سابعاً : حياة التلمذة المتصلة

فحياة المؤمن تلمذة متصلة لا ينقطع خلالها عن السعى فى طلب الكمال المسيحى بالاستفادة مما يمر به من خبرات ، وبموالاة الدراسة ومتابعة الجهاد الروحى . وهنا تلعب قدرة المعلم دوراً خطيراً فى توجيه تلاميذه إلى الاتضاع الروحى ومواصلة طلب المعرفة الروحية مهما بلغنا من السن .

ثامناً : احترام وتقدير حياة التكريس للخدمة

إن المؤمن يجب أن يقدم أثمن وأغلى ما عنده لله لا افتخاراً أو تباهياً وإنما حباً وعرفاناً . ومن خلال التربية الدينية السديدة يمكن للمؤمن أن يكتشف نفسه وقدراته ، فيقدمها وزنات طاهرة كوكيل أمين على نعمة الله . والتكريس للخدمة يمكن أن يكون كلياً بتقديم الحياة كلها محرقة على مذبح الحب والخدمة ، ويمكن أن يكون جزئياً بتقديم الإمكانيات التى وهبها الرب للمؤمن كذبيحة حية مرضية ، ومن مجموع هذه المواهب والوزنات تسير كنيسة الله إلى التكامل والكمال المطلوبين .

تاسعاً : تطبيق قيم حياة الشركة تطبيقاً عملياً

لقد مارست الكنيسة منذ نشأتها وعلى مدى تاريخها الطويل حياة الشركة ، " فقد كان كل شئ فى العصر الرسولى بين المؤمنين مشتركاً " (أع٤ : ٣٢) ، ولكن حياة الشركة لم تقف عند حد الاحتياجات المادية ، إنما تعدتها إلى شركة الشعور ، وشركة البذل ثم المشاركة فى آلام الشهداء .

وقد اهتمت الكنيسة برعاية عائلاتهم بالرغم من أن مواردها لم تكن لها صفة الثبات ، ولا الإجبار وإنما كانت تعتمد على التقدمات الاختيارية من ناحية ، وعلى العمل وبذل الجهد من ناحية أخرى . ويقول القديس بولس الرسول " أنتم تعلمون أن حاجاتى وحاجات الذين معى خدمتها هاتان اليدان . فى كل شئ أريتكم أنه هكذا ينبغى أنكم تتعبون وتعضدون الضعفاء متذكرين كلمات الرب يسوع أنه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ " (أع٢٠ : ٣٤ ، ٣٥) .

هذه هى أهداف التربية الدينية ، من وجهة النظر المسيحية ، وطبيعى أنها الأهداف التى يجب أن تتضح أمام المعلم أولاً ، ثم أمام التلميذ ، ومن خلال تعمق المعلم لها ، يمكن أن يطعم دروسه بها . المهم أن يتأكد لدى المعلم أن الدرس ليس وحدة منفصلة ، أو قائمة بذاتها ، ولكن الدرس ، كل درس ، هو فى حقيقته حلقة فى سلسلة مناهج مرتبطة تؤدى أو مفروض أنها تؤدى فى نهايتها إلى تحقيق هذه الأهداف .

واستكمالاً لهذه الدراسة التربوية نوضح أهداف التعليم الدينى ليكون المعلم على بينة من الفروق الواضحة بين التعليم الدينى والتربية الدينية . حقيقة أن هذه المقارنة أحد موضوعات مادة أصول التربية لكن مادة أصول التربية الدينية فى المفهوم المسيحى ربما تحتاج إلى توضيح أكثر حتى نتعرف إلى وسائل تحويل القيم والمثل والمفاهيم الدينية إلى سلوك فعلى . وإذا كنا نوضح أهداف التعليم الدينى ، فلكى يقف المعلم على نقط اللقاء بينها وبين أهداف التربية الدينية فتتكامل العملية التربوية بالنسبة لخدمة درس الدين كوسيلة من وسائل بناء الشخصية الروحية والاجتماعية الناجحة .

أهداف التعليم الدينى

لئن كان التعليم الدينى ، كما سبق أن بّينا ، عنصراً من عناصر التربية الدينية ، وجزءاً منها لا يتجزأ ، لكنه مع ذلك له الأهداف الخاصة به . فكثيراً ما ذكر عن السيد المسيح أنه " كعادته كان يعلم " ذلك أن ممارسته للتعليم ارتبطت ببناء النفس البشرية وخلاصها فكان تعليمه مستمراً غير منقطع ، بدأه وهو بعد فى الثانية عشرة من عمره حين ذهب إلى الهيكل وجلس بين المعلمين يسمعهم ويسألهم (لو٢ : ٤٦) . أما كلمته التى كثيراً ما كان يكررها ليؤكد بها رسالته فكانت " ينبغى أن أكون فيما لأبى " (لو٢ : ٤٩) ، فلما خرج إلى خدمته الجهارية فى سن الثلاثين لم يكن يتأخر – حتى وقت تناول الطعام – أن يسمو باهتمامات تلاميذه إلى أفضلية رسالة الخدمة والتعليم بقوله له المجد " طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله " (يو ٤ : ٣٤) ، أى أن أكرز بالكلمة ليخلص بها الناس .. وبذلك توحدت سيرة السيد المسيح مع تعليمه فى منهج متكامل ، قدمه للإنسانية لتحياه وتسلمه ترثاً روحياً نقياً للأجيال .

ويمكن أن نلخص أهداف التعليم الدينى فيما يلى :

أولاً : من حيث التعليم الدينى تسليم لمفهوم الإيمان

١. **تسليم هذا المفهوم تسليماً أميناً وصحيحاً :** فمن صميم عمل المعلم أن يعلم كلمة الحق بالاستقامة ، يفصلها ويوضح مضمونها للمؤمنين ولاسيما الأطفال بالطريقة التى

تناسبهم . يقول القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس " وأما أنت فاثبت على ما تعلمت وأيقنت عارفاً ممن تعلمت . وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص بالإيمان الذى فى المسيح يسوع " (٢تى ٣ : ١٤ ، ١٥) ، هذا التسليم يعاون التلاميذ على تغيير ما لديهم من مفاهيم خاطئة سابقة ، ويقودهم إلى الاستنارة الحقيقية بالإيمان . والإيمان هنا يشمل الإيمان بالله الخالق ، الله المتجسد ، الله الفادى ، الله المدبر لحياتنا ، كما يشمل تصديق كل ما جاء به الوحى الإلهى فى الكتب المقدسة المعترف بها ، وكما علمت بها كنيسة المسيح الأرثوذكسية .

٢. **التعريف بالكتب المقدسة والكنسية :** كمصدر من مصادر التعليم الدينى وتحديدها والتعرف إلى محتواها لإدراك مدى قيمتها من ناحية وكيفية استخدامها من ناحية أخرى ، وأيضاً تطبيق ما جاء بها .

ثانيا : من ناحية بيان وضع المسيحية ونتائجها تاريخيا

١. **تبين مكانة المسيحية من تاريخ البشرية :** أى من التاريخ الإنسانى ككل ، ودراسة الظروف التى ظهرت فيها وكيف تحققت بظهورها أقوال الأنبياء السابقين فهى حلقة فى سلسلة العمل الإلهى فى خلاص الإنسان ، غايتها إتمام عمل التجسد والفداء . ومجال هذا دراسة ما جاء فى الكتاب المقدس من ناحية، وما أثبته التاريخ من كشوف من ناحية أخرى . يقول القديس بولس الرسول "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس . ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى " (غلا ٤ : ٤ ، ٥) ، كما قال أيضاً فى رسالته إلى العبرانيين ليوضح لهم توقيت مجيء المسيح " الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه " (عب ١ : ١ ــ ٢) .

٢. **دراسة الآثار العميقة والتغييرات العظمى :** التى أحدثتها المسيحية فى المجتمع الإنسانى وفى النفس الإنسانية ، وقد يتطلب هذا دراسة مقارنة لأحوال المجتمعات قبل وبعد المسيحية من النواحى الروحية والنفسية والاجتماعية والأدبية .

ثالثاً : من حيث توضيح الغايات الروحية للمسيحية

١. **دراسة وسائط النعمة :** الأسرار المقدسة ، طرق العبادة ، سير القديسين ، الصداقة الروحية ، ويتطلب هذا تعريف التلاميذ تحديات الإيمان ، وأسباب تعويقه وانتشاره ، وبذلك يرتبط التعليم الدينى بالمشكلات اليومية للأولاد ، ومفروض أنه بالتدريج يصبح إحدى وسائل حلها .

٢. **فهم الفضائل المسيحية فهماً واعياً :** مستنيراً بلا لبس أو خلط . على سبيل المثال هناك فرق كبير بين رذيلة الضعف وامتهان الكرامة ، وبين فضيلة التسامح لأجل محبة المسيح التى تتطلب قهر الغضب ، وضبط النفس واللسان .

٣. **التعريف بالحياة الأبدية وأسرارها المذخرة للقديسين :** المنتصرين الذين حفظوا الوصية وجاهدوا الجهاد الحسن وأكملوا السعى .

وتوضيح طليعة هذه الحياة بما جاء عنها فى الكتاب المقدس ، ثم ما ذكره التاريخ الأقدس من حوادث ورؤى وما شهد به عن القديسين المنتصرين .

٤. **معرفة قيمة النفس البشرية :** ووزنها الكبير فى نظر الله ، وتعدد المواهب التى أعطيت لها ، وأهميتها فى تكامل الخدمة سواء فى الكنيسة أو فى المجتمع المحلى أو المجتمع الإنسانى العام .

٥. **توثيق الصلة بين القيم المسيحية وبين مثل حياة الشركة :** وما تميزت به هذه الحياة – خاصة فى العصور الأولى – من تعاطف وبذل وإبراز حقيقى واقعى لاشتراكية الحب والخدمة والبذل .

رابعاً : التعليم الدينى والتعريف بالكنيسة

أى التعريف بمعناها وتاريخها ، وأسرارها ، وطقوسها ، والرموز التى ترمز إليها فى الكتاب المقدس باعتبارها عمود " الحق وقاعدته " ، كما وصفها القديس بولس الرسول ، وباعتبارها النافذة التى نطل منها على السماء ، ولأنها بيت الملائكة وبيت الله .

خامسا : ربط التعليم الدينى بالمحفوظات الروحية

من فصول الكتاب المقدس والمزامير والتراتيل ، والألحان الكنسية المناسبة ، فهذه تعتبر بمثابة الزاد الروحى الذى يغذى الأطفال ويكون ذخيرة لهم على مدى مراحل عمرهم .

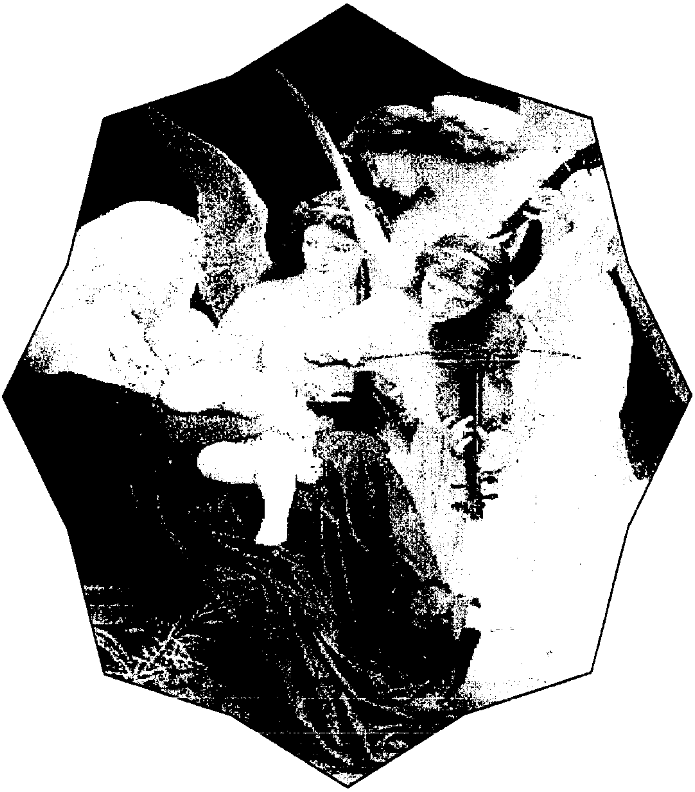

الفصل الثانى

عوامل التربية

١ ــ دور المنزل

+ اهمية الاسرة

+ وظائف الاسرة

٢ ــ المدرسة كمجال للتربية

٣ ــ الكنيسة كمجال للتربية

٤ ــ التربية الكنسية كمجال للتربية

٥ ــ المسيح المربى

٦ ــ المعلم الكنسى واجباته وشروطه .

الفصل الثانى

عوامل التربية

لكى تتم عملية التربية لابد لها من وسط اجتماعى يتعامل الطفل معه وينمو من خلال تفاعله مع أفراده . والمنزل هو أول هذه الأوساط تليه المدرسة فالمجتمع الخارجى . وبالنسبة للتربية الدينية نضيف الكنيسة كوسط للنمو الروحى .

ونحاول أن ندرس هذه الأوساط التربوية بالتفصيل ثم نتتبع ما يمكن أن يقوم بينها من علاقات تساعد على تحقيق أهداف التربية المطلوبة .

أولاً : دور المنزل فى التربية الروحية

المنزل والتربية المنزلية

تأتى أهمية التربية المنزلية فى توجيه نمو الطفل فى ضوء الاعتبارات الآتية :

١. مرونة الطفل فى سنواته الأولى ، وقابليته للتشكيل والتأثر بكل ما يقع تحت حواسه .
٢. طول فترة طفولة الإنسان ، وأثر ذلك فى طول الفرصة المهيأة أمام الوالدين لتوجيه أطفالهما .
٣. المنزل هو البيئة الاجتماعية الأولى التى تستقبل الطفل فهو يتلقى بها أولى خبراته ، وبها تتفتح مداركه لأول مرة على من فيها من أشخاص وأولهم الأم ، وعلى ما يسود بين أفرادها من علاقات . ولاشك أن لتماسك الأسرة أو تفككها، واستقرارها مادياً ونفسياً أو عدم استقرارها ، لهذا كله أكبر الأثر فى توجيه نمو الطفل وتحديد اتجاهات سلوكه .
٤. إن لغريزة التقليد عند الطفل فى مراحل نموه الأولى تأثيراً كبيراً فى نقل انطباعات البيئة المنزلية وروح التعامل بين أفرادها إليه واندفاعه إلى تقليدهم فى تفاصيل سلوكهم ، وقد أثبت علماء التحليل النفسى أن ما يتطبع به الطفل فى مراحل نموه المبكرة له تأثير كبير فى توجيه سلوكه فى مراحل نموه التالية .
٥. إن العناية الصحية بالطفل فى مرحلة نموه المبكرة تأثيراً كبيراً على نموه الجسمى ، والعقلى ، والنفسى ، وتجنيبه الكثير من الأمراض .

٦. للحياة الاقتصادية فى الأسرة تأثير كبير فى حياة الفرد حيث أن الفقر والغنى لهما تأثير واضح في مدى توفير أسباب الراحة والصحة والترفيه وهى الحاجات الضرورية للفرد . فكلما توفرت هذه الحاجات تيسرت أمامه الحياة ، وتهيأت وسائل النمو السليم فتحققت له السلامة النفسية والجسمية .

٧. والحياة الثقافية فى المنزل لها أثرها الكبير فى حياة الطفل فمدى اهتمام الوالدين بالقراءة والاطلاع ، واقتناء الكتب ، وتقديرهم للعلم والمعرفة ، هذه كلها لها تأثيرها فى نموه العقلى والاجتماعى . وقد أثبتت إحصاءات التعليم أن نسبة التفوق كبيرة من أبناء المهتمين بالعلوم والمعارف .

أى أن الطفل تتوافر له فى منزله ـ فى مرحلة من أدق مراحل نموه ـ عناصر فعالة فى تكوين شخصيته وسلوكه ، وأسلوبه فى التعامل فى الحياة بعد ذلك حتى ليعتقد بعض علماء النفس أن اتجاهات الطفل المميزة تتكون فى الأغلب من خلال التربية المنزلية ، فى هذه المرحلة بالذات . حقيقة إن هذه الاتجاهات قابلة للتغيير بعد ذلك من تأثير عوامل التربية المختلفة ، ولكنها ـ على العموم ـ لها تأثيرها فى مراحل النمو التالية :

تأثير البيئة المنزلية

١. فى المدن تتكون فكرة الطفل عن نفسه . وفكرته عن نفسه ما هى فى الواقع إلا انعكاساً لفكرة الآخرين عنه . ولما كان أفراد الأسرة هم أول من يتعامل معه الطفل ، فإنه بالتدريج يأخذ فى فهم نفسه فى ضوء هذا التعامل .

٢. فى اتصال الطفل بأخوته ، وخاصة إذا كانوا قريبين منه فى السن ، فرصة لتعلم فكرة الحق ، وفكرة الواجب ، وكسب الخبرة في الأخذ والعطاء ، وهذه إذا وجهت توجيهاً سليماً تكون أساساً للتكيف الاجتماعى السليم ولانتفاء كثير من مظاهر الأنانية وسوء التكيف مع المجتمع .

٣. لقدوة الوالدين فى السلوك والتصرف تأثير شديد فى امتصاص الصغار لروح السلوك والتعامل . ولاشك أن صور التعامل بين الوالدين ، وبينهما وبين الخدم والجيران

والأصدقاء والأقارب ، تؤثر تأثيراً واضحاً فيما يعتنقه الطفل فيما بعد من قيم إذ أنها تترك صوراً ذهنية تكمن فى العقل الباطن وتلون شكل السلوك العام للطفل .

٤. إن لإشباع حاجات الطفل النفسية فى مراحل نموه المبكرة بطرق سوية لا تميل إلى القهر ولا تجنح إلى التدليل وهى الحاجة إلى الأمن ، والعطف ، والتقدير ، والحرية ، والنجاح ، والضبط ، تأثيراً واضحاً فى نمو الطفل النفسي وتجنيبه الشعور بالخوف أو النقص أو الفشل . وهنا يبدو أثر معاملة الوالدين واضحاً فى عدم تمييزهم الواحد عن الآخر ، أو تفضيل الولد عن البنت ، فإن لهذا التمييز آثاراً نفسية بعيدة المدى فى إصابة الأطفال بالغيرة التى قد تتحول مع الوقت إلى شعور بالعدوان والرغبة فى الانتقام والتعويض عن العطف المفقود بوسائل شاذة .

٥. إن اتباع نظرية الجزاء والعقاب منذ الصغر بطرق سليمة يؤدى ولاشك إلى تعريف الطفل بالخطأ والصواب بشرط أن يخلو العقاب من روح الانتقام والعنف ، وأن يخلو الثواب أيضاً من مكافأة الطفل على ما يجب أن يقوم به من أعمال أو يؤديه من واجبات حتى لا ينتظر المكافأة على كل ما يعمل مما يجعله أنانياً ضعيف الشخصية لا ينظر إلى الأمور نظرة طبيعية .

وكلما تحول الثواب من المستوى المادى إلى المستوى المعنوى أو النفسى ، كان ذلك أدعى إلى نمو الطفل نمواً سليماً واتباعه السلوك المرغوب فيه بطريقة أفضل . كذلك يجب ألا يعاقب الطفل على خطأ واحد أكثر من مرة ، وأن لا يعود الوالدان إلى معايرة الطفل بهذا الخطأ بعد ذلك .

مما سبق يتبين أن الطفل فى مراحل نموه المبكرة وعلى الأخص فى الخمس السنوات الأولى ، يكون تحت تأثير والديه ، وبإمكانهما أن يستفيدا من خصائص النمو فى هذه المرحلة ، ومن مرونة واستعداد أطفالهما للتوجيه فى تربيتهم التربية السليمة التى تجعل منهم مواطنين أكفاء نافعين ، وتجنبهم في الوقت ذاته الكثير من أسباب الانحراف والشذوذ . ولكن كيف يتحقق ذلك ؟ .

واجب الوالدين

وتحقيق هذا مرهون بسلوك الوالدين وقدوتهما الطيبة أو السيئة ، فإن لهذه أكبر الأثـــر فى طبع الروح المنزلية بطابع خاص هو الذى يمتصه الطفل ثم ينعكس على سلوكه . كذلــك عليهما أن يقيما علاقاتهما معاً على أساس المحبة والاحترام المتبادلين ، وأن يتبعـــا معاملـــة ثابتة مع أولادهما تجمع بين العطف والحزم ، وتعطى للطفل فرصة الحرية وإنما في إطـــار الضبط والنظام وتربى فيه الثقة بالنفس ، واحترام حريات الآخرين ، ومشاعرهم ، وتنمى فيه القدرة على الكف وضبط النفس وحسن التعامل مع الغير .

ويخطئ كثيرون من الأمهات والآباء بتدخلهم فى كل صغـــيرة وكبـيرة فـــى حيـــاة أطفالهم ، وبمحاولة تقييد تصرفاتهم ، بإرادة وبدون إرادة ، وقد يلجأون فى سبيل ذلك إلـــى وسائل العقاب والعنف والقهر مما يترتب عليه كبت حرية الطفل وإشعاره بالحرمان فيصـــاب بالتردد والجبن ويفشل فى تكوين النظرة الصائبة للأمور .

ومن الآباء من يرى فى أطفاله فرصة لتعويض ما يشعر به هو من نقص كالنقص فى التعليم مثلاً ، أو النقص فى الشخصية ، والفشل فى السيطرة على من حوله ، فهنا يتبع مـــع أطفاله وسائل شاذة عنيفة قد تقتل فيهم النزعات الطبيعية للنمو الحر ، فيتعذر عليهم أن ينموا نمواً استقلالياً سوياً .

ولخطورة دور المنزل فى التربية أنشئت فى بعض البـــلاد مـــدارس لتعليـــم الكبـــار وتوجيههم إلى وسائل التربية السليمة ، حتى تتحقق وحدة اتجاهـــات التربيـــة بيـــن الكبـــار والصغار . أى لا يجد الصغار فى مجتمعهم المنزلى مبادئ وقيم ومثل تختلف اختلافاً كليـــاً وجزئياً عن تلك التى يتعاملون بمقتضاها فى المدرسة . والمنزل المصرى يحتاج إلى مثـــل هذا الجهد نظراً لأنه فى الغالب لا يبذل جهداً مقصوداً فى توجيه أطفاله بل ربما كان العكس هو الصحيح إذ كثيراً ما يشجع فيهم الصفات غير المرغوب فيها بإهماله تهيئة الجو المناسب للتربية السوية مما يعطل إعدادهم إعداداً صالحاً للحياة المستقبلة فى المجتمع . فالمجتمع لكى يكون سليماً متجانساً يجب أن يقوم على صفات أساسية مثل التعـــاون وتبـــادل الثقـــة بيـــن

الأفراد ، والاعتماد على النفس ، والمعاملة الصريحة المستقيمة . فإذا لم يدرب الطفل على هذه الصفات فى منزله عجز عن ممارستها في حياته الاجتماعية بعد ذلك مما يؤدى إلى تفكك المجتمع وعدم وصوله إلى الرقى المطلوب .

وإذا كانت هذه هى مسئولية المنزل بوجه عام . فإن هذه المسئولية تزداد بالنسبة للمنزل المسيحى . فإن من يُعطى كثيراً يطالب بالكثير . والمنزل المسيحى قد أعطى شويعة النعمة .. شريعة العهد الجديد ، وهى تتضمن فاعلية تفوق القوة الإنسانية ، والفكر الإنسانى والحكمة الإنسانية . إنها نعمة فاعلة مجددة قادرة أن تجعل من الخاطئ باراً ، ومن الهالك مخلصاً . لذلك نبحث .. فى كثير من التفاصيل .. إمكانيات المنزل المسيحى فى القيام بالتربية الروحية . ونبحث قبل ذلك الأسس الروحية التى أقامت عليها المسيحية المنزل المسيحى ، والتى نظمت بمقتضاها العلاقات الأسرية بين أعضائه . فإن لها أخطر الأثر فى تهيئة الجو السليم للتربية السوية .

الأسس الروحية التى يقوم عليها المنزل المسيحى

١. إكرام المسيحية للطفولة

لقد أكرم السيد المسيح الأطفال ودعاهم إليه دعوة خاصة ، ووضعهم كمثل أعلى فى الطهر والنقاء حتى نبه المؤمنين جميعاً إلى أن تشبههم بالأطفال يعتبر شرطاً أساسياً لدخول ملكوت السموات ، وقد ترك هذا التوجيه أثراً عميقاً فى نفوس الآباء والأمهات ، وكانت إيذاناً بتغير النظرة إلى الطفل فأصبحت نظرة العطف والرعاية بعد أن كانت فى المجتمعات اليهودية واليونانية والرومانية نظرة العنف والقسوة التى بلغت حداً كبيراً إذ كانوا يتخلصون من الأطفال المرضى بالقتل .

وقد أكد القديس بولس هذا التوجيه حين خاطب الآباء " بألا يغيظوا أولادهم لئلا يفشلوا " . بل " يربوهم بتأديب الرب وإنذاره " . وذكر القديس بطرس المعنى نفسه فى عظته التى سجلها القديس لوقا . " لأن الموعد هو لكم ولأولادكم " (أع ٢ : ٣٩) .

وجاء التقليد الكنسى فختم عماد الأطفال مما أكد اعتبارهم ، واعترافه بمقامهم الجديد .

٢. إكرام الوالدين

وكان طبيعياً أن يقترن اهتمام المسيحية بالطفل والطفولة بالجانب المقابل وهو احترام الوالدين وإكرام الأمومة بصفة خاصة . وقد اتفقت شرائع المجتمعات القديمة على احترام الوالدين ، وإكرامهما . فى العهد القديم " أكرم أباك وأمك لكى تطول أيام حياتك على الأرض " .

وفى تقاليد مصر القديمة احتلت وصية الآباء لأبنائهم باحترام أمهاتهم مكان الأهمية . فلما جاءت المسيحية أكدت هذا المعنى فيقول القديس بولس "أيها الأولاد أطيعوا والديكم فى كل شئ لأن هذا مرضى عند الرب" .

وكان هذا فى الواقع تأكيداً لما ذكر عن " الصبى يسوع الذى كان خاضعاً لوالديه " (راجع أف ٦ : ١ ، كو ٣ : ٢٠ ، لو ٢ : ٥١) .

وكان لصورة السيدة العذراء الأم إيحاء قوى فى إبراز معنى الأمومة . كذلك كان اهتمام السيد المسيح بالطفولة مثار اهتمام الآباء والأمهات بها ، وكان لتوجيهها فى ضوورة إكرام الوالدين أكبر الأثر فى نفوس الأبناء ، وبذلك هيأت المسيحية الجو لعلاقات أسرية من نوع جديد .

٣. استقرار الأسرة المسيحية على أسس روحية

ولهذا الاستقرار فى الأسرة وفى العلاقات العائلية أكبر الأثر فى تحقيق أهداف التربية ، فالعلاقة الزوجية فى نظر المسيحية رباط إلهى ، والمحبة بينهما متبادلة (فالمرأة تخضع للرجل ، والرجل يحب المرأة ويحنو عليها) .

وقد أدى هذا التكييف الجديد للعلاقات الزوجية إلى إلغاء تسلط الرجل على المرأة ، وبالتالى إلى إلغاء ظاهرة التسرى ، أو امتلاك الجوارى ، وهى الظاهرة الاجتماعية التى كانت سائدة فى المجتمعات القديمة .

وقد حرمت المسيحية انفصال الزوجين ، ومنعت كسر رباط الزوجية إلا بالموت ، أو بسبب الخيانة الزوجية ، كما منعت تعدد الزوجات ، وأوصت الزوج أن يكون حنوناً على

زوجته ، وبالنسبة للزوجة أن تكرم زوجها وتخافه ولا تخالف أمره ، بل تزيد فى طاعته فى الرب .

٤. الاهتمام بالعبادة العائلية

يقول يوسابيوس المؤرخ إن بعد دخول المسيحية مصر كانت بكل منزل بالأسكندرية وما حولها وبخاصة قرب بحيرة مريوط حجرة للعبادة تسمى القلاية أو الحجرة المقدسة .

فى هذه الحجرة كانوا يمارسون ألوان العبادة المختلفة صائمين عن الطعام والشراب ومتع الجسد ، مواصلين القراءة فى كتب الأنبياء وترتيل الألحان وقراءة أقوال الآباء المقدسة والأناجيل ورسائل الآباء الرسل والتأمل فيها .

وكانت للمدائح والتسابيح أهمية بالغة فى حياتهم الروحية . وكانت هذه العبادات تعطى للمنزل المسيحى طابعاً خاصاً متميزاً عن المجتمع الخارجى المنحل. وكان الطفل يمتص هذا النوع من السلوك الروحى وهو بعد فى بواكير الطفولة حين تتفتح مداركه على أصوات العبادة وألحان السلام والكمال .

وقد جاء هذا تطبيقاً لكلمة السيد المسيح " إذا اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فأنا أكون فى وسطهم " وقد يقصد بالاثنين هنا الزوج وزوجته ، والثلاثة يقصد بهم الزوج والزوجة والطفل أى إذا اجتمعت الأسرة باسم المسيح كان هو فى وسطهم يباركهم ويهبهم نعمته وسلامه.

وللتدليل على ثمار التربية المنزلية المسيحية نذكر أمثلة :

١. فأوريجانوس

مثلاً لقنه أبوه فى طفولته مبادئ المسيحية والكثير من مبادئ العلوم الأخرى فأظهر ذكاء مفرط ، ولما قبض على والده وسجن بسبب مسيحيته أثناء اضطهاد سيفيروس سنة ٢٠٢م حاول أوريجانوس اللحاق به ليموت معه لولا أن منعته أمه بأن حجزت ملابسه .

فما كان من الفتى إلا أن أرسل إليه خطاباً يقول فيه " حذار أن يغير العذاب رأيك . لا تهتم بنا فإن الله لن ينسانا " .

١. بطرس البابا الـ ١٧

كان أبوه كاهناً باراً ، له زوجة طاهرة ، ولم يكن لهما ولد . فلما رُزقا ببطرس ربياه أحسن تربية وأرسله أبوه إلى المدرسة الكنسية وهو بعد ففى الخامسة من عمره ، وسيم قساً ثم اختير بطريركاً سنة ٢٩٤ .

٢. البابا كيرلس الكبير (٤١٢ ـ ٤٤٤)

كان فى طفولته موضع رعاية خاله البابا ثاؤفيلس البابا الثالث والعشرين ، فأشرف على تعليمه التعليم الروحى والزمنى ، ثم أرسل فى مرحلة شبابه المبكر إلى برية وادى النطرون بدير أبا مقار " فأقام هناك خمس سنين يقرأ الكتب ويشرف أحد شيوخ الدير الحكماء على تربيته " .

وكذلك التأثير العائلى نلمس آثاره فى القديس أنطونيوس أب الرهبان ، والأنبا شنودة رئيس المتوحدين . ولم تكن العناية بتربية البنت أقل من العناية بتربية الولد وفى القديسة دميانة وبوتامينا ، والست رفقة وغيرهن نجد مُثلاً واضحة للاهتمام بتربيتهن . (راجع أيضاً الأمثلة التى ذكرت فى الكتاب المقدس : صموئيل وتيموثاوس وغيرهما) .

٥. قانون المحبة

لقد ساد مبدأ المحبة على أفراد المجتمع المسيحى . يقول أحد المؤرخين " بتأسيس الكنيسة المسيحية بدأ حكم المحبة على الأرض " وقد تبع هذا المبدأ سيادة عواطف الود والأخوة بين أفراد المجتمع المسيحى ، بل إنهم زادوا على ذلك أنهم مدوا يد المساعدة والعون للمحتاجين والمرضى حتى للبعيدين عنهم فى بلاد أخرى، وللوثنيين أعدائهم إذا كانوا يعتنون بمرضاهم ويصلون لأجلهم ويتبرعون بالأموال لخدمتهم . وقد استمدوا هذه الخصال كلها من طبيعة الوصية المسيحية ذاتها .

وكانت هذه الألوان من السلوك مُثلاً عملية يقدمها المجتمع للناشئة فيتشبعون بها منذ طفولتهم وتثبت فى عقولهم الباطنة لتوجه سلوكهم فى مراحل نموهم التالية .

أهمية الأسرة مسيحياً

إذا كان المجتمع يعتبر الأسرة هى نواة المجتمع وأساس تماسكه ، فإن الكنيسة تعتبر الأسرة المسيحية هى خميرة الإيمان المباركة التى توضع فى ثلاث أكيال من دقيق لتخمر العجين كله ، فالأسرة المسيحية هى أساس نمو وبنيان وامتداد كنيسة الله المقدسة ، ولا يمكن أن نتصور وجود كنيسة بدون العائلة . فالعائلة هى التى تمد الكنيسة بجماعة المؤمنين ، وهى التى تلد أعضاء جدد ، وهى التى تصون الإيمان وتحفظه وتعيشه وتطبقه وتختبره ، وتطبق كل ما تنادى به الكنيسة لخلاص العالم .

ومنذ بدء الخليقة ، والعائلة كانت النموذج الذى فى قصد الله .. فقد خلق الله حواء لتكون شريكة لآدم ، ثم أمرهم أن يكثرا وينسلا ويملأا الأرض .. وكان القصد من نشأة العائلة هو تكوين وحدة روحية وشركة محبة وألفة وبذل بين جميع الأعضاء ، كى تكون العائلة شبهاً بسيطاً للوحدة القائمة بين الأقانيم الثلاث الآب والابن والروح القدس .

ولكن الخطيئة التى دخلت إلى العالم بحسد إبليس مزقت الوحدة التى كانت بين آدم وحواء ، وأدخلت أموراً غريبة كنتائج للعصيان والسقوط .

فالله قبل السقوط كان يكلم آدم وحواء على أنهما شخص واحد ولكن بعد المعصية بدأ ظهور الانفرادية . آدم أين أنت ؟

والعلاقة المرجوة بين آدم وحواء قبل السقوط كانت علاقة الحب والألفة وتبادل الود ، ولكن اللعنة التى نزلت على آدم وحواء بسبب العصيان أنتجت علاقات غريبة عن النموذج المبارك الذى وضعه الرب فى البدء .

وامتدت آثار الخطيئة فى نسل الأبوين الأولين وأزداد الفساد وسرى الشر حتى أن قايين قتل أخاه هابيل !! ورغم هذا كله فإن هذا الوشاح الذى تمزق بسبب العصيان ما فتئ يحمل فى طياته بعض سمات الحياة الفردوسية ، فقد بقيت فكرة الأسرة فى الإنسان مجالاً للتعاون المشترك بين الرجل والمرأة ، وخاصة لمواجهة المعاناة الجديدة على أرض لعنت وصارت تنتج شوكاً وحسكاً ، وأصبح الإنسان الطبيعى يسعى إلى الزواج للقضاء على العزلة

والفراغ الداخلى ، لعله يجد فى الشريك الآخر ما يحل له مشكلته الداخلية ، أو على الأقل يعينه فى المعاناة الحتمية فى مسار هذه الحياة الدنيا .

وتميزت العلاقات الإنسانية الراقية فى الحياة العائلية بالسعى نحو الارتباط والالتزام ومقاومة التسلط ، أو الأنانية من أى طرف من الأطراف حتى يبقى كيان الأسرة متماسكاً .. وفى اليوم الذى تظهر فيه الميول الآدمية والدوافع الحوائية يبدأ التضارب الصارخ فى الظهور فالرجل يريد أن يتسلط ويتكبر ويتمرد ، والمرأة تحاول أن تشتهى وتمتلك وتغرى بالطرق المكيرة لمقاومة أى شعور بالنقص الداخلى .. وتكون النتيجة الحتمية انهيار الأسرة لأن " كل بيت ينقسم على ذاته يخرب " .. ولأجل هذا صرح موسى بالطلاق لقساوة قلوب الناس وعدم قدرتهم على ممارسة الأنماط السلوكية الكاملة التى قصدها الرب من حياة الزيجة .

لكن بالرغم من هذا كله امتلأ العهد القديم بسير مباركة كانت كالمشاعل تشهد للحق الإلهى ، وتمجد الخالق فى السيرة والتفاعل والسلوك . نذكر مثلاً إبراهيم أبو الآباء وزوجته الطاهرة المباركة سارة ، ونذكر اسحق ابن الوعد وزوجته رفقة ، ونذكر يعقوب وراحيل ، كنماذج للوفاء والإيمان والقداسة والحب المتبادل .

أما المسيحية فقد غيرت وجه التاريخ بالنسبة لموضوعنا هذا . فإنها لم تأت لكى ترقى العلاقات العائلية والإنسانية ، ولم تأت برقعة جديدة على ثوب عتيق ، لأنها تعرف أن طبيعة الإنسان فاسدة مهما حاولت التنشئة والتربية إصلاحها وتهذيبها وترقيتها .. لقد أوجدت المسيحية فى الإنسان طبيعة جديدة ، إنها أعادت خلقته من جديد عندما تلده بالماء والروح ، وهذه الطبيعة الروحانية التى تملأ حياة المؤمن هى وحدها القادرة أن تتحد مع الآخرين فى وحدة المحبة الصميمة وشركة الاتحاد الكيانى التى يسميها الكتاب المقدس وحدة المؤمنين أى الكنيسة ..

فالكنيسة فى جوهرها المسيحى هى وحدة وانصهار شخصيات فريدة متنوعة يفعل الروح القدس فى المحبة والبذل والانفتاح وشركة العطاء وإهلاك الذات .

والقديس باسيليوس الكبير يعبر عن هذا العمل ويشبهه بوحدة حبات الحنطة ، عندم تطحن وتنصهر وتتحدد وتعجن لتصبح قرباناً يوضع على المذبح ليتقدس ويصير جس المسيح الحي . هكذا تذوب الانفرادية والانعزالية والأنانية والآدمية والحوائية ليكون المس هو الكل فى الكل .

ومن خلال وحدة الإيمان الفريدة هذه تتكون العائلة المسيحية إذ يتقدم مسيحى مؤم ليتزوج مسيحية مؤمنة ، وكل منهما مستعد للعطاء والبذل ، فتنشأ الأسرة على شبه الكنيس وصورتها .

لهذا لم يكن مصادفة أن يشبه الرسول بولس وحدة الرجل مع المرأة فى سر الزيج بوحدة المسيح مع الكنيسة . ومعنى هذا أنه إذا لم يلتق الرجل مع المرأة بالحب والبذل ، فإ الزواج لا يكون قد حقق هدفه الإنجيلى ، ولا تكون الأسرة حسب القصد الإلهى والنموذ اليسوعى . أما إذا استطاع الرجل والمرأة فى شركة الحياة الزوجية أن يكونا واحداً فكر وقلباً وروحاً وجسداً ، وذلك بنعمة السر الإلهى وفعل الروح القدس ، فإنهما يستطيعان أ يدخلا أطفالهما فى هذه الوحدة المقدسة تماماً كما نضيف دقيقاً على خميرة صالحة ، أو كم نضيف زيتاً على عطر ذكى ، على حد تعبير ذهبى الفم .

ومن هنا ينشأ الفارق بين وظيفة الأسرة فى المفهوم المسيحى ، وبينها فى المفهو الإنسانى الاجتماعى العادى الطبيعى .

فالأفراد فى الأسرة الإنسانية كحبات السبحة ، يربطهم خيط واحد ، هو رباط التعاو الأسرى والولاء العائلى . والأعضاء فى كنيسة الأسرة هم كأعضاء الجسد يتحدون اتحا عميقاً ويتصلون اتصالاً دائماً بالرأس ، الذى هو المسيح .

فالمسيح له المجد فى الأسرة المسيحية هو أصلها وأساسها وهدفها ومجدها وغايتـ وعزاؤها ومنتهى رجائها وقصدها ، وممارسة الحياة فى المسيح والشركة فى المسيح والعزا فى المسيح والألم فى المسيح هو الطريق الوحيد لتحقيق هدف الأسرة والقصد من وجوده فى الزمان .

وظائف الأسرة

من هذا نستطيع أن نتبين وظائف هامة للأسرة المسيحية نركزها فيما يلى :

١. وظيفة الحب

هذه هى أولى الوظائف فى الأسرة المسيحية ، وإذا انتفت أصبحت الأسرة بلا معنى .. حب جميع الأفراد للرب يسوع .. ومن خلال هذا الحب ينبع الحب المتبادل بين أعضاء الأسرة كلها .

إن المحبة التى تملك قلوب أعضاء الأسرة تعطى المعنى وتشرح الهدف الذى من أجله رسم الله الزواج والاتصال بين الرجل والمرأة ، حقاً سوف يختفى فى الملكوت كل ما يتفق وقوانين الزمان ، ولا يبقى إلا ما يتناغم والخلود ، فلا يوجد هناك زواج وتناسل لأن الهدف يكون قد تحقق ، والكنيسة قد استكملت أعضاءها ورفعت فوق الزمان .. أما المحبة القائمة بين الأزواج والزوجات ، وبين الآباء والبنين ، فهى وحدها التى ستدوم فى الأبدية وتدخل فى الخلود .

فلو كان هدف الأسرة هو التكاثر وإيجاد النسل فقط لأصبح من المصرح به أن يطلق الرجل امرأته إن كانت عاقراً . ولكن لأن الهدف الأول من الأسرة المسيحية هو تحقيق الحب المتبادل فالأسرة تستطيع أن توجد حتى لو لم يوجد الطفل وهذا الحب المسيحى فى الأسرة التى لا تنجب أطفالاً بالجسد ، يثمر فى مجالات أخرى عندما تتبنى الأسرة أطفالاً أيتاماً ، أو عندما تتفرغ الزوجة لرعاية أبناء ملجأ أو عندما يتكرس الزوج لخدمة عائلات المحتاجين والأرامل والأيتام والغرباء وكل من لهم عوز .. ولكن الطفل بالذات له قيمة كبرى فى الأسرة المسيحية لأن فيه تلتقى مشاعر المحبة المتدفقة من كلا الوالدين ، وكأن الطفل هو ملتقى مصب نهر الأبوة الخالد ونهر الأمومة الحانية العطوفة الأبدى .. إنه ثمرة الحب المتبادل بين الزوجين ، الحب الذى يمتد فيشمل كل جوانب حياتهما الجسدية والوجدانية .

وعندما ينشأ الطفل فى أسرة مسيحية حقيقية فإنه يتشرب الدين فى مذاق الحب ، ويتشبع بروح الوقار والقداسة ، ويمتلئ من مخافة الله وحبه ، ويرسخ فيه الإيمان بوجود الله

الحى الآب السماوى ، ويتفتح وجدانه نحو حب الرب يسوع وقديسيه والشغف بالحياة الأبدية والتطلع إلى ما هو وراء المنظور .

إن الطفل فى سنيه الأولى يكون قادراً على التطبع والتشكل لما له من قدرة على الاستهواء والتقليد والمحاكاة والتأثر بكل ما يقع تحت حواسه ، وما يلمس وجدانه الطاهر .

٢. إيجاد أعضاء أحياء لكنيسة الله

إن هدف إنجاب النسل أمر مقرر من الرب " اثمروا واكثروا " ، وفى صلوات الإنجيل تقول الكنيسة " فعلى هذا الرسم وهذه السُنة هكذا اتخذ سائر الآباء المؤمنين امرأة واحدة بطهر ونقاوة لطلب الذرية وإيجاد الخلف ، فيجب عليكما أن يعرف بعضكما حق بعض ويخضع كل منكما لصاحبه " .

وفى العهد القديم نجد أن النسل الكثير بركة من الله . فقد دعا يعقوب لابنه ببركات الثديين والرحم (تك ٤٩ : ٢٥) .

كما طلب أرمياء من العبرانيين أن يأخذوا لبنيهم نساء ويعطوا لبناتهم رجالاً فيلدن بنين وبنات ، ويكثرون هناك ولايقلوا (أر ٢٩ : ٦) .

وتمجد المزامير العائلات الكبيرة كبركة خاصة من الله (مز ١٢٧ ، ١٢٨) ، ويطلب هوشع النبى إلى الله أن يعاقب أعداء إسرائيل بإعطائهم رحماً عقيماً وثديين يابسين (هو ٩ : ١٤) .

ولكن العهد الجديد لم يركز على التكاثر والنسل الجسدى وإنما اهتم اهتماماً كبيراً بالميلاد الروحى .. الميلاد الذى من فوق بالماء والروح . فبولس الرسول يتكلم كثيراً عن أولاده الذين يتمخض بهم حتى يتصور المسيح فيهم (غلا ٤ :١٩) .

وعن الذين ولدهم فى قيوده (فل ١ : ١٠) ، والرب نفسه كّرم الولادة الروحية عن الأنساب الجسدية عندما صرخت المرأة بفرح قائلة " مبارك البطن الذى حملك ، والثديين اللتين رضعتهما " (لو ١١ : ٢٧) ، فكانت إجابة الرب " بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه " .

والقديس أوغسطينوس يقول " ليكن من بركات الزواج النسل المولود لا ولادة جسدية فقط بل المولود ثانية لأنه يولد جسدياً للعقاب والهلاك والدينونة إن لم يولد ثانية للحياة الأبدية " .

ومعنى هذا أن وظيفة الوالدين لا تنتهى عند حد إنجاب الأولاد وتنشئتهم تنشئة اجتماعية وخلقية وعلمية طيبة ، لأن هذا كله على مستوى الطبيعة الجسدية ، ونهايتها الهلاك والحريق .

وإنما الوظيفة الأساسية هى ولادتهم ولادة روحية .. وإذا كان الإشبين يعلن الإيمان المسيحى ويجحد الشيطان عند معمودية الطفل ، فإن عملية تسليم الإيمان للطفل أمر واجب عليه حتى ينضج ويبلغ السن الذى يستطيع فيه أن يجحد الشيطان وكل حيله ، بإرادته المستقلة وإيمانه الشخصى والاختيارى .

لأجل هذا تضع الكنيسة سر التوبة امتداداً لسر المعمودية ، وبدون تربية الأطفال على حياة الشركة مع الله وممارسة سر التوبة بينة وإرادة ـ خاصة عندما يصلون بداية مرحلة المراهقة ـ فإن الطفل قد ينحرف نتيجة ظروف المجتمع وتياراته المختلفة ، وهكذا تقع المسئولية على الأسرة أن يعملوا كل ما فى جهدهم كى يتمم أولادهم خلاصهم بخوف ورعدة .

ومن هنا تظهر أهمية العبادة العائلية ، والجو الروحى المنزلى ، والقدوة الصالحة فى السلوك والتصرف من الوالدين والأخوة الكبار واحترام تعاليم الكنيسة وتوقير رجالها وممارسة أصوامها وصلواتها وأعيادها وتقدماتها بكل أمانة .

وإذا كان هدف تكوين الأسرة هو امتداد ملكوت الله إيجاد أعضاء جدد تكون لهم حياة الشركة مع الرب ، وبهم تنمو وتزداد بيعة الله ، إلا أنه من واجب الأسرة الروحية أن تقدم أفضل من عندها ليكون ذبيحة وتكريساً لخدمة الإنجيل أو المذبح . فالأسرة المسيحية تقدم أحسن الذبائح للكنيسة كما قدم هابيل الصديق أحسن ذبائحه ، فتنسم فيها الرب رائحة الرضا ، أى أن مسئولية الأسرة ليست محددة بتوصيل الإيمان إلى أبنائها فقط ، بل إلى

تشجيعهم على تكريس حياتهم لخدمة اسم الله العظيم القدوس ، لأن مثل هؤلاء المكرسين يخدمون ويكرزون ويتوبون ، وبذلك يكون عملهم داخلاً فى صميم امتداد الكنيسة وملكوت الله .

٣. الشهادة الحسنة أمام الذين هم من خارج

إذا كان الرب قد قال لتلاميذه " وتكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض " فإن الآباء قد فسروا هذا بأن أورشليم هى الحياة الداخلية فى القلب ، واليهودية هى الحياة العائلية ، والسامرة هى الحياة القومية ، وأقصى الأرض تشمل اتساع المسكونة .

ومعنى هذا أن وظيفة الأسرة هى إعداد قديسين يشهدون للمسيح بسيرتهم وبأقوالهم ، بصمتهم وبكرازتهم ، بمحبتهم وبصلاتهم . وتكون الحياة العائلية هى الخلية التى يستكمل كل عضو فيها سمات ربنا يسوع المسيح حتى إذا خرج إلى خارج يحمل صورة المسيح البهية ، ورائحة المسيح الزكية . ولقد اشتهرت بيوتنا القبطية بما لها من طابع مسيحى أصيل بسمات مقدسة ظلت شهادة للمسيح العامل فى الكنيسة والأسرة معاً .

ونذكر من هذه السمات :

١. **العفة والحشمة والطهارة والوقار الجنسى :** وهذه الرائحة الزكية يتنسمها الأطفال منذ نعومة أظافرهم ويصطبغون بها إلى حد أن نتانة العالم الخارجي وإثاراته الشهوانية لا تستطيع أن تخرج منهم هذه العفة الأصلية وذاك الوقار العظيم .

وترتبط بفضيلة العفة والحشمة فضيلة أخرى تابعة وهى الصوت الخفيض . فمن المشهور عن الأسرة المسيحية أنها هادئة صامتة يسودها جو روحى هادئ يشجع كل فرد فيها على التأمل والصلاة الداخلية والتفكير الرصين ، والتعمق ، وعدم التشتت والضياع بسبب الفوضى والضوضاء والانزعاجات المختلفة .

وهنا يلزمنا أن نشير إلى أن بعض العائلات قد خرجت على هذا الوقار فى هذه الأيام وسمحت لنفسها أن تشاهد برامج خليعة فى التلفزيون ـ بالذات ـ وأخذت تسمح بتعليق

صور بعض الممثلات غير المحتشمات .. الخ ، هذه الأمور الغريبة التى تظهر أن مثل هذه البيوت لا تتمتع بحياة القداسة ولا تعيش فى خوف الله انتظاراً لمجيئه الثانى المخوف المملوء مجداً .

٢. **العطاء وإكرام الضيوف والغرباء** : فقد اشتهرت البيوت المسيحية (بالمضيفات) أو الأجنحة الخاصة باستضافة الغرباء والنزلاء .. وإلى يومنا هذا نجد بيوتنا القديمة فى الصعيد تعمر بالأجنحة المخصصة لخدمة الزائرين والضيوف . وليست هذه فضيلة اجتماعية فقط ، ولكنها تلبية لأمر إلهى ، حتى أن بولس الرسول اشترط فى رسامة الأسقف أن يكون صاحياً عاقلاً محتشماً مضيفاً للغرباء (١تى ٣ : ٢) . ومهما كانت ظروف المساكن الحالية وضيق مساحة البيوت فإن العائلة لا تخلى نفسها من مسئولية استضافة المحتاجين والغرباء والخدام والوعاظ الذين يتعبون فى خدمة الكلمة .. وقد تنشىء الكنائس مثل هذه الأجنحة بجوار مبانيها وهذا أمر حميد ، ولكن نزول هذه الجماعات فى البيوت المسيحية لحدوث التفاعل المسيحى المطلوب أمر يلزم ألا نتجنبه .

٣. **الوطنية وعدم التعصب** : وهذه السمة شهد بها اللورد كرومر فى كتابه " مصر الحديثة " عندما بين أنه لم يستطع استخدام الأقباط وسيلة لتنفيذ مآربه الاستعمارية . وعندما قال إن الأقباط والمسلمين يعيشون فى مصر روح التآخى ولا يميزهم إلا أن هذا يذهب للكنيسة وذاك يذهب للجامع .. والأسرة المسيحية الحقيقية تشجع أطفالها ، منذ صغرهم، على الاشتراك مع مواطنين يختلفون معهم فى الديانة والمذهب والعقيدة على مستوى الوطنية وخدمة البلاد وتأسيس دولة يسودها الوعى الوطنى والإخاء بين المواطنين وتقديس المصلحة الوطنية فوق كل اعتبار .

أما الانعزالية والتقوقع والتعصب ، فهذه دلالة على وجود روح الطائفية التى يلزم إبادتها فى الجو المنزلى . ويستطيع الوالدان أن يساعدا ابنهما على مواجهة أى تحيز أو جفاء يبديه زميل له فى المدرسة مختلف عنه ديناً أو مذهباً وذلك بأن يقدم الابن روح المودة ، لا عن ضعف وجبن ، بل عن قوة وإفصاح عن الإنجيل المعاش فى القلب ،

كما يشجع الوالدان أبناءهم على ألا يحكموا أحكاماً دينية على التصرفـــات الاجتماعيــة والظاهرات الاقتصادية والنفسية .إنهم يرشدونهم إلى كيفية الحياة بصفاء روحى داخلــى ونقاء اجتماعي خارجي ، بإيمان اختبارى داخلى فى القلب ، ووعى مســـتنير لخدمــة الوطن .

٤. **التماسك الداخلى :** السمة الرابعة التى نختارها من الجو الأسرى المسيحي هـــى ســمة التماسك الداخلى وحل المشكلات الناجمة من التفاعلات المختلفة بروح الصلاة والهدوء . وبالالتجاء إلى آباء الكنيسة وبالابتعاد تماماً عن المحاكم العالمية حسب قـــول الرســول " ألستم أنتم تدينون الذين من داخل " (١كو ٥ : ١٢) ، وفى موضع آخر يقول " أيتجاســر منكم أحد له دعوى على آخر أن يحاكم عند الظالمين وليس عنـــد القديســين . ألســتم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم ، فإن كان العالم يدان بكم أفـــأنتم غـــير مســتأهلين للمحاكم الصغرى . ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة فبالأولى أمور هذه الحياة . فإن كان لكم محاكم فى أمور هذه الحياة فأجلسوا المحتقرين فى الكنيسة قضاة . لتخجيلكم أقول .. أهكذا ليس بينكم حكيم ولا واحد يقدر أن يقضى بين اخوته !! " (١كو٦ : ١ ــ ٥) .

ومعنى هذا أن ظاهرة التجاء بعض المسيحيين حالياً إلى المحاكم وساحات القضاء تكشف عن تنازل رهيب للروح المسيحية الأصلية ، كما أن التجاء أطراف النزاع فى الأســر المسيحية إلى التطليق وتفكيك روابط الأسرة المقدسة يبرز ويوضح ما تعانيه الأسر من محنة وانهيار وتنازل عن الإيمان المسلم مرة للقديسين.

ألا ليت الله يرحم بيوتنا ويجعلها بيوت بركة ، بيوت صلاة ، بيوت قداسة . نعم يـــارب أنعم بها علينا وعلى الآتين من بعدنا .

وينقلنا هذا إلى الحديث عن العلاقة التى يجب أن تقوم بين الأسرة والكنيسة .

المنزل المسيحى والمساهمة فى خدمة الكنيسة

إن الكنيسة هى أمنا بالروح ، ترعانا وتحنو علينا ، وبدون أسرارها المقدسة لا تكــون لنا حياة أو نمو روحى . لذلك يجب أن نبادلها حباً بحب وخدمة بخدمة .

وخدمتنا للكنيسة يمكن أن تأخذ أحد طريقين : فإما أن يكرس الواحد منا نفسه كلية لخدمتها عن طريق إحدى رتب المذبح ، أو أن نخدمها جزئياً بمواهبنا . وهذه المواهب متنوعة العلم ، المال ، التدبير ، الوعظ ، التعليم ، إلى غير ذلك من نواحى الخدمة ، التى تتباين ولاشك وفق ظروف كل منا . ولكنها وإن تباينت إلا أن هناك خطاً مشتركاً يضم بينها : أن الروح العامل واحد .. الروح القدس الذى يحركنا للخدمة دون غرض أو حب الظهور . ولو فعلت ذلك كل أسرة لأصبحت أسرنا جميعاً تلتقى فى الكنيسة على حب وود وبذل ، ولأصبح كل عضو منا مساهماً ، بالقليل أو بالكثير ، حسبما أعطى من مواهب ، فى خدمة الجماعة . ولقد شبه القديس بولس الكنيسة بالجسد ، والمؤمنين بأعضاء هذا الجسد ، إن تألم عضو تألمت له بقية الأعضاء . ويقوى هذا الشعور بوجود الراعى الأمين الذى يفتقد أبناءه وبناته ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم وينفعل لمشاكلهم وتجاربهم ، ويشعر أنها مشاكله هو فلا يهدأ أو يستريح إلا إذا وجد لها حلاً . وقد تكون فكرة العضوية الكنسية عاملاً مساعداً على تحقيق الأمل (*) . راجع الحديث عن الجسد والأعضاء فى (١كو ١٢) .

فإذا أردنا أن نعدد واجبات الأسرة المسيحية نحو الكنيسة ، فى شئ من التفصيل ، وجدنا أن من هذه الواجبات .. تقديم النذور والعشور والبكور .. وهذه فرصة ثمينة تذكر فيها الكنيسة الأسرة فى صلاتها لتطلب عنا قبول قرابينها وتقدماتها . وفى وعى الأسرة بمشكلات الكنيسة واحتياجاتها المعنوية والمادية كأن تكون فى حاجة إلى تبرعات لمبانى تقوم بها ، أو مشروعات معينة تقوم على خدمتها ، فى هذا الوعى وسيلة ولاشك لمشاركة الأسرة للكنيسة فى التزاماتها وخدماتها .

ويدخل فى واجبات المنزل أيضاً احترام الأسرة لرجل الدين حتى ينتقل هذا الاحترام ، بالنسبة للصغار ، إلى الدين نفسه . وغير خاف علينا أن الملحدين وأصحاب المذاهب الهدامة

(*) العضوية الكنسية يقصد بها أن تكون كل أسرة عضواً حياً بالكنيسة تؤدى للكنيسة الواجبات التى عليها مقابل خدمة الكنيسة لها ، فهى علاقة روحية تقوم على المحبة وتبادل الخدمة . وحبذا صدور كتاب خاص عن هذا الموضوع ينير الطريق أمام رعاتنا وخدامنا .

يهاجمون دائماً فكرة الدين عن طريق إبراز عيوب رجاله وخدامه . وهنا تتحقق كلمة القديس بولس " إنه بسببكم يجدف على الاسم الحسن " .

وحقيقة أن لكل إنسان عيباً ، ولكن النظرة دائماً إلى رجل الدين أنه رجل الله وأنه منزه عن الكثير من الأخطاء والضعفات التى يقع فيها العاديون من الناس . فالأسرة باحترامها لرجل الدين القديس تنقل هيبة الدين نفسه إلى أطفالها وأبناءها .

أما إذا انحرف رجل الدين عن جادة رسالته وواجباته المقدسة فيجب علينا أن نصلى من أجله ، وفى وداعة واتضاع ننبهه ونعاونه على أداء رسالته وشكراً لله على أن كنيستنا ديمقراطية ، فالقديس بولس يطلب من المؤمنين أن يصلوا من أجله " ليعطنى الرب حكمة عند افتتاح فمى للكلام بسر الإنجيل " ، والقداس الإلهى ليس صلاة سرية كما هو الحال عند بعض العقائد الأخرى ، ولكنه شركة بين الكاهن والشماس والشعب .

كنيستنا الديمقراطية هذه تعطى للشعب فرصة اختيار الراعى من الأب البطريرك إلى أصغر رتبة شماسية . لماذا ؟ لأن هؤلاء سيعودون خداماً للشعب فيجب أن يكون اختيارهم برضائه وموافقته . وإذاً فلا حجاب بين الأب الراعى وشعبه . فيجب أن نعاونه ونشجعه ، فمسئولية جسيمة وواجباته عديدة .

على أن نظرة المنزل المسيحى للكنيسة يجب ألا تقتصر على كنيسة الحى الذى يسكنه . وإنما إلى جانب مساهمة المنزل فى كنيسته القريبة يجب أن يشعر بأن عليه واجب إزاء الكنيسة العامة ، فيجب أن يصلى من أجل الرعاة ، وأن يكون على وعى بالمشاكل العامة التى تمس الكنيسة ليشارك فى العمل على حلها بمواهبه وإمكانياته .

نحن نريد للمنزل المسيحى فى مصر أن يشعر بواجباته الكبيرة نحو الكنيسة ، أن يتفاعل معها وينفعل لآلامها وأفراحها ، أن يدرس تاريخها وعقائدها ، ويصلى من أجلها ، بل ويحيا حياتها ثم يحتمل فى سبيلها . وفى الوقت نفسه ألا يهمل واجباته نحو الوطن ، فالوطن هو المحل المشترك لنا جميعاً نخدمه ونبذل من أجله .

بعد ذلك يبقى على المنزل المسيحى واجب على أكبر جانب من الأهمية .. موقفه من الطوائف الأجنبية واجتماعاتها وتعاليمها . إنه لمن العار على المنزل القبطى الذى أخرج أعاظم القديسين والبابوات والعلماء أن يأكل فضلات موائد غيره من المنحرفين فكيف نترك كنيستنا المقدسة لنذهب إلى اجتماعات وعظ غريبة تُبعدنا عن جو كنيستنا الروحانى . فالوعى الروحى هنا عامل هام فى وقاية بيوتنا من الانحراف الروحى والاندفاع وراء مبادئ غريبة . إن الروحانية الأصيلة لا يمكن أن يكمل تكوينها إلا داخل الكنيسة .. بالصوم ، بالتوبة ، بالقداس بواسطة الأب الكاهن الذى تسلم كهنوته عن رسل المسيح له المجد . بدون ذلك لا يمكن الوصول إلى معرفة الحق . ولاشك أن تمسك المنزل القبطى بمبادئه الأرثوذكسية القويمة سينتقل إلى الصغار فيثبتون فى كنيسة المسيح المقدسة مستقيمة الرأى .

ومما يؤكد تثبيت أطفالنا فى الطقس الأرثوذكسى احتفاؤنا بالأعياد السيدية ، وأعياد العذراء ، والشهداء ، واشتراكنا فى المناسبات الروحية الحلوة التى تهيئها لنا كنيستنا .. كتسبحة كيهك ، وأسبوع الآلام وغيرها ، فإن اتصال الأطفال بالجو الروحى فى مثل هذه المناسبات كفيل ولاشك بتثبيتهم فى الإيمان الحقيقى وتأصيله فى قلوبهم .

هذه هى أهم الواجبات التى يجب على المنزل أن يراعيها . وننتقل الآن إلى دراسة المدرسة كعامل من عوامل التربية ، ودور الكنيسة إزاءها فى خدمة دروس الدين من ناحية ، وفى رعاية المدرسين والتلاميذ المسيحيين بها من ناحية أخرى .

ثانياً : المدرسة كمجال للتربية

بتعقد نظم المجتمع وارتقاء وسائله فى التعامل والإنتاج ، وتعدد نواحى النشاط فيه وانتقال الإنسان من حياة البداوة إلى الزراعة ثم إلى الصناعة ، نشأت مهن جديدة ، ونظم حديثة مما استتبع قيام أساليب جديدة للحياة والتعامل بين الناس بعضهم والبعض الآخر ، فزاد رصيد الإنسانية من العلم والأدب والفن ، وتعددت نواحى الخبرة ، ولذلك كان لابد أن تتطور وسائل نقل هذه الخبرة من الكبار إلى الصغار ، فبعد أن كان الكبار يكتفون بنقل خبراتهم البدائية إلى أطفالهم عن طريق المحاكاة ازدادت الحاجة إلى وجود مؤسسة خاصة يقوم فيها

التعليم المقصود على أساس تقسيم الخبرات وتوزيعها على مراحل تعليمية متنوعة وفقاً لمدارك الناشئين .

هذه المؤسسة هى المدرسة التى تزداد حاجة المجتمع إليها كلما زادت ثروته الحضارية والفكرية ، وازدادت بالتالى حاجته إلى التعليم ليضمن بقاء تراثه ، بل واستمرار وجوده ، وفى هذا يقول جون ديوى " إن الغاية من التربية هى استمرار التربية " . ومعنى ذلك أن التعليم ظاهرة اجتماعية وأن المدرسة تعتبر بالتالى ضرورة اجتماعية يضطرد الشعور بأهميتها باضطراد تقدم المجتمع ، بل ويصبح من واجبات المجتمع الاهتمام بإنشائها لتصبح أداة تطوير وتقدم ، وتساهم مساهمة إيجابية فى رفع مستواه والعمل على تقدمه ، فضلاً عن أنها تعد أنماط المواطنين الذين تتوافر فيهم صفات اجتماعية معينة تحقق بينهم التفاهم وتكفل لهم نوعاً من التقارب الفكرى فى اتجاهات مشتركة ، كما تنشر بينهم الوعى الذى يدفعهم إلى الشعور بضرورة التقدم بالمجتمع ، وتحقيق ارتقائه إلى مستوى أفضل .

ولما كانت المدرسة هى مكان التعليم المقصود الموجه فإنها ولاشك تعتبر الوسيلة الرئيسية فى المجتمع التى تحقق هذه الأغراض .

على أن للمدرسة وظائف أخرى متعددة فهى تنقل تراث المجتمع إلى الأجيال الناشئة بعد أن تنتقى من هذا التراث الخبرات الأفضل تبسطها وتوضحها ، ثم تطورها . وتضيف إليها ، كما أنها تدرس مشكلات المجتمع ، ووسائل علاجها ، وتعمل على تحرير الفكر وإطلاقه .

وفى مجتمعنا الاشتراكى تقوم المدرسة بدور كبير فى خطة إعداد جيل المستقبل فتعنى بأن تجعل من حياة التلاميذ انعكاساً لتطبيق مبادئ التعاون والعمل لمصلحة الجماعة ، والقضاء على الذاتية ، وإحلال القيم التى تنمى الاتجاهات الاجتماعية السليمة .

مظاهر تأثير المدرسة فى التربية الدينية

١. تتسلم المدرسة الطفل فى مرحلة من أهم مراحل النمو فقد تمتد من الثالثة إلى الخامسة والعشرين أحياناً ، وهذه المرحلة الطويلة تضم أهم مراحل النمو . فهى تشمل مرحلة

الطفولة المبكرة التى يكوّن الطفل فيها عواطفه ، ومرحلة المراهقة التى تتحدد فيها بصفة شبه نهائية اتجاهاته الجنسية وهواياته وميوله ، ومن هنا نفهم خطورة أهمية المدرسة فى التربية حيث أن النمو السليم يتوقف على مدى توجيه المدرسة ومدى فهمها لرسالتها .

٢. لما كان التلميذ يعتبر المدرس فى المدرسة قدوة ومثلاً وخاصة فى المرحلة الإعدادية فإنه يعمل على تقليده ومحاكاته ، لذلك إذا لم يكن المدرس يمنح القيم الروحية أدنى اعتبار ، وإذا كان سليط اللسان بذئ الألفاظ قبيح الحركات ، فكثيراً ما تنطبع هذه كلها فى الطفل . ومن هنا تظهر خطورة إعداد المدرسين وضرورة حسن اختيارهم . لذلك وجب أن يعتبر القيم الروحية ويوقرها ويحترم تأثيرها .

٣. المدرسة هى الجو الذى يتعود فيه الطفل الأخذ والعطاء (أعنى المعاملة) ، لأن الطفل فى المنزل كثيراً ما يكون سلبياً يتعامل مع راشدين مختلفين عنه فى السن ، أما فى المدرسة فإنه يجد وزملاء متجانسين إذا أهانهم أهانوه ، وإذا أحبهم أحبوه . وإذا أخلص لهم أخلصوا له . فيتعلم التعاون والولاء للمجتمع وحب الأصدقاء والإخلاص لهم ، وهذه نواحى هامة فى تكوين الشخصية . ومن ثم فهى هامة أيضاً فى الحياة الروحية .

٤. ولفصول المدرسة آثار كبيرة على تدين الطفل . فطريقة معاملة المدرس لتلاميذه ، ولطريقة تفكيره التى تعودها تلاميذه تأثيرها الواضح ، فالمدرس الدكتاتور يخلق تلاميذاً متعصبى الرأى ضيقى الأفق يحبون الانقياد ولا يميلون للزعامة أو القيادة وإبراز الشخصية ، بينما المدرس الديمقراطى الذى يتبع طريقة منطقية علمية فى التفكير كثيراً ما يؤثر فى تلاميذه ويجعلهم يستخدمون هذه الطريقة فى حل مشكلاتهم الخاصة والعامة ، ويبدو تأثير هذا بالأكثر فى المرحلة الثانوية .

٥. وإذا كنا قد أعطينا للجو المدرسى أهميته فى التربية الدينية فإننا نذكر أيضاً حصص الدين والأخلاق والتربية الاجتماعية . فهذه كلها لها تأثيرها الكبير فإذا عثر التلميذ على مدرس متدين تديناً سليماً مهذباً تهذيباً راقياً فإنه يسلمه مقاليد حياته ليرتفع معه فى سلم الفضائل

إلى أعلى درجات روحية عالية . والتلميذ يعرض على مدرسه المحبوب لديه مشكلاته الروحية والنفسية والجنسية بصراحة فى الوقت الذى لا يعرضها على والديه . فإذا ما وجد من مدرسه مرشداً روحياً اجتماعياً صالحاً فإنه يتمكن من أن يحيا حياة هادئة . وقد قيل إن الأفراد الذين لا مرشد لهم كأوراق الشجر يسقطون . وقد عرفت الدولة أهمية ما نقول فجعلت الدين مادة أساسية .

ولكن هذا الإجراء رغم ترحيب الكثيرين من رجال الدين به ، فإننا نخشى من نتائج أخطاء متعلقة بظروفنا الحالية كعدم وجود المدرسين الصالحين وعدم وجود الكتب والمراجع الصالحة ، والغش فى الامتحانات ، وتملق المدرسين ، وعدم فهم هؤلاء للمعايير الصحيحة للتربية الدينية . بل وكثيراً ما يكره التلاميذ الدين لأن امتحاناته جاءت صعبة ، وكثيراً ما يرتبط فى ذهن التلميذ أن الدين علم يدرس فى حصة معينة فليحفظ ولتلقى معلوماته على أوراق الامتحان فلا داعى إذاً لأن يهتم التلميذ بالدين فى غير حصة الدين [1] .

هذه نواحى يجب معالجتها فى المدرسة كما يجب أيضاً مراعاة إشباع ميول الطفل وحاجاته بكافة ألوان النشاط الرياضى والاجتماعى والهوايات ، ووسائل شغل أوقات الفراغ . وتنمية التذوق الجمالى والتفكير السليم ، والجسم السليم حتى يشب وهو أقدر ما يكون على النمو نمواً متكاملاً .

دور المدرسة فى التربية الدينية

والآن نتساءل هل للتربية الدينية نصيب من جهود المدرسة ؟ إن " الدين " ولاشك عنصر هام من عناصر التراث الإنسانى . ومادامت مهمة المدرسة أن " تنقل " هذا التراث إلى الناشئة ، فإنها تعنى ولاشك بنقل العقيدة الدينية ، وتجعلها " مادة " من مواد الدراسة . وهنا نقطة الخطأ الكبرى . إذ سرعان ما يتحول الدين إلى حصة ومنهج وامتحانات .

١ . الاستفتاءات التى أجريت بين المدرسين ونتائجها .

ومن المؤلم حقاً أن نرى بعض التلاميذ يحاولون الغش فى امتحان الدين !! مما يقطع بأن ما تلقوه من تعاليم دينية جاء على هامش حياتهم ، دون أن يغيرها . وليس هناك فشل أعظم أو أخطر من هذا .

فإذا أردنا أن نمعن النظر فى هذه المشكلة وجدنا أن الكنيسة يجب أن تتدخل بوسيلة أو بأخرى فى توجيه المدرسة للوسائل الصحيحة المؤدية إلى التربية الدينية السليمة ، ولا نقول المؤدية إلى تدريس الدين لأن الدين والأخلاق والفضائل لا تدرس وإنما تكتسب أو قل تسلم من شخص لآخر عن طريق القدوة والمثال الصالح [٢] .

وإذا كان الدين قد أصبح " مادة دراسية " بحصص ثابتة ، ومنهج محدد ، وامتحان فى نهاية العام ، فإن معنى ذلك أنه دخل القالب العام الذى تسير فيه المدرسة المصرية الحالية من حيث اهتمامها بالمواد ، وبالامتحانات ، وبالتلقين دون نظر أو اعتبار ـ إلا فى القليل ـ إلى تنمية شخصيات التلاميذ ، وإكسابهم الاتجاهات والعادات السليمة وتدريبهم عن طريق الجو المدرسى إلى نوع السلوك الاجتماعى المرغوب فيه . نقول إذا كان التوفيق قد جانب المدرسة ـ بوجه عام ـ فى تحقيق هذه الأهداف فإن دور الكنيسة قد ازداد خطورة لأن الواجب يلزمها أن تتدخل لتحقيق الغاية من درس الدين . وهناك عدة اعتبارات تلزم الكنيسة بهذا التدخل :

١. أن درس الدين قد يهمل لأسباب عدة : إرهاق المدرسين ، كثرة المواد ، ضيق الوقت وخاصة فى المدارس الابتدائية التى يتبع بها نظام الفترتين ، وقد لوحظ أن درس الدين تخصص له فى الكثير من المدارس على تباين أنواعها .. الابتدائية والإعدادية والثانوية والفنية ، الحصص الأخيرة ، فإذا لم يحضر المدرس انصرف الأولاد ، وتفادت إدارة المدرسة ما قد ينجم عن وجود فصل دون مدرس من ارتباك ، كما أن بعض المدارس

---

٢ واضح من سير الكلام أن التوجيه هنا منصب على التربية الدينية المسيحية فالواقع أن التربية الإسلامية بمدارسنا يقوم بها عادة مدرسو اللغة العربية وهم ـ وفق مناهج دراستهم ـ معدون لتدريس الدين الإسلامى .

قد لا يكون بها مكان لحصة الدين المسيحى ، بل أن بعضها الآخر قد لا يوجد فيه مدرس مسيحى أصلاً .

٢. عدم توفر نوع المدرس المسيحى الذى تتوفر فيه شروط القدوة . وإذ كانت مهنة التربية تتطلب فى المربى شروطاً كثيرة تأتى فى مقدمتها الأخلاق الفاضلة والمثال الصالح فى السلوك ، فإن التربية الدينية من وجهة النظر المسيحية تتطلب كمالاً أكثر ، فإذا اعتبرنا الدين حياة ومبادئ تسلم بالقدوة والتصرف ، كما يعلمنا الكتاب المقدس لكفانا من مدرس الدين فى المدرسة إذاً جاز هذا التعبير ، أن يعظ ويعلم بطرق معاملته لزملائه وتلاميذه لأنه فى هذه الحالة سيظهر ثمار مسيحيته فى أعماله فمن يراها " يمجد أباه الذى فى السموات " .

٣. وقد يدخل المدرس فعلاً درس الدين ولكنه يستغله للراحة أو لتصحيح الكراسات ، ويكتفى بأن يقرأ الدرس فى الكتاب المقرر فى حوالى ربع ساعة ، خاصة وأن مناهج الدين وكتبه فى وضعها الحالى تبدو سهلة وفى غير حاجة إلى الكثير من الشرح فضلاً عن أنه لا يوجد تفتيش يتابع عملية تدريس الدين ، وأن الامتحانات يمكن أن تكتفى بأبسط الإجابات .

٤. وبينما نرى أن المدرس يعد لتدريس مواد تخصصه ، ويطلب منه أن يتابع الجديد الذى يستجد على هذه المواد ، إذاً بتدريس الدين بوضعه الحالى لا يسبقه تدريب أو إعداد (*) بل هو فى أغلب الأمر يأتى تكملة جدول !!

وقد يشكل توزيع دروس الدين فى بعض المدارس على واضع الجدول فيضعها كما سبق القول فى نهاية اليوم المدرسى لتأخذ شكلها الروتينى ، أما التنفيذ فموضوع آخر !!

* كانت إدارة التدريب بوزارة التربية قد أعدت أخيرا مشروع تدريب مدرسي الدين ولكنه تأخر فى التنفيذ فلعله ينفذ فى هذا العام ، وينفذ مشروع الاعتراف بخريجى الكلية الإكليريكية كمدرسين متخصصين لخدمة التربية الدينية .

ومؤقتا طالبت حلقات التدريب فىحلقاتها بضرورة تعيين موجه عام بالوزارة فيها وموجهين بالمناطق لهذه المادة تنتهى إليه تقارير تدريب المادة .

راجع قرارات أغسطس سنة ١٩٦٨ ، فبراير سنة ١٩٧٠ .

ولهذه الأسباب أصبح درس الدين بوضعه الراهن فى الكثير من المدارس لا يحقق الغاية المطلوبة منه . بل على العكس ربما تحدث منه أضرار مختلفة .. كأن يتكلم غير المختصين فى شئون التربية الدينية فى موضوعات لا يفهمونها فيشككون الأولاد خاصة مرحلة المراهقة .. التى قد ينظر التلميذ خلالها إلى المدرسة أنه مثله الأعلى فيأخذ آراءه قضايا مسلم بها ـ وقد تكون آراء ملحدة أو هدامة ـ فتكون النتائج وبيلة خاصة فيما يتصل بحياة الطهارة وموضوعات العفة .

على أننا مع ذلك نسجل بالفخر لبعض الأساتذة فى المدارس اهتمامهم بهذا الموضوع وأخذهم الحصص المقررة مأخذ الجدية حتى أننا نراهم لا يتقيدون بمناهج مكتوبة ، ولكنهم يعملون على نقل روح الدين إلى تلاميذهم بقدوتهم وتعاليمهم الحية .

واجب الكنيسة إزاء التربية الدينية بالمدرسة

إذا كانت هذه الأوضاع هى بالنسبة للتربية الدينية بمدارس التعليم العام والتعليم الفنى ، فما هو واجب الكنيسة إزاءها ؟ إننا **نقصد بالكنيسة** هنا **معنيين يكمل أحدهما الآخر** .

١. **المعنى الأول** : الكنيسة العامة من حيث هى رئاسة دينية ، تعمل على التفكير فى استغلال وتوجيه كل القوى التى تؤدى إلى تحقيق الحياة الأفضل لأبنائها وقيادتهم إلى الملكوت .هذه الرئاسة أو القيادة من واجبها أن تقوم بتحديد المشاكل التى تتصل بأبنائها ، لتدرسها ، وتضع لها الحلول المناسبة ، ثم توفر الإمكانيات الكفيلة بتحقيق هذه الحلول ـ بروح الإيمان والثقة فى مواعيد الله ـ ولو على مدى طويل .. خمس أو عشر سنوات مثلاً .. شأنها فى ذلك شأن الحكومات المستنيرة التى تضع برامج السنوات الخمس ، وتتابع تنفيذها وتنشئ أجهزة التقويم التى تراقب مدى نجاحها . وهكذا فإذا كان هذا شأن أهل الأرض فبالأولى كنيسة الله عمود الحق وقاعدته .

٢. **المعنى الثانى** : وهو الأقرب إلينا فى هذا الموضوع ، فنقصد به كنيسة الحى الذى تقع به المدرسة ، وهناك عدة وسائل يمكن للكنيسة أن تتبعها لتكوين الصلة بينها وبين

المدرسة ، ولكننا قبل أن نعدد هذه الوسائل نرى من الضرورى أن يتوفر فى الأب الكاهن الحماس الروحى الشخصى لخدمة أبنائه تلاميذ المدارس الواقعة فى حيه بصرف النظر عن موقع سكنهم بالأحياء الأخرى . إن هذا الحماس كفيل بأن يجعله يخصص الكثير من الجهود التى تحقق خلاص هؤلاء التلاميذ ـ بنين وبنات بطبيعة الحال ـ وتغيير حياتهم إلى المستوى المسيحى مستوى الكمال . ومن تكرار القول أن هؤلاء الأبناء هم عدة الغد ، عدة الوطن والكنيسة والإنسانية ، فهذه قضية معروفة .

وسائل الصلة بين الكنيسة والمدرسة

١. يقوم الأب الكاهن فى أوائل العام الدراسى بدعوة المدرسين المسيحيين إلى حفل تعارف بالكنيسة للتنبيه إلى أهمية حصص الدين ، وإلى أنه يضع إمكانيات الكنيسة فى تحقيق الغايات الروحية والتربوية من هذه الحصص ، وقد أجريت هذه التجربة فى عدة أماكن .

٢. عمل نشرة توضيحية تشرح فيها مناهج الدين ويشار إلى المراجع التى يمكن لحضرات الأساتذة الرجوع إليها لتحضير دروسهم ، مع التوجيهات الخاصة بطرق التدريس وربط الدين بالحياة ومشكلات التلاميذ الفعلية ، فضلاً عن توضيح أهميته وخطورته فى تكوين المواطن الأمين العامل لمصلحة بلاده وكنيسته حتى لا يأتى درس الدين جافاً مملاً ، وإنما يكون حياً مثمراً فاعلاً فى قلوب التلاميذ فعل التغيير والتجديد .

٣. عمل قوائم بأسماء التلاميذ المسيحيين بالمدرسة ، ثم تفريغها حسب عناوينهم ، فمن يسكن بالحى الذى تقع به المدرسة يسلم الأب الكاهن اسمه إلى فصل مدارس الأحد الذى يناسب سن الطالب لافتقاده ودعوته . أما الذين يسكنون فى أحياء أخرى فترسل أسماءهم إلى أقرب كنيسة لهم لافتقادهم .

٤. يخصص الأب الكاهن يوماً فى الأسبوع وليكن الأربعاء مثلاً ، لدعوة التلاميذ إلى صلاة رفع بخور باكر تليها عظة قصيرة مناسبة ، بحيث لا تزيد الخدمة عن نصف ساعة وفق مواعيد المدارس المجاورة ، وعن طريق هذه الصلاة يتعرف الأب الكاهن شخصياً على

التلاميذ ، ويشجعهم على الحضور إلى الكنيسة فى يوم عطلتهم الأسبوعية ، وعلى ممارسة سر الاعتراف راحة لنفوسهم وحلاً لمشكلاتهم . كما ينتهز فرص العطلات الدورية ، وإجازة نصف السنة للاستزادة من هذه الصلة بينه وبين الأساتذة من ناحية ، وبينه وبين الطلاب من ناحية أخرى . وقد جُربت هذه الوسائل ببعض الكنائس فنجحت نجاحاً منقطع النظير .

ونحن لا نجزم بأن هذه الوسائل ستحقق الغايات المطلوبة كاملة ، وإنما هى مجرد اقتراحات نضعها أمام المسئولين وأمام الآباء الكهنة ليبدأوا بها ونترك لهم فرصة تجربتها ثم تطويرها وفق الظروف البيئية والاجتماعية التى تقع فيها كنيستهم والمدارس القريبة منها . وحبذا تعاون الآباء الكهنة ، إذا وجدت بالحى عدة كنائس على تحقيق هذه الآمال بتوزيع العمل بينهم ، وخاصة الرعاية الفردية للطلاب وتكوين الصداقة الشخصية مع الأساتذة ، ومع السادة النظار الذين لاشك فى أنهم يرحبون بتوجيه أبنائهم إلى الحياة الفضلى ليبعدوا بهم عن مناحى الانحراف والإغراء .

ويستلزم هذا من الأب الكاهن أن يكون على وعى بعدد الخدام الذين يقومون بالخدمة فعلاً بكنيسته ، وعدد الخدام اللازمين لمواجهة زيادة عدد المخدومين به ووضع الخطط الكفيلة بتحقيق الخدمة الكاملة الشاملة ولو على مدى طويل .

وإذا كانت هذه الخدمة روحية يندفع إليها الأب الراعى بدافع من ضميره ووجدانه وتقديره لرسالة الخلاص والتوبة ، فقد رأينا بعض الآباء الكهنة يذهبون إلى مقابلة السادة النظار طالبين معاونتهم فى هذا الموضوع متولين هم بأنفسهم خدمة التربية الدينية . ولاشك أنها فرصة ثمينة قد لا تعوض ، أن الأب الكاهن يقوم هو بنفسه بخدمة حصص الدين ، والتعرف إلى التلاميذ ، ودعوتهم إلى الكنيسة هم وعائلاتهم . كما نجح البعض الآخر فى تكوين الصلات الوطيدة بينه وبين الأساتذة مما شجعهم على القيام بهذه المهمة خير قيام .

وقد اهتم بعض الآباء بعمل القداسات الخاصة للتلاميذ ، وتوجيههم إلى ممارسة سر الاعتراف للتوصل إلى حل مشكلاتهم الشخصية والعائلية ، فضلاً عن تكوين مكتبات الإطلاع

لهم ، وعمل المعسكرات والنوادى صيفاً مما يحقق فعلاً جانباً كبيراً من غايات التربيـ بوجه عام ، والتربية الدينية بوجه خاص ، إذ أن هذه الوسائل فرص ثمينة لاكتشاف القدرات والمواهب وتشجيع أصحابها على النمو وتهيئة المجالات التى يتحقق فيها هذا النمو .

ومن الثمار المفرحة حقاً فى هذا الميدان ملاحظتنا أقتران النجـاح والتفـوق بـالتدين الحقيقى مما يقطع بقيمة الدين فى حياتنا العامة والخاصة ، وبأنه وسيلة لتكويـن المواطـن الناجح البصير ، بشرط أن يتهيأ له الجو الدينى السليم القائم على أسـس المحبـة والقـدو المسيحية . ولاشك أن الأب الراعى هو نقطة البدء ومحور الزاوية فى تهيئة هـذا الجـو وينقلنا هذا إلى الحديث عن الكنيسة كمجال للتربية .

الكنيسة كمجال للتربية الروحية

تهيئ الكنيسة للطفل منذ ولادته مجال النمو الروحى . **وهذه هى رسالتها التربوية منذ ظهور المسيحية :**

١- أنها تمنح الطفل نعمة الميلاد الثانى

مجددة طبيعته الجسدية بطبيعة أخرى روحية لأن " المولود من الـروح فـهو روح (يو ٣ : ٦) ، ومعنى الولادة الروحية أن يصبح الطفل ابناً لله بالتبنى " كل من ولد من الله لا يخطئ ، بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه " (١ يو ٥ : ١٨) .

ويرتبط العماد بعملية تربوية على أكبر جانب مـن الخطـورة ، فـالوالدان يتعـهدان بالمحافظة على سلامة الطفل ، وخاصة من الناحية الروحية . والكنيسة تنتهز فرصة عمـا الطفل لتوجه للوالدين الكثير من النصائح والوصايا . بل وتزيد على ذلك فتعـهد بـه إلـ "اشبين" أو " وصىّ " للإشراف على تربيته حتى يسلمه فى مرحلة البلوغ إلى أب الاعتراف وقد جرت العادة فى القرون الأولى على تغيير الاسم عقب العماد ليكون جديداً تبعـاً للحيـ التى انتقل إليها المؤمن .

وكانت أسماء الأطفال تختار من الكتاب المقدس لتحمل معها إلى المعمديـن فضـائ أصحابها .

٣. تمنح الكنيسة للطفل أيضاً سر الميرون

أو سر المسحة المقدسة أو سر التثبيت ، وبهذا السر يصبح هيكلاً لسكنى روح الله ، فيمتلئ من الروح القدس ، وتحل عليه مواهبه الإلهية . مواهب العزاء والحكمة والنصرة والصبر ، بل إن هذه المسحة تعلمه كل شئ (يو ١٤ : ٢٦) ، (١ يو ٢ : ٢٠ ، ٢٧) ، وتظهر فيه ثمار الفضيلة الإلهية ، المحبة ، الفرح ، السلام ، طول الأناة ، اللطف ، الصلاح ، الإيمان ، الوداعة ، التعفف (غلا ٥ : ٢٢ ، ٢٣) .

٢. فى مرحلة البلوغ

توجهه الكنيسة إلى سر التوبة وأهم عناصره الاعتراف . فالمعمودية وإن جددت الطفل ، والمسحة المقدسة وإن قدسته وثبتت فيه جذور النعمة والفضيلة الإلهية ، إلا أنه حين يكبر يتعرض للخطأ نتيجة الصراع الطبيعى بين الخير والشر. وفى سر الاعتراف مراعاة للفروق الفردية والاهتمام الخاص بكل عضو فى ضوء ظروفه النفسية والاجتماعية والعلمية والصحية . ولأهمية الاعتراف ، وعظم مسئوليته ، لم يكن يختار لممارسته سوى الكهنة المختبرين الذين أمضوا فى الخدمة مدة كافية ، فأصبحوا قادرين أن يطببوا النفوس ويعالجوها . فأب الاعتراف أب ، وطبيب ، وقاض . فهو أب من حيث أنه المرشد الحنون المحتمل ، وهو الطبيب الذى يصف الدواء لكل سقوط ، وهو القاضى الذى يدين ويؤدب بالسلطة المعطاة له من الله . وكانت الكنيسة فى عصورها الأولى تخصص للمنضمين إلى الإيمان قسماً خاصاً أطلقت عليه " خورس الموعوظين " ، وكانت تراعى فى دقة أن الموعوظين لا ينتقلون إلى " خورس المؤمنين " إلا بعد أن تظهر فى حياتهم ثمار الإيمان ويعتمدون .

أما الموعوظ ، الذى لم ينل العماد بعد ، فإنه لم يكن يعتبر عضواً إلا بعد عماده .

وكانت لهذه الخوارس دلالتان تربويتان واضحتان : الأولى أنها تبين الوضع الحقيقى لكل أعضاء الكنيسة ، والثانية أنها تكشف عن سلطان الكنيسة وتأثير توجيهها على جمهور المؤمنين .

طقوس الكنيسة رسالة تربوية مستمرة

اعتمدت الكنيسة فى توجيه أعضائها ، وتهيئة الجو الروحى اللازم لنموهم فى الفضيلة ، على الخدمات الطقسية الموجهة ، فعن طريق الخدمات الطقسية كان مضمون التعليم الدينى يسلم للشخص . بمعنى أوضح أنه عن طريق القراءات والعبادات الجمهورية ، وتقديس يوم الأحد ، والتعهد الفردى ، والصوم ، كان المسيحيون ينمون فى الحياة الروحية . وتعتبر ذكرى آلام السيد المسيح فرصة تربوية ثمينة فى تدريب المؤمنين على التأمل العميق واحتمال آلام الجوع إذ كانوا يقتصرون على تناول الخبز والملح ، وتستطيل عباداتهم ، وتزدحم بالترتيل والصلوات والقراءات الطويلة فى الكتاب المقدس . وفى وقت الحزن والمرض تقوم الكنيسة بواجب العزاء والصلاة والمجاملة ، فللمريض تقيم سر مسحة المرضى ، وللحزين تقيم صلوات للتعزية والتشجيع .

بل إن الطقوس شملت أيضاً نظام بناء الكنائس فهى تبنى عادة على هيئة السفينة رمزاً إلى الفلك الذى نجا به نوح من الغرق . وتتباين ألحان الكنيسة بين مناسبة وأخرى ، وكذلك فصول الأناجيل ، والقراءات فى الرسائل ، فهى فى الأصوام غيرها فى الأعياد ، وفى شهر كيهك غيرها فى الخماسين ، ولأعياد العذراء ، والملائكة ، والآباء ، والشهداء صلوات وقراءات وألحان خاصة ، فيها توجيهات تربوية مقصودة ، توجيهات تمس العاطفة وتوقظ الضمير ، وتوجه العقل والسلوك إلى الحياة المقدسة . هذا عدا الصلوات الخاصة بالمرضى ، والمعوزين ، والضالين . هذا التنوع فى العبادات والقراءات يبين فى وضوح أننا لن نجد الأسس الحقيقية للتربية المسيحية ، وبالذات الكنيسة القبطية التى حافظت بقوة على هذا التراث الهائل ، إلا إذا رجعنا إلى هذه الطقوس . ولهذا تعتبر الطقوس جزءاً أساسياً من طبيعة الكنيسة ذاتها ، ومن فلسفتها فى التربية الروحية .

٥- للألحان مكانة خاصة متميزة بين هذه الطقوس

إذا كانت الألحان تختلف بين مناسبة وأخرى إلا أنها عامل مشترك فى الطقوس الكنسية كلها وخاصة فى العبادة الجمهورية يوم الأحد ، وغير الأحد ، وليالى الأعياد ،

وأسبوع الآلام . ويرى بعض علماء الموسيقى أن الكنيسة القبطية كنيسة الموسيقى إذ تكاد كل كلمة تقال فيها على مدار السنة سواء فى النهار أو فى الليل أن تكون موسيقية .

٧ - مركز الأيقونات فى الكنيسة

منذ أوائل العصور المسيحية وللأيقونات مكانة خاصة لما لها من تأثير فى النفس من حيث أنها تذكير بفضائل القديسين أصحابها . ومن الطقوس الثابتة فى الكنيسة منذ أوائل العصور المسيحية إيقاد الشموع أمام صور القديسين ، فكما يشع نور هؤلاء القديسين تطبيقاً لقول السيد المسيح " أنتم نور العالم " . وفى الصلاة الجمهورية تقرأ سير القديسين كنماذج للفضيلة ، والثبات فى الجهاد الروحى . وكانت هذه السير تسجل أولاً بأول وخاصة فى أسقفية الأسكندرية . فقد جرت عادة البابوات الأوائل أن يسجل كل منهم سيرة سلفه . أما بالنسبة للشهداء فكانت كل كنيسة تحتفظ لديها بسجلات خاصة عن شهدائها تسجل بها تواريخ استشهادهم حتى أصبحت هذه السجلات مع الوقت أساساً لعمل التقاويم السنوية .

وكذلك كان دفن الشهداء مناسبة تربوية عميقة المغزى ، ذلك أنه بعد دفن أجساد الشهداء القديسين كان المؤمنون والموعوظون يجتمعون دون خوف ، وأمامهم المثل العملية للتضحية والبذل . وبهذه الوسيلة كانت الكنيسة تعد أبناءها للاستشهاد ، وأن هذا الإعداد فى ذاته مدرسة ذات تعليم مقصود لمواجهة الموت .

٨ - أن الكنيسة لم تقف عند تهيئة الجو الروحى

وتوجيه أعضائها إلى حياة الفضيلة المسيحية ، وإنما نشرت بين مؤمنيها خاصة ، والشعوب عامة ، تطبيقات المحبة والتسامح وأفعال الرحمة والتعاطف، فغيرت النظرة إلى المرأة والطفل ، ودعت إلى احترامهما ، كما دعت إلى إخلاء سبيل العبيد ، ومقاطعة الملاهى العالمية ، كما وجهت الاهتمام إلى اشتراكية التعامل عاملة بقول السيد المسيح " من كان له ثوبان فليعط من ليس له " . فعلت هذا كله دون تفرقة بين جنس وجنس ، أو بين لون ولون ، أو بين قومية وأخرى ، فكأن الكنيسة كانت مجالاً أيضاً للتدريب على الحياة

الاجتماعية الناجحة ، وعلى تكوين علاقات اجتماعية على مستوى إلهى حتى قال بعض مؤرخى التربية ، لقد اتجهت الكنيسة إلى تطبيق فضيلة المحبة لله والناس بطرق عملية .

٨- دور الكنيسة فى نقل التراث الدينى

وبالإضافة إلى ما سبق تقوم الكنيسة بنقل التراث الدينى والروحى إلى الأجيال الناشئة ، فبتعاليمها وطقوسها وخدماتها المختلفة تقوم بنقل التعليم الدينى ومضمون الإيمان المسيحى إلى الأجيال الناشئة . وبذلك تضمن المحافظة على تراثها واستمرار نمو تعاليمها وانتشارها .

وعندما تلمذ السيد المسيح ٧٢ رسولاً ليعلمهم ويسلمهم مبادئه كان بذلك يضع الأساس الأول لانتشار المسيحية من بعده لكى تصل إلى أقصى الأرض ، ويكرز بالإنجيل فى المسكونة كلها . وعلى هذا النموذج سار هؤلاء الرسل من بعده فكانوا يتلمذون آخرين ، ويقيمون أساقفة ليواصلوا التعليم والكرازة أى ليتابعوا عملية نقل التراث المسيحى لمن بعدهم . ولا يزال هذا التقليد معمولاً به حتى الآن .

٩- واجب الكنيسة فى مجتمع متطور

إن المجتمع الإنسانى دائم التغير والتطور . والاختراعات الحديثة تزيد من هذا التغير وتبرزه . وقد وضح فى وقتنا الحاضر الفارق الكبير بين القيم المادية الطاغية ، والقيم الروحية التى يزهد فيها الناس تحت تأثير المادة . فما هى رسالة الكنيسة فى هذه الظروف ؟.

رسالتها الأساسية أن تواصل دعوتها إلى التوبة وتبشيرها بالحياة الفضلى ، وعلى مدى تاريخها الطويل قدمت الكنيسة الكثير من مثل السلوك الكامل ، الكثير من القديسين الذين كانوا نوراً أضاءوا للآخرين ، كذلك اعتنقت الكنيسة عقيدة الشهادة والاستشهاد لأجل نشر رسالة الفداء والخلاص والحياة الأبدية .

وفى الوقت الحاضر تحتاج الإنسانية من الكنيسة إلى زيادة الجهد فى الخدمة والرعاية والبذل لكى تؤكد اتجاهات المحبة والتعاطف والسلام . وتقضى على ما ساد بين الأمم لوقت طويل من ظلم واغتصاب .

وهكذا ترفع الكنيسة صليبها وتعلن بشارتها المفرحة بعمل النعمة فى تجديد النفس وقدرة الروح على تغيير الحياة مهما كانت ظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية سيئة للغاية . فقيم الكنيسة ومبادئها وأهدافها واتجاهاتها لا تتغير بتغير قيم المجتمع . لأن النفس البشرية فى أى عصر فى حاجة إلى الخلاص . والإنجيل والأسرار كافيان لضمان هذه الهبة الإلهية .. أما النفس التى تتلامس مع الروح فهى توهب قدرة سمائية ، بها تستطيع أن تقف أمام ظروف الحياة الزمنية المتغيرة .

وصفوة القول : إن عمل الكنيسة فى دائرة النفس البشرية أن تتجدد لتشهد للمسيح فى كل ظرف وكل حال .

وفى إطار الأسرة تحتاج العائلة إلى خدمة قوية من الكنيسة لكى تدفع عنها عوامل الهدم والشقاق ، كى تكون كل أسرة لبنة حية فى البنيان الكنسى ، تمارس خبرة الحق والواجب على أكمل صورة . وفى هذا تدريب لأفراد الشعب على أن يتخذوا موقفاً إيجابياً فى علاقتهم بالله ، وفى علاقتهم ببعضهم البعض .

وساسة الدول ، ورجال الحكومات يحتاجون أن يسمعوا من الكنيسة صوت الدعوة إلى السلام والتعايش السلمى . والشباب يحتاج إلى صوت الكنيسة ليثبت فى حياة الطهارة والعفة والجهاد .

على أن هذا الصوت لن يصدر عن الكنيسة ما لم يكن رجالها والقائمون فى خدمتها مثالاً للسلوك المسيحى الحقيقى . فوسيلة نقل الإيمان المسيحى ليست الوعظ والتعليم فقط ، ولكنها القدوة والحياة الفاضلة أولاً . يقول القديس بولس " تمثلوا بى كما أنا بالمسيح " .. والمسيح رأس الكنيسة ، فإذا سلك الرعاة والخدام على مثاله أمكنهم أن يقدموه للناس من خلال حياتهم هم . والخطأ الكبير الذى يقع فيه الرعاة والخدام أن يكون هناك فارق واضح بين تعليمهم وسلوكهم . ومن ثم يصبح تعليمهم جافاً وبلا ثمر . ويستطيع الخدام أن يحيوا زمن المعجزات .. فالمعجزات قرينة القداسة وإنكار الذات واحتمال آلام الصليب بشكر . فإذا كانت للخدام هذه المواهب المسيحية أصبح للكنيسة سلطانها الذى لا يعلى عليه . يقول القديس

لوقا الإنجيلى مؤرخ أعمال الرسل " إن نعمة عظيمة كانت على جميعهم ولذلك كان الرب كان يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون " (أع ٤: ٢،٣٣: ٤٧).

فرسالة الكنيسة هى تغيير حياة الناس وجذبهم إلى الحياة الفضلى بفرح ومسرة قلب . أما وسيلتها فى ذلك فهى النعمة الإلهية الفائقة الطبيعة التى يمنحها الله للمؤمن فتتحدد طبيعته ويصبح شريكاً للطبيعة الإلهية ، ويقول أثناسيوس فى هذا المعنى " إن الله قد صار إنساناً ليجعلنا نحن أن نصير آلهة " ، هذا هو جوهر رسالة الكنيسة فى كل وقت ، وفى كل مجتمع ، وتحت أى سياسة وحكم . فالكرازة بالحق والحياة الفضلى لا تتأثر بالظروف فالكنيسة الأولى نشأت وسط الاضطهاد ، وقد قال بعض الآباء " كلما ازداد حصار الوثنيين للمسيحيين زاد عددهم وانتشر إيمانهم! " وستظل هذه رسالة الكنيسة إلى الأبد : توصيل الناس إلى حياة الكمال والنصرة ، على أساس المحبة الكاملة لله والناس .

رابعاً : التربية الكنسية كمجال للتربية

الحياة الروحية بين التعليم والتسليم

إذا كنا قد درسنا الكنيسة كوسط من أوساط التربية الروحية والنفسية ، فيجب أن نذكر أنه من أوائل العصور المسيحية والكنيسة تهتم اهتماماً بالغاً بإنشاء المدرسة لنقل حقائق الإيمان إلى المبتدئين والموعوظين . كانت هذه المدارس تضم الكبار المنضمين إلى الإيمان حديثاً ، فلما انتشرت المسيحية ، وأصبح الصغار ينالون سر العماد فى طفولتهم ، أخذوا نصيباً من الجهد فى خدمتهم وتعليمهم ، لكن هذه الخدمة لم تأخذ شكل تعليم أو تلقين لمجرد نقل المعلومات أو الحقائق الإيمانية ، وإنما اتخذت داخل الكنيسة شكل التلمذة أى التربية بمعناها الأشمل .. فالسلوك المسيحى ، والفكر المسيحى ، والحياة المسيحية بكلياتها جزئياتها تنتقل من المعلم إلى تلاميذه فهو يحيا معهم حياة الإيمان العامل بالمحبة وكأنه يؤكد كلمة يوحنا الحبيب فى نقل الصورة الحقيقية للتربية المسيحية فى وضعها الأصيل حين يتحدث عن " الذى كان من البدء ، الذى سمعناه ، الذى رأيناه بعيوننا ، الذى شهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة .. الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكىيكون لكم شركة معنا ، وأما شركتنا

نحن فهى مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح " (ايو١ : ١ ــ ٣) ، وهذا ما يؤكده القديس بولس المعلم حين يتحدث إلى تلميذه القديس تيموثاوس منبهاً ، ومحذراً من الانحراف بتذكيره بقدوته له فيقول " وأما أنت فقد تبعت تعليمى وسيرتى وقصدى وإيمانى وأناتى ومحبتى وصبرى واضطهادتى وآلامى .. فاثبت على ما تعلمت وأيقنت عارفاً ممن تعلمت"(٢تى٣ : ١٠ ــ ١٤) ولم يأت يوحنا وبولس بهذا التعليم من وحى تفكير بشرى أرضى ، وإنما استلهما من قدوة رب المجد الذى غسل أرجل تلاميذه ثم قال لهم " فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض ، لأنى أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً " (يو١٣ : ١٤ ، ١٥) ، وغسل الأرجل هنا نموذج للتناهى فى خدمة المحبة ، التى يجب أن يبدأها المعلم فتنتقل بالقدوة إلى تلاميذه " لأن أكبركم يكون خادماً لكم " .

هذا هو الأساس الصحيح للتربية المسيحية ، انتقال روح السلوك الكامل من المعلم إلى تلاميذه بالقدوة والمثال الذى يقدمه نموذجاً لهم فيتبعونه " تمثلوا بى كما أنا بالمسيح " . ولقد أكدت مدرسة الأسكندرية هذا الاتجاه فقد تميز طلابها بفضائلهم الروحية إذ كان أساتذتهم العلماء خير قدوة لهم بسلوكهم المسيحى الممتاز .

هذا اللون من التربية كان مقترناً أيضاً بتعليم الحق فاستحق معلمو الكنيسة أن يطلق عليهم لقب العظماء " وأما من عمل وعلّم فهذا يُدعى عظيماً فى ملكوت السموات " (مت ٥ : ١٩) .

والتعليم عنصر هام من عناصر خدمة الأب الأسقف ، والأب الكاهن . فمن أهم الشروط الواجب توفرها فى الكاهن " أن يكون صالحاً للتعليم " .

ومن قوانين الكنيسة " أن الأسقف الذى يرضى بقلة العلم ليس أسقفاً [*] بل إن هذه القوانين تؤكد على الأسقف " أن كل ما يعلمه يجب أن يكون قد فعله أى اختبره قبل أن يعلمه لكى يعرف ما يقوله بكل استقصاء لأنه إذا كان يعرف ما يقوله فالذين يسمعون يعرفون ما

[*] . المجموع الصفوى ص ٤٥ ــ الباب الخامس .

يقوله (*) " . وما ينطبق على الأسقف فى هذا الموضوع ينطبق بدوره على الكاهن والشماس ولكن التعليم هنا ليس هو ذلك النوع من التعليم الذى يؤدى بحكم العادة بلا هدف . وإنما هو التعليم الموجه ، التعليم الذى من يسمعه يشعر بأنه شرب من " الماء الحى " واستنار " بالنور الحقيقى " . فهو وسيلة من وسائل الخلاص وربط النفوس ببارئها الحقيقى رب المجد يسوع الذى قيل عنه " إنه كعادته كان يعلم " ، وإنه " يطوف كل الجليل تعلم فى مجامعهم ، ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب " (مت ٤ : ٢٣) ، وحين كان الناس يسمعون تعاليمه كانوا يبهتون " لأنه كان يعلمهم كمن لهم سلطان وليس كالكتبة " (مت ٧ : ٢٨) .

وهذه النعمة ـ نعمة السلطان فى التعليم ـ قد أعطيت لتلاميذ رب المجد وخلفائهم "لانى انا أعطيكم فماً وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها (*) " (لو ٢١: ١٥، اع ٦: ١٠) .

وإذاً فالتربية الروحية ، بالمثال والقدوة ، تقترن فى الكنيسة بالتعليم المحيى المجدد الصادر عن عمل روح الله فى حياة المعلم . ولعل أروع مثال لهذه الحقيقة ما سجله كاتب سفر الأعمال عن القديس بولس فى وداعه لكنيسة أفسس ـ رعاة وشعباً ـ حين قال " ثلاث سنين ليلاً ونهاراً لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد .. فى كل شئ أريتكم أنه هكذا ينبغى أنكم تتعبون وتعضدون الضعفاء متذكرين كلمات الرب يسوع أنه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ " (أع ٢٠ : ٣١ و ٣٥) .

وهكذا تقترن التربية المسيحية الصحيحة بالتعليم النقى الذى لا يفتر فى سبيل تحقيق الغاية الحقيقية من رسالة المسيح له المجد .

لماذا قامت خدمة التربية الكنسية ؟

وفى القرن التاسع عشر ، أحيا البابا كيرلس الرابع (١٨٥٤ ــ ١٨٦١) ، هذا التقليد حين أنشأ مدارسه المعروفة بالأزبكية وحارة السقائين ، وأخذ يعلم بها ، إلى جانب اللغات

* . المرجع نفسه .
* . المجموع الصفوى ص ٤٥ ــ الباب الخامس .

والرياضيات ، طقوس الكنيسة ، وألحانها ، وفصول الكتاب المقدس ، والمزامير ، بل أنه زاد على ذلك بأن خصص أباً كاهناً حكيماً لتوجيه التلاميذ توجيهاً روحياً . وكان هذا الراعى العظيم المحب للعلم ينزل بنفسه إلى الفصول يزور التلاميذ ، ويستمع إلى المدرسين . ثم يُحييهم فى نهاية الدرس قائلاً فى حماس عبارته المشهورة ، لقد استفدت معكم اليوم شيئاً جديداً " !! .

على هذا المثال سار تلاميذ كيرلس ممن أنشأوا المجلس الملى سنة ١٨٨٠ فاهتموا بإنشاء المدارس إلى جانب اهتمامهم بإنشاء الكنائس . وما لبثت الكنائس والمدارس إن ملأت مديريات القطر ، قراها ومراكزها ، ومن المدرسة القبطية الكبرى بالأزبكية ، انبثقت فكرة تخصص بعض الطلاب فى الدراسات الدينية التى تولاها القمص فيلوثاؤس إبراهيم فى أواخر القرن التاسع عشر ، وكان من أنبغ تلاميذ هذا المعلم الأرشيدياكون الأستاذ حبيب جرجس ، فعلى يديه اكتملت جهود البابوات كيرلس الرابع ، وكيرلس الخامس ، والقمص فليوثاؤس فى الاهتمام بالتعليم الدينى إذ ظهرت فى فاتحة القرن العشرين ـ بعد غيبة خمسة عشر قرناً ـ المدرسة الإكليريكية وأخذ إعداد الرعاة والمعلمين فى الكنيسة القبطية فى الأزمنة الحديثة يأخذ شكله النظامى ، من حيث توفر المدرسين ، واستيعاب المناهج لكل ما يلزم الراعى والكاهن والواعظ والمعلم بعد أن كان عمل الرعاية ينتقل ـ فى أغلب الأحيان ـ بالوراثة حتى ولو لم تتوفر الشروط المطلوبة فى المتقدم له .

ومن الإكليريكية خرجت دعوة أخرى إلى تقديس يوم الرب ، والاهتمام بالذهاب إلى الكنيسة ، لكن الدعوة هذه المرة كانت موجهة إلى الأطفال والصبيان والشباب وكان ذلك حو سنة ١٩٢٥م . وكان صاحب هذا الصوت هو نفسه ناظر المدرسة اللاهوتية ، وكان صحبه ومعاونوه فى القيام على هذه الرسالة الجديدة ، القديمة فى الوقت نفسه ، هم من زملائه فى المدرسة الإكليريكية .

كان ذلك بعد أجيال طويلة عاشتها الكنيسة فى ظروف غير طبيعية بلغت أقصاها من العنف والقسوة ، مما أدى إلى قلة عدد الكنائس ، خاصة بالمدن الكبرى وضعف الرعاية ،

فضلاً عن تمكن الشيع الأجنبية ، الكاثوليكية والبروتستانتية بمذاهبها الغريبة المتعددة ، من النفاذ إلى أبناء الأرثوذكسية بمصر وتأثيرها عليهم عن طريق الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية المختلفة . فكان لابد من قيام الكنيسة بجهد مقابل لحفظ عقيدة أبنائها كان من نتيجته حفظ وطنيتهم أيضاً من تأثيرات الاستعمار . وقد شهد مؤرخو التربية في الأزمنة الحديثة عن نجاح البابا كيرلس الرابع فى تثبيت وطنية المصريين ، فيقول أحد المؤرخين " إن مدارس البابا كيرلس الرابع كانت مركزاً لحفظ القومية المصرية ـ قومية أهل البلاد ـ فى أواسط القرن التاسع عشر إزاء الكلية البروتستانتية التى أنشأها الأمريكان بأسيوط [*] " ، ذلك أن المدارس القبطية لم تفرّق فى قبول تلاميذها بين الأجناس أو الأديان بل كانت تقبل كل المتقدمين إليها بل وتوزع عليهم الأدوات والملابس مجاناً !! فكان ذلك بحق مرحلة تحول خطرة في تاريخ البلاد الثقافى خاصة إذا علمنا أن البابا كيرلس كان أول من فتح باب التعليم العام أمام البنت المصرية قبطية ومسلمة بلا تفرقة ، مما كان له أخطر الأثر وأعظم النتائج فى تقدم البلاد ورقيها .

نقول إن الظروف التاريخية القاسية التى مرت بها البلاد عموماً ، والكنيسة بوجه خاص ، طوال العصور الوسطى ، إلى جانب نفاذ الشيع الأجنبية عن طريق الخدمات الاجتماعية المختلفة ، هذه كلها أدت إلى انتشار الجهل ، بما يحمل من مضاعفات وبيلة .

وجاءت حركة البابا كيرلس الرابع فكانت فجراً جديداً بزغ على الأمة ، وما لبثت حركته أن أثمرت فى فاتحة القرن العشرين حين زادت المدارس ، ولقى التعليم الدينى ما هو جدير به من اهتمام ، وأصبح لدرس الدين نصيب فى جدول الدراسة بالمدارس الحديثة التى بدأ فى إنشائها على يدى على مبارك باشا فى عهد إسماعيل .

وبدأت مدارس الأحد بالكنيسة البطريركية ، وبعض كنائس القاهرة ، تعلم الأطفال والصبيان والبنات عن وجوب تقديس يوم الرب ، وضرورة حضور القداس ودراسة عقيدة الكنيسة كوسيلة لتكوين الحياة الروحية السليمة داخل الكنيسة لا خارجها .

---

[*] دكتور أحمد عزت عبد الكريم ــ تاريخ التعليم منذ نهاية عصر محمد على ــ ص ١٣٩ .

وكان طبيعياً أن تنمو هذه الخدمة وتزدهر انتشاراً فلم يكد يمر ثلث قرن حتى كانت رسالة مدارس الأحد أو التربية الكنسية كما سميت فيما بعد تشكل عنصراً هاماً من عناصر الخدمة بكل كنيسة . ومما زاد فى قيمتها وأهميتها تقصير الأسرة والكنيسة والمدرسة فى رعاية أبنائها الرعاية الدينية الكافية .

والآن بعد مضى أكثر من ٤٠ عاماً على بدء هذه الخدمة العظيمة لابد من وقفة عندها لتقويمها ومراجعتها ، وإعادة النظر فيها فى ضوء أهدافها وغايتها الأولى . لقد نجحت التربية الكنسية حتى الآن فى تكوين وعى روحى أرثوذكسى ، فى المدن والقرى ، وفى إعداد عدد من المكرسين للإكليريكية والدير والكهنوت ، وبواسطة هؤلاء وأمثالهم صدر عدد لا بأس به من المؤلفات والأبحاث الدينية والتاريخية القيمة ، وهكذا كله يؤكد ضرورة إعادة تقويم هذه الرسالة الخطيرة حتى تتابع عملها الهام فى الكرازة والخدمة .

لقد أصبحت التربية الكنسية الآن جزءاً من كيان الكنيسة ، ووسيلة هامة من وسائل نشر رسالتها وتعاليمها . أصبحت تشكل وسطاً من أوساطها التربوية التى يتكون بها الخدام ، الذين يقدمون بدورهم تعاليم الكتاب المقدس ، وأسس الحياة الأرثوذكسية للنشء ، وللأسرة وللشباب فى مختلف مراحله .

وليس هذا الكتاب بصورته هذه مجالاً لتقويم هذه الرسالة ، أو مراجعتها إذ أن هذه الدراسة يجب أن تكون موضوع كتاب آخر مستقل ، ولكننا ونحن ندرس أصول التربية المسيحية ، نرى أنه من الضرورى توضيح بعض الاتجاهات والمبادئ التى يجب فى ضوئها أن يعيد الخدام النظر فى توجيه أسس التربية الكنسية بحيث تحقق أرثوذكسية التعليم وأرثوذكسية السيرة معاً .

هذه المبادئ

أولاً :

إن الدين لا يُعلم وإنما الدين حياة واختبار . فإذا أردنا أن تتحقق أهداف التربية الروحية وجب علينا كخدام أن نعود إلى الوضع المسيحي الأصيل ، وقد سبق أن شرحناه فى

مقدمة هذا الفصل ، أن نختبر بأنفسنا حياة المسيح فينا ، ونتذوق من ثمارها فى واقع سلوكنا وتصرفاتنا ، حتى إذا علمنا تلاميذنا لا يأتى تعليمنا جافاً قاحلاً ، وإنما يأتى عن اقناع وفهم وإيمان . فرسالة التربية الروحية هى المعلم بذاته ، المعلم فى حياته ، فى أقواله ، فى تصرفاته ، فى سلوكه ، فى قدوته ، فى مثاله الذى يراه تلاميذه فيحبون المسيح فى شخصه ، ويتبعونه . وأنه الخير كل الخير لمن يتولى مسئولية التعليم إذا رأى نفسه ضعيفاً فاتراً عاجزاً عن تقديم حياته كنموذج للمسيحى الحقيقى أن يعتكف متأملاً ذاته مراجعاً تصرفاته صائماً عابداً حتى يعود إلى سابق نشاطه وغيرته . يقول صاحب الرؤيا " قد احتملت ولك صبر وتعبت من أجل اسمى ولم تكل . لكن عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى " (رؤ ٢ : ٣ ، ٤).

ثانيا :

إذا كانت الخدمة الناجحة هى ثمرة حياة الخادم واختباره للمسيح عن قرب ، فمعنى ذلك أن ذاتية الخادم لا وجود لها وإنما العمل كله يقوم به روح الله نفسه ، وإذا كان تعليم القديس بولس للمؤمنين " مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ " ، فبالأولى يوجه هذا التعليم للخدام " أنهم ماتوا عن ذواتهم ، وحياتهم مستترة فى المسيح " ، فتعليمهم وخدمتهم ليست " بكلام الحكمة الإنسانية المقنع " ، ولكن " ببرهان الروح والقوة " . وكل خدمة تختفى وراءها أغراض غريبة كحب الظهور ، أو طلب المجد الباطل ، أو حب الاجتماع بالناس ، إلى أخر هذه الأفكار . هى خدمة باطلة لا ثمر فيها ولا حياة من ورائها .

ثالثا :

يجب أن تربط تربيتنا الروحية بمشكلاتنا وواقع حياتنا داخل بيئاتنا المختلفة التي نعيش فيها . إن تعليمنا عن الصوم مثلاً يجب أن يرتبط بدراسة الظروف المختلفة التى نعيشها حتى لا تكون هناك هوة بين الكلام النظرى والتطبيق العملى . وهنا تأتى قيمة الحياة الدينية ذاتها . فيمكن للخدام أن يخصصوا مع تلاميذهم خاصة من الشباب أياماً معينة ، ولاسيما فى العطلات المدرسية للصوم والصلاة معاً ، حتى يذوقوا بأنفسهم بالخبرة الفعلية ثمار الحياة

الروحية . أننا نريد التربية الروحية أن تكون هى بذاتها الخبرة الحية لا أن تقتصر على مجرد تعليم ووسائل تحصيلها ، فحسنا أن تعلم عن الصلاة والصوم ولكن سيظل التعليم قاصراً ما لم تختبر فعل الصلاة وقوة الصوم . فلو أمكنك تهيئة الفرصة لتلاميذك ليحيوا بأنفسهم هذا الاختبار تكون قد انتقلت بهم من مجرد التعليم إلى الحياة نفسها وهذا هو المطلوب . ولعل فى ذلك تأكيداً لقيمة الرحلات والمعسكرات والنوادى التى نحيا فيها مع تلاميذنا فترات طويلة من الزمن هى فى الواقع بمثابة مواقف تربوية يتفاعلون فيها عملياً مع مجال جديد يمكنهم فيه تطبيق مبادئ الحياة المسيحية ، ويرون فى أثنائها نماذج مختلفة للمسيحية العملية من خلال تصرفات الجماعة وتجاوب أفرادها بعضهم مع البعض الآخر .

فقد تمر الجماعة فى هذه المجالات بمواقف انفعالية فيها الخوف والغضب واختلاف الرأى ، فتكون الفرصة متاحة لاختبار مواقف الحياة على طبيعتها . وفى المجالات الرياضية يمر الشاب بمواقف الانتصار والهزيمة والأمل واليأس والهدوء والعنف والاتفاق والاختلاف ، وهذه هى الحياة نفسها ، فإذا خرج إليها أولادنا وشبابنا كانوا مزودين بالخبرات الكامنة تؤهلهم للتكيف الاجتماعى المرغوب فيه وإنما ميزة هذا التكيف أنه يقوم على أسس روحية .

رابعا :

إن الجو الروحى بمدارس التربية الكنسية هو مجموعة العلاقات القائمة بين مختلف وحداته ، الأب الكاهن ــ الخدام ــ الأولاد ، فإذا كانت محصلة هذه العلاقات زيادة رابطة المحبة بين هذه الوحدات ، بين الأب الكاهن كأب ، والخدام كأبناء ، والأولاد كحملان المسيح الأطهار ، فمعنى ذلك أن التربية الروحية تحققت بأعظم وسائلها فاعلية وهى المحبة . وروح المحبة إذا كانت سائدة حقيقية بين الأب الكاهن والخدام ، وبين الخدام بعضهم وبعض لكفت بقدوتها الصامتة فى تدعيم المبادئ الروحية . لكننا نعيش فى كنيسة ، وهى إلى حد كبير أحد أشكال المجتمعات ، ونحن بشر قابلون للخطأ ، وقد نختلف معاً فى الرأى ، لكن كلما كانت أواصر المحبة قوية ، وكلما انتفت عن أغراضنا المصالح الشخصية . انحصرت نتائج هذا

الاختلاف فى أضيق حدودها ، بل لا نكون مغالين إذا قلنا إن توفر المحبة والغيرة الروحية الحقة كفيل بتحويل كل خلاف فى الرأى إلى خير يعم الخدمة ويدفع بها إلى التقدم وزيادة النمو . وبذلك تضيف خبرة الاختلاف فى الرأى لوناً جديداً من ألوان الحياة التى تظهر فيها ثمار حياتنا مع الله . ومن المهم أن تنجح الكنيسة ومدارس التربية الكنسية فى تكوين العلاقات الودية مع الهيئات والجمعيات المحيطة وإقامة خدمات التعليم والتربية الروحية بها .

خامساً :

إن نقطة البدء في مناهج التربية الكنسية يجب أن تراعى خصائص نمو الأطفال فى مراحل عمرهم المختلفة ، أما نقطة النهاية فهى توصيلهم إلى حياة الفضلى ، وربطهم ربطاً فعلياً على أسس سليمة بوسائط النعمة . وإذاً فللمناهج أسس معينة تجب مراعاتها ، من حيث خصائص النمو ، وغايات التربية الروحية ، وحاجات المجتمع العام الذى نعيش فيه ، ومجتمع الكنيسة الذى تنتمى إليه . فدروس المرحلة الابتدائية تختلف ولاشك عن دروس المرحلة الإعدادية عن دروس الشباب ، عن دروس العمال ، ودروس القرية . ونقصد بالاختلاف هنا اختلاف العرض ووسائط الربط بمشكلات التلاميذ وإن توافرت الوحدة فى الغاية . على أن المناهج فى حد ذاتها تأتى فى الدرجة الثانية من الأهمية بالنسبة لما يمكن أن يقوم من علاقات خاصة بين المعلم وتلاميذه فى افتقاده لهم ، وسؤاله عنهم ، ومعاونته لهم فى مشكلاتهم وإشعارهم بأنهم ينتمون إلى جماعة ترعاهم وتحنوا عليهم وتنفعل لمسراتهم وآلامهم وتشاركهم أفراحهم وأحزانهم فهنا تحقيق وإشباع للحاجات النفسية الطبيعية فيهم ، كالحاجة إلى العطف ، والانتماء والتقدير .

والإشباع بهذه الوسائل هو فى حد ذاته تربية مستنيرة قائمة على استغلال دوافع طبيعية فى تنمية شخصيات التلاميذ نمواً سوياً متكاملاً . وقد رأينا فى بيوت الشباب التى أنشأتها بعض الكنائس والهيئات وسيلة عملاقة فى جذب الشباب الجامعى إلى الحياة مع الله ، فقيام الأب الراعى على خدمتهم ورعايتهم بركة كبرى لحياتهم ومستقبلهم .

سادساً :

إن نجاح الكنيسة والتربية الكنسية فى ضم الأسرة إلى قافلة النعمة وموكب الخلاص هو ولاشك كسب كبير لرسالة التربية الروحية . فالأسرة هى البيئة الاجتماعية التى يحيا فيها الفرد أطول فترة من حياته اليومية ، خاصة فى العطلات المدرسية ، فإذا اقتنعت الأسرة بقيمة المبادئ الدينية التي تعلم بها الكنيسة ومدارس الأحد ، ساعدت من جانبها على نمو أبنائها روحياً ، وهيأت لهم مجالات هذا النمو ، بأن تسمح لهم بالذهاب إلى القداس ، وحضور دروس الأحد ، والاشتراك فى نواحى النشاط المختلفة التى تهيئها الكنيسة لهم ، كالرحلات والنوادى والمعسكرات وغيرها . ومن يدرى ؟ فربما كان الأولاد بركة لوالديهم فيجذبونهم إلى ممارسة شعائر العبادة ، وتذوق ثمار حياة السلام والحب ، وتهيئة جو الصلاة والصوم بالمنزل ، بل والمساهمة مادياً فى خدمات الكنيسة . وهنا تظهر القيمة الكبرى لتعاون الأب الكاهن مع أبنائه الخدام فى السعى الجاد المنظم على إنجاح مشروع العضوية الكنسية وربط الأسر بالكنيسة برابطة المحبة والخدمة على أساس من البذل والتضحية ، والمساهمة الفعلية فى مواجهة مشكلاتها . وإنما نحب أن نلفت النظر هنا أن نقطة البدء فى هذا النوع من الخدمة ليس هو مساعدات اجتماعية تقدم وإنما خدمة روحية تستهدف أولاً خلاص النفوس وقيادتها إلى الحياة الروحية الصحيحة . أما الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية فهى أمور جانبية بالنسبة للهدف الكبير وهو خلاص النفس . ولعل فى هذا الاختلاف بين هذين النوعين من الخدمة يكمن الفارق الكبير بين تعليم الكنيسة الأرثوذكسية ، وجهود الشيع الأجنبية الغربية التى جاءت بمدارسها ومستشفياتها وملاجئها تغزو قلوب المصريين ، أقباطاً ومسلمين ، لتحولهم إلى عقائدها بصرف النظر عن الغاية السليمة للخدمة .

لقد كان هم هذه الشيع كسب أكبر عدد ممكن بصرف النظر عن الكيف أو نوع الخدمة المقدم لهم مما يقطع بأهدافهم الاستعمارية لأنهم لو تمسكوا بصورة التعليم الصحيح لما خالفوا وصية القديس بولس الذى كان حريصاً فى ألا يبنى على " أساس بدأه آخر " !! .

ثانياً :

إننا لا ننتظر من تلاميذ وشباب التربية الكنسية جميعاً أن يصبحوا خداماً أو وعاظاً أو معلمين فلكل واحد وزنته ، واحد قد أعطى وزنة ، وآخر وزنتان وثالث خمس وزنات ، لذلك يجب أن تتنوع مناهج التربية الروحية بحيث تمس كل نواحى الخبرة (*) فيتفاعل شبابنا معها كل حسب مواهبه .

والكنيسة كما سبق أن ذكرنا كالجسد ذى الأعضاء المختلفة تحتاج إلى المكرسين ، وتحتاج إلى الذين يكونون لنا أسرات مسيحية ينشأ فيها أطفالهم فى جو نقى ، وهذه إحدى غايات التربية الروحية كما عبر عنها أحد علمائها بقوله " إن الغاية من التربية استمرار التربية " ، إذ ليس أدل على نجاح رسالة الكنيسة من أن تصبح كل أسرة كنيسة .

أما المواهب الأخرى فهى متعددة متباينة ، مواهب فنية ، تعليمية ، مواهب فى الوعظ والافتقاد ، مواهب فى التدبير والإرادة ، مواهب تشمل الوقت والمال .. هذه كلها تحتاجها الكنيسة ويحتاجها المجتمع ..

فإذا نجحت التربية الروحية فى تقديس هذه المواهب والأخذ منها بنصيب فى خدمة رسالة الخلاص عن طواعية وحب واختيار ، لكان فى ذلك أعظم آيات النجاح .

أما المكرسين فالأمر يختلف بالنسبة لهم .. فالكنيسة أيضاً فى أشد الحاجة إليهم بشروط أن يأتى تكريسهم عن شعور باطنى عميق يتأكدون من خلاله بدعوة الله لهم حتى ليستغرقهم هذا الشعور ويملك عليهم وجدانهم وأشواقهم ، على أن الكنيسة ممثلة فى الآباء الروحيين المرشدين ، قد اعتادت أن تتأنى فى تلبية طلب أمثال هؤلاء حتى يبلغوا سن النضج من ناحية ، وحتى تتأكد من ناحية أخرى من صدق حماسهم ونضج عواطفهم ومشاعرهم .

على أن التربية الكنسية بوضعها الحاضر تحتاج إلى أعمال الفكر فى بعض المشكلات الجديدة ومنها :

(*) راجع الأسس الروحية والقومية والاجتماعية لمنهج مدارس التربية الكنسية الجزء الخاص بضرورة تناسب المنهج مع القامات الروحية التى يمر بها الطفل .

مشكلة التقويم

تقويم الخدمة من حيث نوع الخدمات التى تقدم للشباب والفتيان والأطفال ، ومدى نجاحها فى تحقيق الغايات الروحية المطلوبة من ناحية.

وفى جذب النفوس البعيدة إلى الخلاص وحياة الفضيلة من ناحية أخرى .

مشكلة المناهج

ومدى ملاءمتها لطبيعة وخصائص مراحل النمو التى يمر بها الأولاد ، ثم مدى ترابطها وتكاملها ، وتغطيتها لحاجات التلاميذ ومواجهتها لمشكلاتهم فى المدينة وفى الريف .

مشكلة خدمة الشباب

وتصنيف نواحى النشاط الخاصة بهم ، ووسائل الإعداد لعمل النادى والمعسكر ، وتكوين المكتبة المناسبة لهم ، وتبصيرهم بالاتجاهات المسيحية إزاء وسائل الإعلام الحديثة وتطور المجتمع إلى صورته الحالية .

مشكلة الاتصال

بنواحى الخدمة العامة فى المجتمع الخارجى ، وتكوين العلاقات مع الهيئات والجمعيات الموجودة فى البيئة المحيطة للتعاون فى المشروعات القومية لمحو الأمية مثلاً ، أو الخدمات الصحية وغيرها مما يحتاجها مجتمعنا فى مرحلة تطوره الحالية.

مشكلة إعداد الخدام

وطرق الإعداد النظرية والعملية الكفيلة بتحقيق هذا الإعداد فى أكمل صورة ممكنة .

مشكلة التجريب

ودراسة الطرق الخاصة بتدريس مناهج المراحل المختلفة ، وتسجيل النتائج فى ضوء ما استخدم من طرق التدريس ومعنياته .

إننا فى حاجة إلى تفتيح أبواب البحث فى وسائل الخدمة الروحية على الأسس العلمية والتجريبية والإحصائية حتى يكون تقدمنا ظاهراً فى كل شئ كقول القديس بولس .

وعدا هذه المشكلات الكبرى هناك اجتماعات الخدام وبرامجها ، وهى على ما نعلم فى أشد الحاجة إلى الدراسة والمراجعة بل والتطوير أيضاً بما يتلاءم مع ظروف مجتمعنا وكنيستنا ، ووسائل الافتقاد ، وعوامل تنشيط اجتماعات الشباب ، ودرس الكتاب المقدس ، والمسابقات المرتبطة به ، والجوائز التى ترصد لها ، من حيث نوعها ، وتوقيت توزيعها .. هذه وغيرها تحتاج إلى إعادة الدراسة والتأمل فى ضوء خبرات العشرين سنة الأخيرة على وجه خاص لأنها الفترة التى عاصرت قيام عدد كبير من قادة الخدمة الموجودين حالياً .

إن الأمر الذى يسترعى الانتباه أنه رغم وحدة الغايات والأهداف فقد تعددت الاتجاهات فى التربية الكنسية مما يحتم كما قلنا ضرورة إعادة النظر .

ولعل الوقت قد آن لهذا الواجب الخطير حتى تستقيم الخدمة ، وتتصل عناصرها من جديد ، وتتوحد أفكار القائمين عليها فى فلسفة مشتركة تقوم على الأسس الروحية والتربوية الصحيحة .

المسيح المربى

كان الناس يدعونه دائماً بقولهم " يا معلم " ، ووصفه كاتبو الأناجيل بأنه كان دائماً " يعلم " ، وحتى المتربصون به من الفريسيين والناموسيين والصدوقيين اعترفوا أنه " كان يتكلم بالاستقامة ، وبالحق يعلم طريق الله " (مت٢٢ : ١٦) ، (مر١٢ : ١٤) ، (لو ٢٠ : ٢١) .

واقترنت رسالته فى التعليم برسالة الافتقاد والكرازة والشفاء . يقول متى الإنجيلى "وكان يسوع يطوف كل الجليل ، يعلم فى مجامعهم . ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب " (مت ٤ : ٢٣) .

ولكى تمتد رسالته من بعد صعوده الممجد إلى السماء اختار رسله وتلاميذه ، ليسلمهم تعاليمه ، ويعلمهم أسرار ملكوت السموات ، ويذكر القديس مرقس أنه بدون مثل لم يكن يكلم الجموع . أما بالنسبة لتلاميذه فكان على انفراد يفسر لهم كل شئ (مر ٤ : ٣٣ ، ٣٤) .

والتعليم الذى علم به رب المجد كان تعليماً جديداً يتصل بإيجاد إنسان الله الكامل وتكوينه وتدريبه على الفضيلة . وعلى الدخول من الباب الضيق ليرتقى منه إلى الملكوت . فمن قبل مجيئه مر الإنسان بمرحلة الوثنية ، ثم بمرحلة الناموس الفردى (أى الضمير) ، فمرحلة الناموس الموسوى أو شريعة العهد القديم ، إلى أن جاء " ملء الزمان " فتجسد الابن الكلمة ليبذل ذاته من أجل خلاص الإنسان حتى يعيده إلى الصورة الإلهية التى كان عليها قبل الخطيئة فكان ذلك بشيراً ببدء عصر النعمة . وكما أن فى آدم مات الجميع . فكذلك فى المسيح يحيا الجميع . وإذا كانت خطيئة آدم قد سادت الإنسان العتيق فإن الإنسان الجديد قد تبرر بموت المسيح وأصبح جديداً بصورة الحق والقداسة .

هذه الصورة الجديدة هى التى جاء المسيح نموذجاً لها . فالمسيح إذاً كمرب قدم نفسه أولاً كمثال للكمال حتى أنه قال مرة " من منكم يبكتنى على خطية " ، وهى كلمة لم يقلها أحد غيره إذ ليس أحد صالحاً سواه لأنه الله الظاهر فى الجسد .

وبهذه الصورة أوضح للناس وبشكل عملى أن فى الإمكان تحقيق وصاياه وممارسة أعماله ، بل وأكثر منها حسب قوله الإلهى " من آمن بى يعمل الأعمال التى أعملها وأعظم منها " .

وكان لتعليم المسيح غايته ووسائله . أما غايته الأساسية فهى إعادة الإنسان إلى حالة البر التى خلق عليها ، أى أن يعود إلى صورته الكاملة ولذلك دعانا قائلاً فى وضوح وصراحة " كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل " ، وأكد تعليمه بالكثير من المطالب الموجهة كأن نكون نوراً للآخرين بأعمالنا ، وملحاً للأرض ، وبالأكثر لنصير شركاء فى طبيعته الإلهية نعيش به وله .

أما وسائله فقد تعددت ولكن يأتى فى مقدمتها عمل النعمة الداخلى فى تغيير الطبيعة الإنسانية ونقلها عن صورتها الأرضية إلى صورة الله ومثاله . وقد عبر القديس بولس عن هذه الفاعلية الداخلية بقوله " لا انا بل نعمة الله التى معى "، " أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى " . وفى كل مراحل تاريخ الكنيسة منذ صعوده له المجد ، كان عمل روح الله

فى المؤمنين هو سلاحهم الذى واجهوا به الاضطهادات " فلـم يقـدر جميـع معانديـهم أن يقاوموهم " ، وهو الذى عملوا به المعجزات ، وغيروا القلـوب ، ونقلـوا مشـاعر النـاس ومفاهيمهم وعواطفهم وقيمهم ومثلهم من المستوى الإنسانى إلى المستوى الإلهى .

وكانت شريعة النعمة التى وضعها رب المجد قانوناً جديداً بموجهات للسلوك جديـدة . والذى يقرأ عظته على الجبل بفهم يرى أنها وضعت قيماً جديدة ومفاهيم جديدة . وبعـد أن كان العقل والناموس هما فقط الموجهان للسلوك أصبحت الآن إلى جانبهما شـريعة النعمـة والمحبة والكمال . ولقد مست هذه القيم والمفاهيم الجديدة الدوافع الفطرية فى الصميم فارتقت بتأثيرها وعلت بطبيعتها .

فالمسيح إذاً كمرب ، وكواضع للشريعة الجديدة ـ شريعة عهد النعمة ـ لم يقتصر على أن ينهى عن ارتكاب الرذائل ، لأن هذا هو الجانب السلبى ، وإنما وضع أسساً جديدة للسلوك الإيجابى فى استهداف الفضائل الإلهية ، والعمل على الوصول إليها عن إرادة ومحبة فنحـن نحبه لأنه أحبنا أولاً ، ونحن نحفظ وصاياه لأننا نحبه عن إرادة ووعى ومما أكد هذا الاتجـاه الجديد تلك التطويبات الثمانية المعروفة التى افتتح بها عظته الخالدة علـى الجبـل ، فكلـها توجيهات إيجابية للحياة الكاملة والسلوك الجديد .

وكان السيد المسيح يستخدم فى تعليمه طريقة الأمثال .. فأمثال توضح معنى الكرازة ، أو الملكوت الجديد (مت ١٣) ، وأمثال أخرى للتوبة ، وأخرى عن الدينونة ، وعن الإحسان والصلاة وإنكار الذات .. الخ .

وكانت الأمثال مشتقة من واقع بيئة الناس ، وصميم خبراتهم العملية ، وحمل كل مثـل فى مادته البسيطة الواضحة المتصلة بالمحسوسات أفكار ومعانى روحية عالية ، ولعل مثـل الزارع من أقوى الأدلة على ذلك ، وكذلك مثل العذارى .

فالخادم إذاً لكى يكون معلماً وكارزاً بالحيـاة الجديـدة يجـب أن يعيشـها أولاً ، وأن يختبرها لكى إذا حدّث الناس بها حدثهم عن إيمان وثقة ، كذلك فعل القديس يوحنا الحبيـب الذى قال لشعبه فى رسالته الأولى إليهم " الذى رأيناه بعيوننا ، الذى شاهدناه ، الذى لمسـته

أيدينا من جهة كلمة الحياة .. الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكى تكون لكم شركة معنا ..أما شركتنا نحن فهى مع الاب ومع ابنه يسوع المسيح " (١يو ١ : ١ ـ ٣) .

المعلم الكنسى(*)

واجباته والشروط الواجب توافرها فيه

مسئولية التعليم فى الكنيسة تقع على عاتق الأسقف والقس والشماس . وإذا كان المدرس فى التعليم العام يجب أن تتوافر فيه شروط كثيرة منها أن يكون مؤمناً برسالته ، متحمساً لأدائها ، مقدراً لمسئوليته ، مقتنعاً بقيمتها وأهدافها وأن يكون قدوة ومثالاً لتلاميذه يعرف كيف ينزل إلى مستواهم ، وينفعل لمشكلاتهم ، ويجد فى طلب الحلول المناسبة لها . وأن يرى فى تلاميذه صورة جيل الغد الذى سيتحمل مسئولية النهوض بالبلاد . فلا يؤخر عنهم شيئاً من الفوائد .

وإلى جانب هذا كله أن يكون مركزاً للعلاقات الإنسانية بينه وبين رؤسائه ، وبينه وبين تلاميذه وأولياء أمورهم ، فيكون لهم الرائد والموجه ، والأداة الهامة فى تطور البلاد .

تقول إذا كانت هذه هى الشروط الواجب توافرها فى المدرس العادى ، فكم بالحرى بالنسبة للمعلم الكنسى الذى توكل إليه مهمة خلاص النفوس وقيادتها إلى الملكوت . لذلك وضعت الكنيسة عدة شروط أساسية اشترطت توافرها فيمن يعهد إليه بمسئولية التعليم .

ونلخص هذه الشروط فيما يلى :

١ـ **شروط السن :** فالشماس يجب ألا يقل سنه عن ٢٥ عاماً ، والقس عن ثلاثين عاماً ، أما الأسقف فيكون فى أواسط العمر بين الأربعين والخمسين عاماً ، والحكمة فى هذا الشرط واضحة .. أن يكون المعلم الكنسى قد نضج وعيه ،

(*) راجع مقالات الشموسية ـ مجلة مرقس سنة ١٩٧٠ ففيها توجيه كنسى سليم للخادم .

واكتملت خبرته . لكن الكنيسة مع ذلك لا تمانع أن يكون أصغر من السن المقرر إذا ظهرت فى سلوكه حكمة الشيوخ وأمانة القديسين .

٢ـ **وتشترط الكنيسة ألا يقام بعجلة** : وأن يمر بمرحلة تلمذة وإعداد يختبر خلالها اختباراً دقيقاً ، فإذا ثبت أنه بلا لوم ، على حد تعبير القديس بولس (١تى٣ : ١٠). وأنه قد وصل إلى النضج المطلوب عهد إليه بمسئولية الخدمة والتعليم .

٣ـ **وتدقق الكنيسة فى أن يكون خادمها طاهراً نقياً** : لا يشارك فى الكلام الباطل الدنس ، وأن يكون مدققاً فى سلوكه ، ملاحظاً نفسه ، قدوة فى الكلام والتصرف والإيمان .

٤ـ **وأن يكون قنوعاً متحرراً من الخرافات** : قادراً على احتمال المشقات لا تتسلط عليه عادات حب المال أو الغضب أو الميل للخمر أو الهوى ، وألا يكون محابياً بالوجوه ، بل له من الشجاعة الأدبية ما يمكنه من التمسك بمبدئه . ويحتم هذا ألا يكون حديث الإيمان لئلا يتصلف ويرتبك بخطيئة الغرور .

٥- **ولكى يكون ناجحاً فى رسالته كمعلم يجب أن يعكف على القراءة والدرس** : حتى يميز بين العلم الكاذب والعلم الحقيقى ، وليكون دائماً مستعداً للرد على المنحرفين والضالين والمبتدعين .

٦ـ **وأن يكون مشهوداً له من الذين هم من خارج** : أى من غير المسيحيين بالأمانة والعفة وحب السلام .

٧- **فإذا قدم أسقف أو قس أو شماس وجب أن تقدم له شهادة بتزكيته ممن قدموه ليسام خادماً فى الكنيسة** : وقد جرت العادة أن يسأل الأسقف مقدميه " أتشهدون أنه مستحق لهذه الرتبة بالحقيقة ؟ " ، وبالنسبة للأسقف يقوم الأب البطريرك بتوجيه هذا السؤال بقوله " أهذا هو الذى ارتضيتموه أسقفاً ؟ " ، وتكون الإجابة " نعم مستحق " . راجع رسائل القديس بولس إلى تيموثاوس : الرسالة الأولى فصول ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، والرسالة الثانية فصل ٢ ، ٣ ، ورسالته إلى تيطس

فصل ٢ ، وراجع أيضاً الدسقولية الباب الثالث ، وكتاب " ترتيب قسمة رتب الكهنوت " ومصباح الظلمة والجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة .

ونلاحظ أن هذه الفصول تضمنت شروطاً روحية ، ونفسية ، واجتماعية ، وتربوية ، مما يؤكد أن نجاح الكنيسة فى رسالتها التبشيرية والتعليمية ـ خاصة فى القرون الأولى ـ يرجع إلى الدقة فى تطبيق هذه الشروط ، فقد ورد عن استفانوس وهو أول شماس فى الكنيسة ، أنه كان ممتلئاً من الإيمان والقوة ، وكان يصنع عجائب وآيات عظيمة للشعب (أع ٦ : ٨) ، وعن الشماس فيلبس أنه بشر الخصى معلماً إياه عن تفسير نبوات أشعياء عن المسيح (أع ٨ : ٣٥) . وهكذا عن آباء الكنيسة الأوائل وتلاميذهم .

وكان الشمامسة فى (*) القرون الأولى يقومون بتعليم الموعوظين ، وافتقادهم وخدمة المعوزين والأرامل ، وكانوا يعتبرون من بين كهنة الكنيسة . على أن رتبة الشماس يعنى بها درجة دياكون ، أما الأناغنوستيس (وهو القارئ) والايبدياكون (وهو مساعد الشماس) ، فلم تكن لهما درجة الكهنوتية وإنما كانت رتبتهما مجرد رتبة للمعاونة فى الخدمة . وكان للشمامسة أيضاً مكانة هامة فى خدمة الكنيسة .. خدمة الأرامل والموعوظات .

وكانت المدرسة اللاهوتية ، والدار البطريركية ، والدير مراكز إعداد الخدام وتلمذتهم ، وقد وردت أمثلة كثيرة فى سيَر البطاركة ، ومعلمى الكنيسة تبين كيف كان يتم إعدادهم ليقوموا برسالة الخدمة والتعليم (*) .

وحاجة الكنيسة اليوم ماسة جداً إلى المعلم الذى تتوفر فيه هذه الشروط ، والذى يقدم بسلوكه وحياته وتصرفاته المثال العملى للسلوك المسيحى الحقيقى . فنحن لا نرى المسيحية ولا نعرف الكنيسة إلا فى شخص الخادم .. فى شخص

---

* راجع مقالات الشموسية للمتنيح يسى عبد المسيح ـ مجلة مدارس الأحد سنة ١٩٥٥م .

* سليمان نسيم ـ تاريخ التربية ـ الفصل الخاص بإعداد المعلم .

الأسقف والكاهن والشماس . وقد وقف يوماً واعظ تقى قديس يلقى كلمة عزاء وإذا بطفل يسأل والده مشيراً إلى الواعظ " هو ده المسيح يا بابا ؟ " ، فقد رأى الطفل فى هذا الخادم صورة للتقوى والفضيلة ، فرأى فيه الصورة التى تكونت فى خاطره عن المسيح . فالخادم هو رسالة المسيح المقروءة ، وهو رائحته الزكية ، وهو علامة الطريق إلى الكمال . وسلاحه ليس كلام الحكمة الإنسانية المقنع ، وإنما روح الله وعمله فى القلوب ، فهو يزرع ويسقى ويهيئ التربة ولكن الله هو الذى ينمى ويخلص . ومن أصدق الأدلة على صلاحية الخادم نجاحه فى حياته العائلية سواء أكان ابناً بين والديه أو أباً وزوجاً صاحب أسرة مسئولاً عن عائلته . فالخادم مسئول عن رعاية النفوس التى يتصل بها . وإذا كان الخادم يجد بعض الصعوبات فى حياته الأسرية لعدم تجاوب الأسرة مع نمط حياته فليس من علاج سوى التذرع بالصلاة وطلب المعونة الإلهية للتدخل وتوجيه الأسرة التى يحياها هو .

إعداد المعلم فى الوقت الحاضر

إن مفهوم كلمة المعلم فى كتابنا هذا يقصد به المعلم فى الكنيسة ، سواء كان كاهناً أو شماساً . ويفترض أن يكون خدام أسر مدارس التربية الكنسية قد حصلوا على إحدى درجات الشماسية ولو الأولى منها وهى الأغنسطس أو القارئ (*) . وكنا نرجو لو أن القائمين على التربية المسيحية بمدارسنا أن يكونوا حاصلين على هذه الرتبة أيضاً ، حتى يُطمئن إلى سلامة معتقدهم من ناحية ، وتدقيقهم فى السلوك والتصرف من ناحية أخرى ، هذا إذا جاز أن الحاصلين على مثل هذه الرتبة يعطونها حقها من التقدير والوقار . وهذه مسألة تحتاج إلى نظر .

والحاصل الآن أن الكلية الإكليريكية بأقسامها المختلفة تقوم بمهمة إعداد المعلم الكنسى ، وقبل التحاق الطلاب المستجدين بها تجرى لهم اختبارات شخصية، كما تطالبهم بتقديم تزكية من الأب الأسقف أو الأب الراعى لتضمن حسن سلوكهم

* ذكر الأب متى المسكين فى بعض مقالاته بمجلة مرقس سنة ١٩٧٠م شرحاً طيباً للتوجيه الكنسى للخادم ، نرجو أن يطلع عليها كل مهتم بالتربية الكنسية .

وسابق اتصالهم بحقل النشاط الدينى . أما فى التربية الكنسية فالمسألة مختلفة . ففى بعض الفروع يُختار الشباب المتقدم الذى أمضى بمدارس الأحد فترة تؤهله لحمل رسالة التعليم ، وفى البعض الآخر توجد فصول لإعداد الخدام ، فبعد أن يقع الاختيار على بعض الشباب المتقدم يلتحقون بهذا الفصل ليقضوا به فترة تدريب يتلقون خلالها دراسات خاصة ، ويقومون بالتمرين فى نواحى الخدمة المختلفة .. فى الفصول ، والافتقاد ، واجتماعات الشباب .. الخ .

أى أن إعداد الخدام ليست له سياسة واحدة فى الفروع المختلفة ونحن نرى أنه قد آن الوقت فعلاً لدراسة هذه المشكلة ، خاصة فيما يتعلق بفصول البنات والشابات .

ويُفترض فى الخادم سواء كان إكليريكياً أم غير إكليريكى ، أن يكون مقدراً لمسئوليته . حقيقة إنه ليس أسقفاً أو كاهناً ، ولكنه أحياناً يكون شماساً ، وقد أوكلت إليه رعاية عدد من الأطفال أو الصبيان أو الشباب ، فهو مسئول عن توجيههم إلى الحياة مع الله بقدوته ومحبته ورعايته لهم .

على أن من الواجب عليه أن يبدأ بنفسه أولاً فالأطفال أكثر قرباً إلى الله منه لطهارتهم وبراءتهم وبساطتهم ، فإذا أراد أن يزيدهم قرباً من الله وجب أن يكون هو عارفاً بوسائل هذا الاقتراب مختبراً للصلاة، منتصراً فى حياة الطهارة والعفة محباً لأسرته ، مطيعاً لوالديه ، أميناً فى أعماله وواجباته ، مواظباً على درس الكتاب المقدس وكتب الآباء .

وليس من الصواب أن يتولى أحد الخدام خدمة أكثر من فصل وإنما يكفيه فصل واحد حتى يتفرغ خاصة إذا كان طالباً لدروسه وامتحاناته من ناحية ، ولحياته الروحية الشخصية ، وقراءاته وتأملاته المخدعية من ناحية أخرى .

يقول القديس يعقوب الرسول " لا تكونوا معلمين كثيرين يا أخوتى عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم " (يع ٣ : ١) .

إن من يعلّم يجب أن يداوم على التعلم حتى أن القديس بولس ينصح تلميذه القديس الأسقف تيموثاوس قائلاً " لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك ، لأنك إن فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً " (١ تى ٤ : ١٦) .

فإذا كانت هذه النصيحة توجه لأسقف قديس ، فكم بالحرى لشماس صغير في اول درجات الشماسية ؟ فتحميل الخادم مسئوليات أكثر مما يحتمل فيه مغامرة بحياة الخادم ، وبسير الخدمة .

من هنا تأتى أهمية متابعة الخادم للدرس ، والمواظبة على حضور القداس الإلهى ، وعدم إهمال اجتماعات الخدام ، فوسائط النعمة ، ووجوده بين زملائه الخدام للصلاة والدراسة أمور هامة جداً لتثبيته فى المستوى الروحى الذى يحفظه من الفتور ، ويقيه من الزلل والانكسار .

ولا ينبغى أن يرتئى الخادم فوق ما يستطيع فليس من الصواب مثلاً أن يغامر شاب بتدريس فصول الفتيات بعد سن الثانية عشرة على أكثر تقدير ، وإنما يجب أن تنظم الخدمة بحيث تقوم خادمات شماسات بهذه المهمة ، أو يتولى الأب الكاهن شخصياً تنظيم اجتماعات خاصة من شأنها أن تسد هذا النقص .

حقيقة إن لتعليم البنت داخل الكنيسة أهميته الكبرى ، ولكن بشرط أن يخلو من أى خطأ أو انحراف أو عثرة ، وإلا انتفى وجود روح الله .

ومن هنا تحدث الأخطاء الجسيمة . ولا يقل إعداد الشماسات أهمية أو خطورة عن إعداد الشمامسة والمعلمين بالكنيسة ، ففتاة اليوم هى عائلة المستقبل .

ولذلك كان من الضرورى أن يشمل تخطيط الخدمة إعداد الخادمات الفاضلات اللائى يستطعن تولى هذه المسئولية تحت إشراف ورعاية الأب الكاهن أو من يحل محله من الآباء المتقدمين فى الخدمة المشهود لهم بالخبرة والحياة المنتصرة .

ومن الأمور التى قد تشغل الخدام عن جوهر الخدمة اهتمامهم بالإداريات والمناقشات الغبية التى تولد خصومات .

وتعطى الفرصة للذاتية فتظهر ، ووسط الصخب والضجيج يخفت صوت الله وتعلو أصوات الأنانية والكبرياء .

وهذه فرصة زارع الزوان ، عدو الخير الذى يأتى ليلاً ، ونحن نيام أى ونحن غير ساهرين على صيانة كنزنا الداخلى ، ملكوت الله الذى فينا ، ليزرع الشوك والانقسام بيننا وبين الله ، وبيننا وبين بعضنا البعض . وعوضاً عن أن نلتفت بوداعة واتضاع قلب إلى خلاص نفوسنا ونفوس العدد الصغير من الأطفال الذى أوكلنا على رعايته وخدمته نبتدئ فى مخاصمة بعضنا ، والدفاع عن آرائنا فى غضب وانفعال مما يحزن روح الله الساكن فينا ويمنع عنا ثماره الروحية الحلوة ، ثم لا نلبث أن نجد أنفسنا وقد بعدنا عن حضرة الله ، وسحابة كثيفة تقف بيننا وبينه. لنختلف فى الرأى ، ولنتناقش معاً ، ولكن بروح المحبة ، وبهدف الرغبة فى التفاهم وتمجيد اسم الله فقط لا على حساب المبادئ أو الفضيلة . أما إذا أخطأ أحد الخدام فبروح المحبة ، وفى سكون ننصحه ونوبخه وننذره ونحتمله ، ونصلى من أجله ، لعله فى النهاية يصحح خطأه .

وأخيراً إذا كانت الغاية من التربية الروحية أن نصل تلاميذنا بالكنيسة ليرتبطوا بها ويحيوا فيها وينمو خلالها فى كمال الفضيلة ، فإن الواجب يحتم على الخادم أن يعرف هذه الكنيسة معرفة أكيدة ، ومن علامات ذلك موعد حضوره الصلوات ، فالخادم المحب لإلهه يشتاق إلى حضور بيته مبكراً . وقد قال إلهنا " الذين يبكرون إلى يجدوننى " ، فلنجتهد إذاً أن نأتى إلى الكنيسة فى موعد مبكر لنتمتع بالصلاة المبكرة الحلوة العميقة الفائدة للنفس الأمينة لإلهها . ولنلاحظ أيضاً أن اهتمام الخادم بالصلاة فى الكنيسة واستغراقه فيها والتلذذ الروحى بها هو من علامات تقدمه فى النعمة ، لأنه مسكين هو الخادم الذى لا يعرف كيف ينتهز فرصة القداس الإلهى وصلوات الكنيسة فى التمتع بهذه النعم الفائقة عن طريق التأمل فيها. وخادم الله ينصت فى البيعة لكل ما يقال فيهتم ويحفظ جميع هذه الكلمات متفكراً بها

فى قلبه . على أننا لو أمكننا أن نتقدم خطوة فى هذا الأمر ، لازدادت الفائدة التى نجنيها من حضور الكنيسة . فإنه من الصالح أن يكون لخادم التربية الكنسية إحدى درجات الشماسية . وأن تكون له الفرصة أن يخدم فى الكنيسة خدمة أعمق فى القداس الإلهى . فإن هذه الخدمة مفيدة جداً لنمو النفس . فإذا كنت يا أخى ممن لهم درجة شماسية فلا تهملها بل انتهز الفرصة المناسبة للإفادة منها ، فإن لم تتمكن لسبب ما فلا تخمد شعور الخدمة فى نفسك بل زده اشتعالاً ، وليزدد حنينك إلى خدمة الهيكل حتى يحين الوقت الذى يسمح لك الرب فيه بأن تخدمه خدمة مقبولة طاهرة . وحينئذ تتيقن أنك تقترب من أمور عجيبة سامية لا تجسر الملائكة أن تتطلع إليها .

كما أن خادم التربية الكنسية يُفترض فيه أن يلم إلماماً طيباً بطقوس الكنيسة وخدماتها ، وليس ذلك فقط استعداداً لما سيتعرض له من أسئلة أولاده ، بل لأن هذه المعرفة فى ذاتها سبب نمو طيب لحياته إذ يمكنه أن يتفهم وتستفيد روحه من روعة معانى طقوس كنيستنا المحبوبة ، فلا تهمل معرفة هذه الممارسات الكنسية ، ومارسها بفهم وبهمة .

كما يفترض فيك دوماً أن تكون ملماً إلماماً حسناً بألحانها للإفادة منها فى الصلاة لأن لها تأثيراً حسناً جداً فى ارتباط فكرك بالأمور الطاهرة حين تمشى فى الطريق أو حين تهاجمك الأفكار الشريرة ، ولعلك جربت فائدتها القوية فى حفظ شعور التقوى فى نفسك حين يحاول العالم أن ينفذ إلى قلبك .

وهناك أمر آخر يفترض توفره فى الخادم ، وهو احترام وتوقير كهنة الله . ونحن نخطئ إلى أنفسنا كثيراً إذا أهملنا الفرص التى تسنح لنا لنوال البركة من كهنة الله العلى الذين بواسطتهم يسر المسيح إلهنا أن يعطينا أسراره الرهيبة، وتتجلى محبتنا وطاعتنا لآبائنا الكهنة فى اشتياقنا لنوال بركتهم والتحدث عنهم بمحبة واحترام ، واستماع أقوالهم وتوثيق صلتنا بهم أكثر فأكثر ، خصوصاً وأنهم آباء

اعترافنا والمهتمون بعلاج مشاكلنا الروحية ، والأمناء على أسرارنا ، وثق يا أخى الخادم أنك لن تنجح فى تعليم أولادك الطاعة والمحبة ما لم تكن أنت أولاً ابناً مطيعاً لأبيك الروحى محباً له . وما أحلى أن نرى الأب الكاهن يبارك خدام التربية الكنسية ويطلب لهم القوة فى خدمتهم . إن خدمتهم بين أولادهم لاشك ناجحة بقوة المسيح .

ومحبة الكنيسة وعلاقتنا بها تتضح أيضاً فى غيرتنا عليها ، غيرة حسب التقوى والمعرفة ، فليس حسناً أن تخفى غيرتك على الكنيسة ، أو تظن أن تمسكك بتقاليدها وتعاليمها هو ضرب من " التعصب " ، كما قد يجول بفكر البعض أحياناً بل عليك كمسيحى أمين أن تتمسك بالحق وتبشر به فى شجاعة وأمانة وألا تقصر فى الحديث عن كنيستك بحماس قلبى . فلا يليق إطلاقاً أن يفهم الناس من حديثك أن كنيستك تستوى لديك وأية كنيسة أخرى تخالفها فى التعليم .بل كن ثابت العقيدة مستقيم الرأى لأنه لا يمكنك أن تعلم الأولاد الثبات فى الإيمان والتمسك بالحق ما لم تكن أنت أولاً كذلك ، كما ينبغى أن تفهم أولادك وأصدقاءك معلومات صحيحة عن كنيستك . كما ينبغى أن تبث فيهم التعليم الصادق عن الأوضاع الصحيحة التى ينبغى أن تكون فى الكنيسة . ولتفعل هذا بحلم ولطف يليقان بمسيحى تقى يحب الرب إلهه .

يا إخوتى الخدام ، إن خدمتنا لا تحلو ولا تنمو إلا إذا كانت علاقتنا بكنيستنا المحبوبة علاقة وثيقة وطيدة ، ولعل الكثيرين منا الآن لا يحسون تماماً بالنعمة الجزيلة المفاضة عليهم بوجودهم بين أحضان كنيسة مقدسة عميقة الروحانية . ولكن إذا سمح الرب إلهنا لواحد منا أن يتغرب زماناً عن كنيسته ، فسيجرب فى نفسه حقاً عمق الحنين إلى الكنيسة ، وحرارة الشوق إلى التمتع بصلواتها . سيتمنى يوماً واحداً من أيامها الحلوة ، وستبتهج نفسه لو نالت ولو لحظات قصيرة فى جوار الهيكل المقدس ، بل ستتمنى نفسه لو جلست على العتبة الإلهية فى بيت إلهنا . وأن

تسمع ولو لحناً واحداً شجياً من ألحانـــها ، وأن تشـــترك ولـــو بكلمتيـــن صغـــيرتين فـــى صلواتها ، وأن تنال ولو بركة خاطفة من آبائنــــا الكهنـــة .

" مساكنك محبوبة يارب اله القوات . تشـــتاق وتـــذوب نفســـى للدخـــول إلـــى ديـــار الرب ، قلبى وجسمى قد ابتهجا بالإله الحـــى . لأن العصفـــور وجـــد لـــه بيتـــاً واليمامـــة عشاً لتضع فيه افراخها . مذابحك يـــارب الـــه القـــوات ملكـــى وإلـــهى ، طوبـــى لكـــل السكان فى بيتك ، يباركونك إلى الأبـــد (مـــز ٨٣).

الفصل الثالث

طرق التعليم الدينى

١ ــ تقدير الطفولة وتمايزها النفسى والعقلى عن مرحلة البلوغ.

٢ ــ قواعد التدريس

٣ ــ بين التعليم والوعظ

٤ ــ العملية التعليمية وسيكولوجية المتعلم .

٥ ــ تطبيق المبادىء المسيحية على واقع الحياة الاجتماعية .

٦ ــ وسائل التعبير للمرحلة الاولى :

+ الاسئلة

+ الايضاح ووسائلة للطفولة المتأخرة .

+ القصص ــ التراتيل ــ التمثيليات .

٧ ــ سيرة السيد المسيح والرسل والقديسين : الغاية من دراستها وكيفية دراستها.

٨ ــ نماذج لتحضير الدروس.

الفصل الثالث

طرق التعليم الدينى

١ـ تقدير الطفولة وتمايزها النفسى والعقلى عن مرحلة البلوغ

كان الطفل ولا يزال كإنسان أولا ، وكطفل ثانياً ، موضع اهتمام السيد المسيح شخصياً ، فقد دعا إليه الأطفال دعوة خاصة ، وجعل منهم نموذجاً للكمال حتى أن تلاميذه لما تحاججوا فيمن يكون الأعظم بينهم دعا يسوع ولداً وأقامه في وسطهم وقال " الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات ، فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السموات ومن قبل ولداً واحداً مثل هذا باسمى فقد قبلنى " ، " ومن أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بى فخير له أن يُعلق في عنقه حجر الرحى ويغرق في لجة البحر " (مت ١٨ : ١ ـ ٦) . بل لقد عاد مؤكداً قيمة " هؤلاء الصغار " في نظره فوجه تلاميذه إلى ذلك قائلاً " انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار . لأنى أقول لكم إن ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه أبى الذى في السموات " (مت ١٨ : ١٠) . ولذلك كان الأولاد على رأس المستقبلين له عند دخوله أورشليم ، فلما رأى رؤساء الكهنة والكتبة هؤلاء الأولاد يصيحون ويصرخون قائلين " أوصنا لابن داود " . قالوا للسيد له المجد " أتسمع ما يقول هؤلاء ؟ " فقال لهم يسوع نعم ، أما قرأتم من أفواه الأطفال والرضع هيأت تسبيحاً ؟ " ، فالأطفال أحباء المسيح ، وأصدقاؤه ، ببساطتهم ونقاء قلوبهم ، ولذلك دعاهم إليه ، وباركهم ، وأرشد رسله وتلاميذه من بعده أن ينبهوا الآباء إلى ضرورة العناية بتربيتهم ، وتهيئة الجو المناسب لنموهم الروحى . فالقديس بولس يوصى الآباء والأمهات قائلاً " أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا " (كو ٣ : ٢١) . فللطفل إذاً مركزه في الأسرة ، وقد وجهت المسيحية نظر الآباء إلى إحلاله محل العناية والرعاية ، وتهيئة " كنيسة البيت " التى تتوفر له فيها المثل المسيحية الحقيقية ، ونماذج السلوك الكامل ،

تص منها روح السلوك المسيحى العملى ، وفيما ذكره يوسابيوس القيصرى رخ الكنيسة فى القرن الرابع من أن كل بيت مسيحى كانت به حجرة خاصة صلاة ، يجتمع فيها أعضاء الأسرة للعبادة والتأمل فى الكتب المقدسة وسير الآباء شهداء ، إلى جانب ما تهيئه الكنيسة من وسائل وطقوس متجددة ، وعبادات واترة على مدى السنة تضم الألحان والقراءات الموجهة ، كانت هذه كلها ولاشك ملاً فعالاً فى تهيئة الجو الصالح لنمو الأطفال فى معرفة الله ، والتمسك بالإيمان قيقى ، وبالتالى فى إعدادهم للحياة الروحية النامية ، والسلوك الاجتماعى الناجح.

وحقيقة إن الكنيسة فى أوروبا أهملت هذه الأغراض خلال العصور الوسطى ى حاربت كل تقدم علمى ، ووقفت حجر عثرة أمام الفكر الحر الطليق ، ونظرت الأطفال كما لو كانوا رجالاً صغار ففرضت عليهم استظهار الآيات ، والقوانين، عقائد ، دون أن يعوها ، أو ينفعلوا بها . لكن هذا النوع من التربية كان مقصوداً إعداد المسيحى الذى يفهم المسيحية فهماً آلياً ، ويتمسك بها تمسكاً عاطفياً . مما ى مع الوقت إلى ظهور البروتستانتية ، وقيام الكثيرين من المفكرين بالدعوة إلى رورة التحرر من هذه القيود . وكان معنى ذلك العودة إلى المبادئ الأصيلة ولى فى التربية المسيحية ، والاعتراف بحق الطفل فى النمو الطبيعى ، ومعاملته ا كطفل له مميزات الطفل وعقليته وجوه الطفلى المتميز عن جوّ الكبار ، وهذا نادى به جان جاك روسو فى كتابه " إميل القرن الثامن عشر " حيث دعا إلى ح الأطفال الحرية الكافية وعدم إثقالهم بواجبات الكبار أو أعمالهم .

وقد سبق معلمنا بولس الرسول عندما أوضح التمايز بين مرحلة الطفولة رحلة البلوغ وسن الرشد فقال " لما كنت طفلاً كطفل كنت أتكلم وكطفل كنت ن وكطفل كنت أفتكر ، ولما صرت رجلاً أبطلت ما للطفل " (١كو١٣ : ١١) ، ى موضع آخر يقول " أيها الأخوة لا تكونوا أولاداً فى أذهانكم بل كونوا أولاداً الشر وأما فى الأذهان فكونوا كاملين " (١كو١٤ : ٢٠) .

فنفسية الطفل وعقليته ليست هى نفسية وعقلية الرجل مصغرة وإنما هى مراحل تنمو وتتطور وفق نواميس طبيعية عجيبة ، وعلى ذلك تختلف عملية التدريس فى الطفولة عنها عند البلوغ من حيث نوع الموضوع ومدى تعمقه والبعد الزمنى للتدريس وكيفية تقديم التدريس وطرائق الإفادة منه عملياً .

وهكذا يمكننا أن نخلص من هذه الدراسة بأن المسيحية ليست مجموعة وصايا إلهية وقواعد خلقية ونظم اجتماعية وإنما هى إعادة خلق الإنسان ونقله إلى الحياة الجديدة ، وأن الإنسان ينال عن طريق الأسرار كل ما يحتاجه من هبات الروح وعمل الخلاص وما عليه إلا أن يحفظ هذه النعمة ككنز ثمين ولا يدع أى مؤثرات خارجية سيئة تسلبه ما ناله . ومن ثم تصبح وظيفة التربية الدينية هى أن تجعل كل مؤمن يتحسس عمل النعمة فى داخله ويتلامس مع النور الإلهى ويعمل بالحق المذخر فى قلبه .

فالعملية التعليمية هنا إذاً عملية باطنية تعتمد على عمل الروح ، كما بدا من الدراسة السابقة أن المسيحية تقوم فى جوهرها على الإيمان ، وعمل العقل فيها هو تعقل ما يؤمن به الإنسان ، وأن نفسية الطفل تختلف جذرياً عن نفسية البالغ مما يترتب عليه اختلاف عمليات التدريس .

٢ــ قواعد التدريس

أننا نعلم أن هناك قواعد عامة للتدريس يمكن تلخيصها فى :

+ الانتقال من السهل إلى الصعب .	+ ومن البسيط إلى المركب .
+ ومن المحسوس إلى المعقول .	+ ومن المعلوم إلى المجهول .

+ ثم من الكل إلى الجزء ، فإلى الكل مرة أخرى .

فهل يمكن الاستفادة من هذه القواعد فى التعليم الدينى ؟ إن على المربى يفيد فى عملية التدريس من كل الوسائل المعروفة ، حتى يخرج الدرس فى شكل الفنى محققاً للغرض المنشود . ومن حق الفكرة الدينية السامية أن توضع فى قو

تبع وتقدم فى أسلوب مدروس . إن كل درس دينـــى يجـب أن يكـون نقطـة بـدء فـى تغيير جديد لحياة التلميذ ولمفاهيمه . ومن هنا كـان علـى المعلـم أن يراعـى فـى دقـة خصائص المرحلة التى يمر بها تلاميذه ونـوع معاناتـهم ومشـاكلهم ، وأن يـدرس فـى عمق أحسن الطرق لكـى يوصـل درسـه حتـى يـأتى متصـلاً بواقعـهم ، ومرتبطـاً بتجاربهم وخبراتـهم .

ومفروض أن قواعد التدريس قواعـد سـهلة بسـيطة واضحـة ، وهـى قواعـد لا تستخدم فقط فى التدريس ، وإنما فى عرض أية فكرة جديدة . وكـان هـذا هـو أسـلوب الرب نفسه حين كان يستخدم القصص البسيطة ، والأمثال السلسـة المسـتمدة مـن واقـع حياة الناس ، وبيئتهم ، ومن مختلف الظروف المحيطـة بـهم ، يصـوغ فيـها الحقـائق اللاهوتية الصعبة ، والأفكار الروحية العالية ، فإذ بها فى متنـاول فـهم الجميـع ، علـى تباين طباعهم واتجاهاتهم وأخلاقهم ، واختلاف درجـات ذكائـهم وإدراكـهم وتفكـيرهم . خذ حديثه مع السامرية مثلاً ، وكيـف انتقـل بـها مـن " المحسـوس " ، وهـو المـاء الطبيعى إلى " المعقول " وهو " العبادة بالروح والحـق " أو " المـاء الحـى " الـذى هـو روح القدس ، والذى ينبع فيمن يعطاه إلى حياة أبديـة . أليسـت هـذه طريقـة ناجحـة فى التعليم ؟ ألا تراه ـ له المجد ـ كان بإمكانه ، وهو خـالق العقـل ، وموجـد الإنسـان وله ، أن يعلّم هذه السامرية مباشرة عن الماء الحى فتفهم وتؤمـن ، لكنـه كعادتـه يتبـع دائماً القوانين الطبيعية ، ويقدم لنا ، فى شخصه المبـارك نموذجـاً لمـا يجـب أن يكـون عليه المعلم من حكمة تقوده إلى أن ينزل إلى مستوى تلاميـذه حتـى تنضـج أفكـارهم ، ويحل الإيمان ، فى عمق وقوة ، فى مكان الاقتنـاع مـن نفوسـهم .

وبهذا الأسلوب نفسه والطريقـة عينـها سـار القديـس بولـس حيـن رأى تمثـالاً للإله المجهول " فإذ بروح الله يرشده أن يشير إلى هذا التمثـال الـذى يرمـز إلـى إلـه مجهول لا يعرفه الأثينيون رواد الأريوس باغوس لينقـل أفكـارهم إلـى الإيمـان بالإلـه الحقيقى الرب يســوع (أع ١٧) .

وعلى هذا النمط سار القديس كيرلس الكبير حين شبه اتحاد اللاهوت بالناسوت باتحاد النار بالفحم ، شئ محسوس يرمز إلى حقيقة لاهوتية معقولة بل وفوق العقل .

وهكذا فيما يتصل بالانتقال من المعلوم إلى المجهول ، لطالما قال الرب للفريسيين " أبوكم إبراهيم رأى يومى وفرح " ، " موسى أعطاكم المن فى البرية ومن المن إلى " الخبز الحى النازل من السماء " (يو ٦) . مدركات معلومة لديهم لكن ما خفى عنهم أنها كانت مجرد رموز فكان عمل المسيح المعلم أن يكشف لهم عن تحقيق هذه الرموز وبيان المرموز إليه .

وفيما يتصل بالانتقال من السهل إلى الصعب ، ومن البسيط إلى المركب ومن الكل إلى الجزء وبالعكس فهذه يمكن الإفادة بها فى تعليم الآيات والمحفوظات والألحان ، بشرط أن يراعى بقدر الإمكان فهم التلميذ لما يحفظ ، وأن يكون ما يحفظه مضبوطاً شكلاً حتى لا يثبت خطأ مع تكراره .

ومن المفيد جداً للمعلم أن يقرأ أقوال الآباء وتفاسيرهم ليستخدمها فى دروسه وبخاصة مع الصغار . وهو باستخدامه التشبيهات والأمثال يكون قد استخدم " وسائل الإيضاح اللفظية " ولها أهميتها فى عملية التعليم . وكذلك بإفادته من أغلب الطقوس المتبعة فى الكنيسة الأرثوذكسية فهى فى حقيقتها وسائل إيضاح معبرة تنقل الطفل من فكرة تتجسد أمامه فى شكل صورة أو شمعة أو حركة إلى تعليم روحى عميق . خذ مثلاً غسل الأب الكاهن لأرجل شعبه يوم خميس العهد ، إنه عمل محسوس ، لكنه يشير إلى أعظم فضيلتين علم بهما رب المجد ، المحبة والاتضاع فحين يتحدث المعلم عن هذا الموقف ، ليقرِّب رسم المحبة ، وتدبير الاتضاع أمام تلاميذه ، فإنه ولاشك يكون قد استخدم وسيلة شفوية معبرة ، وجيدة التوصيل للفكرة الروحية التي يريد المعلم رفع تلاميذه إلى مستواها فضلاً عن أنهم اعتادوا أن يروها فهى ليست بعيدة عن تصورهم .

هذه كلها على سبيل المثال ، وعلى هذا النمط ، يمكن للمعلم أن يسير فى خطته التعليمية . ونصيحة هامة نقولها له كلما ازددت قراءة فى الكتاب المقدس ، اكتشفت أعظم الحقائق مقدمة فى أبسط الوسائط ، حقيقة القيامة قدمها القديس بولس فى تشبيه موت حبة الحنطة فى الأرض ثم نموها بعد ذلك . لكن أما قال رب المجد هذا المعنى نفسه حين جاءه فيلبس يطلب إليه قائلاً أن اليونانيين يريدون أن يروه فأجابه " الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة فى الارض وتمت فهى تبقى وحدها ولكن ان ماتت تاتى بثمر كثير" (يو١٢ : ٢٤) ، ويعقوب الرسول حين أراد أن يكشف عن خطورة اللسان كعضو للكلام ، ألم يتحدث عن اللجام نضعه للحصان ، وعن الدفة نستخدمها فى إدارة السفينة ؟ حقاً ما أبدعه تشبيه !!

فلنتعمق إذاً فى كتابك المقدس جيداً ، ولتواصل قراءاته ، والتأمل فيه ، ولتلتقط هذه الطرق الجميلة فى التعليم الروحى ، ولتقرأ أيضاً كتابات أنبياء العهد القديم ، وكتابات آباء كنيستك القديسين ، فسوف تخرج منها بحصاد رائع يُسّهل تدريس دروس الدين ، ويشعرك بعزاء الروح القدس لأن كلمة الله هى مصدر دائم ونبع لا يغيض للفرح والسلام . بذلك تكون قد قدمت لتلاميذك خبرة حية صادرة عن عمل الله فيك .

٣ـ بين التعليم والوعظ

الدين فى المسيحية لا يُعلم ولكنه يُقتدى ويُسلم . ولكن ليس كل فرد معلماً فالرسول يقول " المعلم ففى التعليم " ، والتعليم حسب موهبة الروح يختلف عن التعليم الذى يصطنعه المجتمع ، وهو التعليم الذى نسميه التعليم المدرسى .

فالتعليم الدينى يهدف للخلاص وكل انحراف عن هذا الهدف يُفقد عملية التعليم جوهرها . ومعلم الدين فى الكنيسة ليس من نال شهادات دينية أو دراسية ولكنه من وهب من الروح رسالة المعلم . فتاريخ الكنيسة ملئ بمعلمين لم يدرسوا فى مدارس ولكنهم تتلمذوا فى مدرسة الروح القدس فنالوا من الروح ما أمكنهم به أن ينيروا

المسكونة .

وفى هذا الإطار نقول إن كل من يريد أن يعلّم المسيح للناس يلزم أن يحل المسيح فيه بروحه ولقبه المحبوب " المعلم " فيعلم المسيح بالمسيح وحينئذ لا يكون هو المتكلم " لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم " . ولا يتكلم بشىء من نفسه بل كما يعطيه الله " لأنى أنا أعطيكم فماً وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها " .

إذاً فكل مَن أرسله الله وأعطاه علم المسيح وحقه وروحه وفكره حل المسيح بالإيمان فى قلبه وأخذ روح علم فإنه يدعى المعلم بالحق وإنما ليس بشخصه ولا من نفسه يعلم ، ولكن بالمسيح أو بالحرى المسيح يعلم به .

وهكذا لا نكون بعد معلمين كثيرين بل فى الواقع نكون كلنا المعلم الواحد لأننا نعلم بروح واحد وحق واحد وإيمان واحد ورب واحد إذ نعلم لا بأنفسنا ولا ما هو لنا بل المسيح يعلم بنا والروح القدس يأخذ مما للمسيح ويخبرنا " .

وكلمة الموعد والإيمان والمصالحة لا تعتمد على خبرة المعلم ومهارته الشخصية بقدر ما تعتمد على فاعلية الروح الذى يعمل فيها ، ودور المعلم هو أن يختبرها فى حياته ويعطيها أن تفتعل فيه ويختبر قوتها حتى تكون لها فاعلية عند إبلاغها للآخرين .

وقد حرص بولس الرسول أن ينبه كل معلم أن يكون مختبراً التقوى والحق فيقول " فأنت إذاً الذى تعلم غيرك ألست تعلم نفسك " (رو ٢ : ٢٠) .

ثمة نقطة هامة فى هذا الموضوع هى أن الوعظ يختلف عن التعليم ، والدليل على ذلك أن الكتاب المقدس قال " أم المعلم ففى التعليم أم الواعظ ففى الوعظ (رو١٢ : ٨) ، والفارق بين الرسالتين أن الوعظ غايته جذب النفوس للإيمان ، أما التعليم فغايته تثبيت المؤمنين وتنميتهم فى معرفة الحق .

لاشك أن التعليم قمين أن يفتح للإنسان أبواب التوبة ويهيئ الجو المناسب

فاعليتها ، ولكن غايته يمكن أن يعبر عنها بآية القديس بطرس " كونوا مستعدين لمجاوبة كل واحد عن ثقة الرجاء الذى فيكم " . وقد جرت الكنيسة على هذه الخطة منذ عصورها الأولى .. فمعروف عن أوريحانوس أنه كان يقسم المؤمنين إلى مبتدئين وناضجين ، كما أن الكنيسة كانت تقسم العلمانيين إلى فئات مختلفة حسب الإيمان .

الوعظ بشارة موجهة إلى غير المؤمن ليطيع الإيمان وينضم إلى كنيسة الله ، وهى وظيفة أساسية فى الكنيسة وبها وحدها تنمو الكرازة على حساب الوثنية والكفر . وفى هذا المضمون يمكن إطلاق لفظ الكرازة أو البشارة على عملية الوعظ هنا .. ثم إن عملية الوعظ موجهة إلى المؤمن ليرتكز على محبة الرب بتركه خطاياه وعودته إلى النور . أما التعليم فيستند إلى كلمة الله ، ولكن الكلمة تشرح بطريقة علمية فتحيط بمعانيها الدقيقة بالاستناد إلى علوم اللغة وقواعد الشرح وهذا كله ضرورى لتوضيح العقيدة وعلوم الكنيسة ، ولكن هذه الكلمة عينها يمكن أن تجعل لى غذاء مباشراً فتستجلى معانيها الروحية التى تدفعنى إلى الخلاص .. " فالتعليم ساكن يتصف بالهدوء ولكن البشارة ديناميكية تتابعك حتى تتوب " .

فى الكنيسة معلمون للتاريخ الكنسى والقانون الكنسى وتراث الآباء وهؤلاء لهم أصالة المعلم فى الأصل ودراساتهم . وفى الكنيسة وعاظ يبحثون عن الخروف الضال .. فالواعظ أو المبشر هو نقطة البداية ، والنفس بعد أن تتوب تسأل فتحتاج إلى المعلم الذى يجيبها عن سبب الرجاء .. لذا كل واعظ أخذ رسالة التعليم يستطيع أن يجذب ويبنى النفوس ، وكل معلم له لمسة الروح فى الداخل ، يستخدم مجالاته لبنيان النفوس بناء روحياً سليماً . أما المعلم الذى ليست له المسحة الروحية فإنه يعلم ولكن بطريقة جافة فيميت النفوس التى حوله كما أن الواعظ الذى لا يعكف على الدراسة والبحث ليجيب عن كل ما يسأل عنه لا يبنى النفوس التى يجذبها للحظيرة بل يظل عمله ناقصاً .

...التعليم الكنسى التقليدى والتعليم المتحرر

الفارق الجذرى بين اللاهوت الشرقى واللاهوت الغربى أن هذا الأخير تحليلى يقوم على الدراسة والتحليل واستخدام المنهج العلمى والبحث الموضوعى بينما اللاهوت الشرقى يقوم على الخبرة والتعمق والدخول إلى الأعماق لإخراج جدداً وعتقاء . والكنيسة التقليدية تحترم وزنة العقل ولكنها تخضعها للإيمان كما سبق ذكره ، ولذا فهى لا تقبل بعض المناهج المتحررة التى تفسر الكتاب على أساس عقلى بحت فترجع المعجزات مثلاً إلى عوامل سيكولوجية وأسباب علمية . إن رجل الله يقبل المعجزة ويصدقها كما هى ، وطبيعة الكلمة ذاتها المقبولة فى داخل النفس تنير العقل وتوضح له مكنوناتها .. إن معرفتنا لا يجب أن تحكم فى الكلمة بل الكلمة ذاتها هى التى تحكم فى العقل كما قال القديس أثناسيوس .

وثمة فارق آخر هو أن الكنيسة التقليدية تستخدم الطقس فى التعليم كمقوم أساسى فى العملية ..

وفى هذا يقول ألكسندر شميمان " أن هدف التعليم الدينى كما هو مفهوم فى الكنيسة الأرثوذكسية هو إدماج الفرد فى حياة الكنيسة ، وتوضح قدام المدونات عن تقاليد الكنيسة أن الإعداد للمعمودية كان طقسياً فى طبيعته وعن طريق الخدمات الطقسية كان مضمون التعليم الدينى كله يسلم للشخص [*] .

والطقس معلم للأطفال والبسطاء وغير المتعلمين كما هو مفيد لتوصيل اتجاهات هامة عن طريق الإحساس يصعب توصيلها عن طريق الفكر .

وهذا الأمر يلقى تبعة خطيرة على الآباء والمعلمين ، فى أن يهيئوا للأطفال مجال الاشتراك فى طقوس العبادة والتعود على الإحساس بالروح ما يعنيه الطقس . وإذا كان الطقس تعبيراً وليس تصويراً وتمثيلاً لزم أن تكون الصلاة الطقسية تعبيراً عن حياة نحياها لا مجرد تمثيل لقصة تاريخية أو احتفال لذكرى تُقام .

---

[*] مجلة مدارس الأحد سنة ١٢ العدد الثانى ص ١٣ .

٢ـ العملية التعليمية وسيكولوجية المتعلم

إذا كانت نفسية الطفل تختلف تماماً عن نفسية الرجل كما سبق الذكر فإن **عملية التعليم للأطفال قبل البلوغ تلزمنا بمراعاة بعض القواعد نجملها فيما يلي :**

١ـ أول هذه الأسس أن يراعى المدرس خصائص النمو فلكل مرحلة من مراحل النمو مميزاتها التي يجب على المدرس مراعاتها في عملية التدريس . فطفل السادسة يختلف عن طفل الثالثة عشر . ومن المهم أن يلاحظ المدرس أيضاً مستوى التلاميذ ومدى قدرتهم على استيعاب المعلومات التى سيقدمها لهم ، ويدخل فى هذا أيضاً مراعاة الفروق الفردية بينهم فى النواحى العقلية والنفسية والاجتماعية ، فالتلاميذ المتأخرون يحتاجون إلى عناية أكثر .

٢ـ ومراعاة إيجابية التلاميذ ضرورية جداً فى عملية التدريس . ولعل أهم حافز يدعوهم إلى الاهتمام بالدرس وتجاوبهم مع المدرس وجود غرض واضح أمامهم ، وعرض الدرس لهم على صورة مشكلات تستثير تفكيرهم ، وتوجه انتباههم إليه .

وفى تدريب الأولاد على المنهج السليم للتدين المسيحى الحقيقى (تعليم الدين) فرصة لمناقشة مشكلات التلاميذ فى حياتهم اليومية .. علاقاتهم مع والديهم ، علاقاتهم مع إخوتهم ، وفى المدرسة مع مدرسيهم وأصدقائهم ، أمانتهم فى أداء واجبهم ، وفى المحافظة على صحتهم ، وفى مراعاة تنفيذ الوصايا المسيحية كالصلاة والصوم والتسامح والصدقة واحتمال الألم ، وتسليم الحياة لله بشكر وإيمان هذه الفضائل تحتاج إلى المدرس المختبر الممتلئ من روح الله ليقدمها للأولاد بواسطة القصة ، والأمثال ، والأسئلة . فمثلاً فى قصة السامرى الصالح تتضح مشكلتان كبيرتان ، مشكلة مسامحة الأعداء ، وفهم معنى القريب فهماً مسيحياً يسمو عن روح التعصب بسبب الجنس أو اللون أو اللغة أو القومية أو الدين . والمشكلة الثانية مشكلة السلوك .. فالكاهن واللاوى حين عبرا الطريق ورأيا اليهودى الجريح يقول الكتاب " إنهما جازا مقابله ، ولم يمدا له يد المساعدة أو العون ، فلما جاء

السامرى ، الغريب الجنس ، نزل عن دابته ، وتقدم وضمد جراحاته ، ثم أتى به إلى فندق واعتنى به وأعطى صاحب الفندق دينارين وقال له : اعتن به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعى أوفيك " (لو ١٠ : ٣٠ ــ ٣٧) .

فهنا فرصة ثمينة لتعليم التلاميذ فضيلة المحبة العاملة ، والخدمة المضحية . ويمكن تطبيق هذه الحقيقة من قصص يوسف الصديق ، والرسل والآباء القديسين ، ويكون محور المشكلة " كيف نعبر عن محبتنا بالعمل والحق وليس بمجرد الكلام فقط ؟ " (ايو ٣ : ١٧ ، ١٨) ، (يع ١ : ٢٧ ، ٢ : ١٤ ــ ١٧) . أى أننا نستطيع عن طريق مثل هذه الدروس إثارة مشكلات تتصل بصميم حياة تلاميذنا ، وتكوينهم النفسى والروحى ، وتوجيه سلوكهم وأفكارهم توجيهاً مسيحياً .

وإذاً فليس التدريس منهجاً ، أو معلومات يريد المدرس أن يلقنها لتلاميذه ثم ينتهى الأمر عند هذا الحد . وإنما التدريس أحد وسائل التربية فيجب أن تتم عملية التدريس داخل إطار أغراض التربية . وبالنسبة للتربية الروحية يجب أن يحمل درس الدين غرضاً عظيماً ، يجعل منه علامة جديدة من علامات الطريق إلى الملكوت ، ووسيلة قوية لتثبيت النفس الإنسانية فى حياة الفضيلة والكمال المسيحى .

٣ــ مراعاة الترتيب السيكولوجى للحقائق : فلو اتبع المدرس الترتيب المنطقى فى شرح موضوع الخطيئة والتوبة لسار على النحو الآتى .. معنى الخطيئة ، أنواع الخطيئة ، أسباب الخطيئة .. الخ . هذا الترتيب المنطقى حين يتبع فى المواد الأخرى كالجغرافيا مثلاً يصبح الدرس جافاً غير مشوق ، إذ يبدأ المدرس بالموقع ، والسطح ، والتضاريس والمناخ .. الخ . أما الترتيب السيكولوجى فى أى مادة ، وأيضاً فى تدريس الدين ، فإنه يبدأ بمشكلة أو نقطة تعتبر موضع اهتمام التلاميذ ومثار تفكيرهم . فانطلاق إنسان للفضاء هى نقطة بدء سيكولوجية جميلة لموضوع عن خطة استعدادنا للحياة الأخرى . فموضوع رجل الفضاء وإعداده ، والتدريبات التى سبقت قيامه برحلته ، هذه كلها نقط

تشابه الاستعداد الروحي الواجب علينا لنكون أهلاً للملكوت . فهنا بداية سيكولوجية ، وتشبيه قريب جداً للأولاد . على أن الاستعانة بمثل هذه الموضوعات يحتم على المدرس أن يكون واسع الاطلاع ، عميق التأمل والتفكير .

ومن أوضح الأمثلة على استخدام الطريقة السيكولوجية بنجاح طريقة استخدام السيد المسيح للأمثلة التي كانت على بساطتها تمس مشكلات الناس ، وتتصل بصميم المبادئ التي يريد المعلم الأعظم توصيلها إليهم ، خذ مثلاً تعليمه عن الابن الضال ، والخروف التائه ، والدرهم المفقود ، هذه كلها أمثال علمت الناس عن التوبة ، وعن موقف الله من التائبين ، في الوقت الذي تميزت فيه بالبساطة وبارتباطها بخبرات الناس ومشكلاتهم .

أما القديس بولس فقد سبق أن ذكرنا كيف أرشدته نعمة الله وهو في أثينا إلى ولوج باب الكرازة لليونانيين عن طريق الحديث عن الإله المجهول ، فقد ذكر مؤرخ سفر الأعمال في الإصحاح السابع عشر أن القديس الفيلسوف وقف وسط أريوس باغوس وقال " أيها الرجال الأثينويون أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيراً . لأنني بينما كنت اجتاز وأنظر إلى معبوداتكم وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه : لإله مجهول . فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادي لكم به " (أع ١٧ : ٢٢ ، ٢٣) . ثم استطرد يعلمهم عن الإله الحقيقي الذي به نحيا ونتحرك ونوجد بل إنه زاد على ذلك بأن استشهد بما قاله شعراء اليونان " لأننا أيضاً ذريته " (أع ١٧ : ٢٨) ، وفي نهاية العظة آمن بعض السامعين واعتنقوا المسيحية .

على أننا لا نذكر هذه الطريقة لتكون هي الوحيدة التي يستخدمها الخادم أو المدرس في خدمة التعليم الروحي ، وإنما نذكرها كواحدة من الطرق المستعملة ، والمهم أن يكون التعليم الروحي تعليماً هادفاً مرتبطاً بحياة الأولاد ، وأن يجدوا فيه حلاً لمشكلاتهم ، وتوجيهاً صاعداً لسلوكهم وعلاقاتهم .

٤ــ ويحسن أن يشتمل الدرس على عمليات ربط المعلومات والموازنة بينها ، وتدريب التلاميذ على طريقة جمعها ومناقشتها ووسائل الإيضاح والتعبير تُعين المدرس على تحقيق هذه العمليات جميعاً بشرط أن يتقن المدرس فن استخدامها ويعرف متى وكيف يستعين بها .

ويرى بعض المفكرين أن استخدام وسائل الإيضاح في دروس الدين قد يؤدى إلى نتائج خاطئة من حيث الحد من خيال الطفل ، وتقيد أفكاره ، وتصوير المواقف والأشخاص على غير الصورة الروحية المنشودة . وهو رأى جدير بالاعتبار ، وخاصة بالنسبة لمراحل الطفولة المبكرة حين يكون خيال الطفل أوسع من أن تحده صورة أو نموذج ويفضل في هذه المرحلة استخدام وسائل التعبير دون وسائل الإيضاح وهذا ما سنعالجه فيما بعد . أما فى المرحلة المتقدمة فيمكن تكييف وسائل الإيضاح بحيث تكون دقيقة غير مشوهة . وفى الكنائس القديمة ، والمتحف القبطى، وطقوس القداس ، وسائل إيضاح مؤدية للغرض يمكن توجيه التلاميذ إلى المعانى المرتبطة بها .

٥- تطبيق المبادئ المسيحية على واقع الحياة الاجتماعية

فى مواقف السيد المسيح مع الناس على مختلف طبقاتهم وظروفهم مع الخطاة والمرضى ، والموتى ، والمتشككين ، والقادة ، والفقراء ، والرجال ، والنساء ، والأطفال .. الخ ، فى هذه المواقف كلها انعكاس لمواقفنا نحن معه ، وكذلك فيها الكثير من التعاليم المرتبطة بواقع حياتنا وخبراتنا وعلاقاتنا اليومية مع الآخرين ؛ مع عائلاتنا ، وأصدقائنا ، وزملائنا ، وأقاربنا ، وجيراننا ، مع رؤسائنا ومرؤسينا ؛ مع المؤمنين بمبادئنا وغير المؤمنين بها ، فى هذه العلاقات كلها فرصة لتطبيق المبادئ المسيحية ، واختبارها . ويمكن للمدرس أن يستعين بالقصة أينما وجدت فى العهدين القديم والجديد ، فى تاريخ الكنيسة ، فى الكتب والمطبوعات العادية فالقصة مشوقة ، ومجددة للنشاط العقلى ، والنفسى ، ومثيرة للانتباه ، فضلاً عن أنها وسيلة

بسيطة ، ومركزة لتوصيل أكبر قدر ممكن من الخبرات . خذ مثلاً موضوع التوبة: فعن طريق قصص الخطاة ، والتائبين ، وما أكثرها في العهدين وفي كتب تاريخ الكنيسة .

يمكن تقسيم الموضوع إلى عدة مشكلات :

الخطيئة وأنواعها ، والأسباب التي تؤدى إلى ارتكابها ، أسس التوبة وخطواتها ، نتائجها وثمارها ، وفى موضوع كهذا يمكن الاستعانة بتطبيقات من واقع أخطاء الأولاد ، وفقاً لأعمارهم ومرحلة النمو التى يمرون بها ، ثم تدريبهم على ممارسة ثمار التوبة وسر الاعتراف بنقاء وعزم وإخلاص .

مثال آخر موضوع العناية عناية الله بنا . وعطاياه لنا ، وبركته لما نملك من مواهب ، وقدرات ، وما نقوم به من خدمات وأعمال . وهنا فرصة لمناقشة بركة الله لصحتنا ، ووقتنا ، وأموالنا ، وما يجب أن نكون عليه نحن من إيجابية فى أن نعطى الله والكنيسة من هذه كلها . فيتدرب الأولاد على أن يعيشوا بأنفسهم خبرة الأخذ والعطاء ، وهى بذاتها خبرة الحق والواجب . فالربط هنا واضح بين الحياة الروحية والحياة فى المجتمع .

أما سير القديسين والآباء والشهداء ، وشخصيات الكتاب المقدس فهى ذخيرتنا الروحية التعليمية التاريخية التى لا ينضب معينها ، وهى مليئة بالمواقف البطولية فى الدفاع عن المبادئ السليمة التى كانت عاملاً فعالاً فى رقى المجتمعات الإنسانية، وإعلاء قيمة الإنسان . وهنا فرصة لبيان حقوق الوطن والكنيسة علينا ، وواجبنا ككنيسة ، وكأفراد ، وسط عالم متغير متطور ، ووسائلنا كمسيحيين فى الشهادة للمسيح وللمبدأ الحق فى شجاعة وحكمة ، بسلوكنا العملى ، وأعمالنا الفاضلة التى يراها الناس فيمجدون أبانا الذى فى السموات .

ومع هذا كله يقوم المدرس بمعالجة الحقائق اللاهوتية العليا ، كالتجسد والفداء والأقانيم ، والحساب بعد الموت ، وغيرها كمشكلات الحرية الإنسانية ، ومشكلة

وجود الشر ، وعوامل الغلبة فى الصراع بين الخير والشر ، وربــــط هـــذا كلـــه بـــالعقيدة الأرثوذكسية وطقوسها . هذه كلها وأمثالها يجـــب أن تكـــون دروســاً هادفـــة ، يدرســـها مدرس الدين مع تلاميذه وفقاً لمستواهم ، وبإيمان شـــخصى عميـــق هـــو ثمـــرة الشـــعور بقيمة الحق الذى يدافع عنه ، فيعمل على نشره بين الآخريـــن ليوصلـــهم إلـــى الملكـــوت.

ومع أن تحضير الـــدرس والقيـــام بتدريســـه .. يختلـــف بيـــن درس وآخـــر وبيـــن فصل وآخر . إلا أن المربين ينصحون بوجه عام ، بتقســـيم الموضـــوع إلـــى مراحـــل أو إلى مشكلات جزئية . على أن ينوع المدرس فى اســـتخدام وســـائل التدريـــس المختلفـــة . كالإلقاء والمناقشة والتلخيص واســـتخدام وســـائل الإيضـــاح ، وبذلـــك يتلافـــى المـــدرس تسرب الملل إلى التلاميـــذ .

بقى أخيراً أن نشير إلى أن المعرفة الروحية يجـــب أن تقـــدم كوحـــدة ، فـــلا بـــأس من أن يكون درس الدين شـــاملاً لمعلومـــات لاهوتيـــة وعقائديـــة وطقســـية وتعليميـــة ، فالعقل يعمل كوحدة ، والديانة بكل عناصرها تستهدف فـــى النهايـــة غايـــة واحـــدة هـــى تقديم الإله المتجسد للأطفال ومعاونتهم على التشبه به ، ولذلـــك يجـــب أن تقـــدم حقائقـــها كوحدة مترابطة الأجزاء ، وإذا دعـــت ضـــرورة التقســـيم العلمـــى إلـــى وضـــع منـــاهج منفصلة للعقائد والطقـــوس والمشـــكلات اللاهوتيـــة وتفســـير الكتـــاب المقـــدس ودراســـة شخصياته .. الخ . إلا أن هذا لا يمكن بحال أن يكون مانعـــاً أمـــام المـــدرس مـــن تقديـــم المعرفة الروحية بمختلف موادهـــا وأجزائـــها كوحـــدة هـــذا بالإضافـــة إلـــى أن عمليـــة التجزئة هذه تتفق مع مرحلة البـــالغين فقـــط .

٦- وسائل التعبير للمرحلة الأولى

يرى المربى المسيحى أن للطفل فـــى مرحلـــة الطفولـــة المبكـــرة وجدانـــاً متدفقـــاً يستطيع عن طريقه أن يحس بالله أكثر مـــن الراشـــد الـــذى يمنعـــه عـــن هـــذا الإيمـــان البسيط تحكماً وسيطرة .. لذلك يرى البعض أن أفضل وســـيلة لتعليـــم هـــذه المرحلـــة أن يقوم المدرس بشرح قصص وموضوعات الكتاب المقدس وســـير القديســـين وهـــو تحـــت

تأثير روحي وانفعال داخلى بهذه الموضوعات فيسرى تيار التأثر سريعاً عند الطفل . ولما كان الطفل مستقبلاً جيداً للروحيات فهو يحس بما يريده المدرس أكثر من المدرس نفسه . وقد جرّب عض المربيين أن يعطوا للأولاد فى هذه المرحلة فرصة التعبير عن القصة التى سمعوها من المدرس سواء بالكلام أو بالرسم البسيط فجاءت النتائج توضح قوة تأثير كلمة الله فى حياة الطفل أكثر بكثير مما كان يتوقعه المربون .. ولعل هذا يجعلنا نغير فكرتنا عن منهج رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية المبكرة فبدلاً من قصص الحيوانات والطيور الخيالية يذكر المدرس قصص الكتاب بروح وإيمان . وأما الطفل فسوف يسجل فى قلبه أعمق الاتجاهات والتأثيرات بكلمة الله ، وسيعبر عنها إن أعطيت له الفرصة أعمق وأسلم تعبير بأسلوبه الخاص .. وإذا كان الشرح من العمليات الهامة فى التدريس الدينى فلابد من الإشارة إلى الأسئلة فى الدرس .

الأسئلة

للسؤال الجيد شروط يجب أن تتوفر له حتى يتحقق الغرض منه فيجب أن يكون السؤال محدداً وهادفاً فلا يسأل المدرس مثلاً ، بعد درس عن صوم السيد المسيح على الجبل وانتصاره على إبليس " ماذا نتعلم من هذا الدرس ؟ " .. فهذا سؤال غير محدود فقد يجيب تلميذ بأننا نتعلم الصوم ، وآخر بقوله نتعلم الانتصار على الشيطان ، وثالث بأهمية الصلاة وقيمتها. أما السؤال المحدد فيكون مثلاً " كيف قضى المسيح وقته خلال الأربعين يوماً على الجبل ؟ " . ثم يحلل المدرس مع تلاميذه أنواع التجارب التى جربه بها الشيطان ليخرج من هذا التحليل بأنها شهوة الجسد ، وشهوة العين ، وتعظم المعيشة . لكن ذلك يتوقف بطبيعة الحال على نوع الفصل ، وأعمار التلاميذ .. كذلك يجب أن يكون السؤال مثيراً للتفكير ، أى أن يساعد التلاميذ على إعمال تفكيرهم وعقولهم فى الموضوع . ففى معجزة الخمس خبزات مثلاً نسأل : " كيف أمكن إشباع الجموع ؟ " .. وهنا يمكن أن يجيب

المدرس على السؤال بسؤال " وكيف تصبح حبة القمح سنبلة ، ونواة البلحة نخلة ، و ... الخ " ، فنصل إلى نتيجة أن اليد التى باركت الخمس خبزات هى هى بذاتها التى تبارك وتنمى القمح والبلح والنباتات والأزهار جميعاً . وكذلك فى تفتيح عينى الأعمى نلاحظ أن الطريقة التى استخدمها السيد له المجد أنه صنع من التفل طيناً طلى به عينى الأعمى . فهنا يجد التلاميذ أنفسهم أمام عملية خلق ، هى صورة لما حدث بجنة عدن جبل الرب الإله آدم الإنسان الأول من تراب الأرض .

على أن الأسئلة أنواع :

فأسئلة التمهيد أو المقدمة : يجب أن تكون سهلة مثيرة لمعلومات التلاميذ وخبراتهم السابقة ، وأن تستهدف تهيئة عقول التلاميذ لاستقبال الموضوع الجديد .

فى موضوع الميلاد مثلاً يجب أن توجه أسئلة التمهيد إلى تهيئة عقول الأولاد لفهم محبة الله وتصورها بقدر الإمكان أنها المحبة الفائقة المعرفة .

أما الأسئلة التى تلقى فى مرحلة عرض الموضوع : فهى توجه تفكير التلاميذ خطوة بعد أخرى فى المدرس للملاحظة ، والتذكر ، والمقارنة ، واستخلاص النتائج من الأمثلة ، ومن الصور والخرائط ، ثم استرجاع المعلومات قبل تلخيصها .

ومن أنواع هذه الأسئلة :

١ــ الأسئلة التى تعتبر مشكلات الدرس الجزئية : وتلقى عادة فى بداية كل مرحلة من مراحل الدرس .

٢ــ الأسئلة الاسترجاعية : وتلقى فى نهاية كل مرحلة ليسجل المدرس منها الملخص السبورى .

٣ــ أسئلة المقارنة : كالمقارنة بين شخصيات الكتاب المقدس ، وبين هذه الشخصيات وبين المسيح ، وبين رموز العهد القديم التى تتحدث عن المسيا الذى سيأتى ، وبين ما تحقق منها فى العهد الجديد .. عهد المسيا الذى أتى

فعلاً .. فلك نوح والكنيسة ، الختان والمعمودية ، ذبائح الكفارة عن الخطايا ، وذبيحة الصليب .. الخ .

٤ـ أسئلة الربط : وتتضح قيمتها فى ربط عناصر الدرس ومراحله بعضها ببعض ، أو ربط الدرس بالدروس السابقة .. فموضوع الميلاد يحوى عدة دروس : أسباب مجئ المسيح . التهيئة لمجيئه : بشارة الملاك لزكريا ، ثم للعذراء . حوادث الميلاد : فى بيت لحم ، ظهور الملائكة للرعاة ، ثم حضور المجوس . فهذه الدروس ولاشك تحتاج إلى ربط وتجميع .

٥- أسئلة التقويم : لنقد مواقف الأشخاص وتقويمها ، والتعليق عليها .

وأخيراً تأتى أسئلة التطبيق(*) : للوصول بالتعليم الجديد إلى حياة الأولاد وسلوكهم ، وربطها بواقع اختباراتهم ، ومشكلاتهم اليومية . وقد ترتفع هذه الأسئلة بتدريب الأولاد على إتقان بعض المهارات : كالرسم ، والتلوين . وكتابة القصة . ومن الممكن أن يعطى الأولاد أسئلة للإجابة عنها فى المنزل من الكتاب المقدس فيتدربون على قراءته ويحبون الاطلاع عليه ، ومن ناحية أخرى يُشركون معهم آباءهم وأمهاتهم فى القراءة والاطلاع والإجابة . ويجوز أن تتضمن هذه الأسئلة أسئلة تمهد للدرس الجديد التالى .

هذا والأسئلة يجب أن توزع على الأولاد جميعاً ، وأن يخص المدرس التلاميذ الضعفاء أو الشاردين فكراً بالكثير منها . أما الأذكياء فيجب أن يوجه إليهم المدرس أسئلة على مستوى أعلى من المستوى العادى أو المتوسط ليتحدى بها تفكيرهم وذكاءهم ويشعرهم بحاجتهم إلى ضرورة الانتباه ومتابعة الدرس .

الإيضاح ووسائله لمرحلة الطفولة المتأخرة وما بعدها

لأن جاز استخدام الإيضاح فى دروس المواد المختلفة ، إلا أن بعض المربين يرون أن استخدامه فى تدريس الدين ضرراً فهو فى نظرهم قيد لخيال الأطفال ،

(*) راجع كتيبات دروس التربية الدينية المصورة ــ كتبها سليمان نسيم للمرحلة الابتدائية ، وكمال حبيب للمرحلتين الإعدادية والثانوية ، ونشرتها مكتبة المحبة سنة ١٩٦٩ و ١٩٧٠ .

ومعرقل لنموهم الروحى . ومن رأى هؤلاء المفكرين أن يكتفى المدرس بإلقاء الدرس كما هو : بحقائقه مجردة دون تعليق منه حتى يترك لخيال الطفل الفرصة الطليقة الرحبة ليعيش مع الفكرة الجديدة ، ومع الشخصية الحلوة التى سمع عنها وتخيلها .

على أن ما يحدد موقفنا كمعلمين من استخدام وسائل الإيضاح طبيعة مرحلة النمو من ناحية ، ونوع وسيلة الإيضاح من جهة أخرى ، ثم طريقة استخدام هذه الوسيلة من ناحية ثالثة . ورب مدرس لا يستخدم وسيلة إيضاح لكنه يؤذى الأولاد بدرسه وتصويره الخاطئ للحقائق . فقد حدث أن قال طفل فى نحو السابعة لأبيه " إن إبراهيم هذا رجل مجرم !! " ، فلما سأله أبوه عن السبب أجابه " لأنه أراد قتل اسحق ، وأمسك بالسكين ليذبحه !! " ، فكان الأفضل ألا يسمع الطفل فى هذه السن مثل هذا الدرس ، على أن يؤجل هذا الموضوع إلى سن أكبر يتسنى فيها للطفل أن يكون أكثر استعداداً لفهم هذه المشكلة .

أما وسائل الإيضاح فقد تفيد فى ضوء الشروط التى ذكرناها فى مرحلة الطفولة المتأخرة أى من نحو الثامنة حتى الثالثة عشرة : ففى هذه المرحلة يكون الطفل واقعياً ، يبحث عن الحقائق ، ويقل تأثير الخيال عنده . والكنيسة الأرثوذكسية تضع الصور على حجاب الهيكل ، ولكن ليست كل صورة طبعاً مناسبة ، وإنما يجب أن تكون منتقاة ، فصور السيد المسيح ، ومطبوعات بروتستانتية أخرى تجدها مشوهة وغير مناسبة ، وللأسف أخذتها بعض هيئاتنا كما هى وطبعتها ونشرتها بين أولادنا ، وكذلك منظر إبراهيم وهو ممسك بالسكين ، وغيرهما من الصور التى تؤذى وجدان الطفل فعلاً وتعطيه صورة غير صحيحة عن حقائق الإيمان وشخصيات الكتاب المقدس ، أما فى المرحلة من ٤ ـ ٨ فيكفى فيها الشرح الروحى البسيط الواضح .

أما النماذج كعمل نموذج لكنيسة أو لدير مثلاً فيصلح كمشروع يقوم الأولاد

خدمته ، وأثناء القيام به يدرسون الكثير من حقائق الإيمان ، وأسس العقيدة ، والمجال متسع فى هذين المشروعين بالذات لفهم حقيقة الحياة الروحية وكيف أنها لا تنفصل إطلاقاً عن العقيدة أو الطقس ، وإنما العقيدة والطقس هما جانب من جوانب الحياة الروحية ، وإننا لكى نعيش هذه الحياة بأمانة وكمال يجب أن نعيشها من مختلف نواحيها ، كما أن المجال يتسع أيضاً لدراسة الكثير من سير الشهداء والآباء والمعلمين والقديسين : وإذا جاز أن يقوم أطفال العاشرة بعمل مشروع نموذج الكنيسة ، فإن أطفال الرابعة عشرة يفيدهم مشروع عمل نموذج الدير ، ودراسته تاريخياً وروحياً مع الربط بين شروط الرهبنة ، وطبيعة النظام الرهبانى وخدمة الكنيسة .

وقد قام بعض الخدام بعمل نماذج لخيمة الاجتماع(*) ، وهيكل سليمان ، ومقادس فلسطين التى تتمثل فيها مراحل آلام السيد المسيح .. إلى غير ذلك وهى كلها نافعة جداً فى تقريب الحقائق إلى أذهان التلاميذ .

والخرائط من وسائل الإيضاح : فخريطة رحلة بنى إسرائيل فى سيناء ، ورحلة العائلة المقدسة إلى مصر ، ورحلات القديس بولس الرسول ، ثم خريطة توزيع الأديرة فى القطر المصرى ، وغيرها هذه كلها ولاشك تفيد فى تدريس هذه الموضوعات وتوضحها .

على أن استخدام الرسوم والخرائط والنماذج يتطلب توفر عدة شروط :

١- أن تكون واضحة ، وتعرض فى مكان مناسب بحيث يراها تلاميذ الفصل جميعاً .

٢- أن يحسن المدرس اختيار الوقت لعرضها .

٣- ألا تكون مزدحمة بالمعلومات حتى لا تتشتت أذهان التلاميذ ، ويتوزع انتباههم.

٤- أن يعطى المدرس لتلاميذه الفرصة لاستخلاص المعلومات منها وقراءتها بفهم .

(*) يوجد نموذج للخيمة بالكلية الإكليريكية بمبنى الأنبا رويس .

٥- وأخيراً يجب أن يضع المدرس فى اعتباره ضرورة المحافظة على هذه الوسائل وصيانتها وترتيبها حتى تظل صالحة للاستعمال أطول مدة ممكنة .

ونحن نتطلع إلى اليوم الذى يكون لدينا فيه متحف دائم لوسائل الإيضاح ، تعرض فيه النماذج والصور والخرائط والرسوم المدروسة على أسس تربوية نفسية روحية سليمة ليتمثل فيها المستوى المطلوب فى هذا الموضوع الخطير .

أما وسائل الإيضاح الآلية : كالفانوس السحرى ، والسينما ، والتلفزيون ، فلاستخدامها أيضاً شروط يجب أن تتوفر فيها ، وهى شروط تتفق من حيث المبادئ العامة مع المصورات والرسوم السابقة الذكر ، ولا زالت الأفلام المناسبة للتعليم الروحى قليلة ، إن لم تكن نادرة ، وحتى القليل الموجود منها غير مناسب لأن الذين قاموا على عمله وخدمته من غير المختصين فى التعليم الروحى .

ولم يبقَ لنا بعد ذلك من موضوع وسائل التدريس سوى موضوعين الرحلات ، والكتاب والمكتبة عموماً .

أما الرحلات فعلى أنواع : رحلات علمية ، ورحلات للتسلية فى المحبة . ولها فوائد كثيرة :

١ـ أنها وسيلة تحصيل التلاميذ للكثير من الخبرات الحية عن طريق المشاهد الفعلية ، ونأخذ على سبيل المثال رحلة إلى كنائس مصر القديمة بالنسبة لتلاميذ القاهرة ، أو رحلات إلى الأديرة والكنائس والمناطق الأثرية المسيحية بالنسبة لتلاميذ الأقاليم .

٢ـ تتيح الرحلات للتلاميذ القيام بنشاط اجتماعى يكسبهم عادات اجتماعية نافعة كالتعاون وتحمل المسئولية ، وعادات فردية كالاعتماد على النفس ، واعتياد القدرة على التصرف . ومن هنا وجب على المدرس أن يشرك تلاميذه معه فى الإعداد للرحلة ، والقيام ببعض التزاماتها : كالاتصال بجراج السيارات والحصول على التصاريح اللازمة إلى غير ذلك .

٣- تشبع الرحلات الكثير من ميول التلاميذ ودوافعهم الطبيعية : كالميل إلى الاستطلاع . والكشف والمخاطرة ، والجمع والاقتناء .

٤- والرحلات فضلاً عن فوائدها العلمية وسيلة ترويحية ممتازة ، وهي فرصة للاستجمام النفسي والعقلي والصحي أيضاً .

٥- أما من جهة علاقة المدرس بتلاميذه ، ففى الرحلة فرصة لانطلاق التلاميذ على سجيتهم وطباعهم الحقيقية ، فيستطيع المدرس أن يزداد معرفة بهم وفهماً لشخصياتهم .

ولعل لهذه الفائدة الأخيرة قيمة كبيرة بالنسبة لمعلم الدين الذى يلزمه أن يعرف مشكلات تلاميذه عن قرب ليناقشها معهم ، ويعمل على تهيئة الوسائل المختلفة فى حدود إمكانياته لحلها . وهنا تظهر قيمة وأهمية مساهمة راعى الكنيسة فى خدمة التربية الروحية ، فربما تكون المشكلات التى وضع الخادم يده عليها عويصة تتطلب اشتراك الراعى اشتراكاً فعلياً فى حلها كأن تكون مشكلة عائلية ، أو مالية ، أو تعطل ، أو خطيئة متعبة لم يستطيع التلميذ ، وربما كان مراهقاً أن يحلها ، وهكذا . فنزول كاهن الكنيسة ، وراعى الشعب ، إلى ميدان الخدمة أمر ضرورى له أهميته البالغة ونتائجه الملموسة فى التخفيف عن حملانه الصغار متاعبهم وآلامهم . وما أسعد رعية يسجل راعيها أسماء التعابى من أعضائها فى قائمة يضعها أمامه على المذبح ليصلى من أجلهم ويتضرع لأجل حل مشكلاتهم !!

هذا ولقد نجحت تجربة معسكرات الشباب التى قامت بها بعض فروع مدارس التربية الكنسية ، ولاشك أن المعسكر فرصة طويلة يحيا خلالها التلاميذ مع مدرسيهم حياة روحية اجتماعية رياضية ، ويعيشون برنامجاً كاملاً معاً يشمل تناولهم الطعام ، ورياضتهم وعلاقاتهم الاجتماعية اليومية وخاصة إذا وزعت مسئوليات المعسكر عليهم ، وإذا التزم المعسكرون بالاستيقاظ ، والصلاة والنوم فى ساعات محدودة ، إلى جانب إعطائهم بعض فرص بين وقت وآخر ، للنشاط الحر .

وفى المعسكر ، بالإضافة إلى هذا كله فرصة للتعارف مع فروع الخدمة فى أقاليم أخرى وتبادل الخبرات معهم .

أما الكتب والمطبوعات : فحتى الآن لم تتوفر كتب دروس الدين بالشكل المطلوب ، خاصة بعد نفاذ مجموعة المرحوم الأرشيدياكون حبيب جرجس التى كانت فى الواقع نافعة للمدرس وللتلميذ وللأسرة .

كما تميزت صورها بالوضوح والجمال والذوق الفنى مما جعل منها مراجع نافعة . على أن الكتب الدينية التى تتفق مع المناهج غير متوفرة الآن بالشكل المطلوب .

يمكن الاستعانة بالكتب والمؤلفات المختلفة فى الموضوعات العقائدية واللاهوتية والتفسيرية والتعليمية .

وضمها فى مكتبة يستعير منها التلاميذ والشباب بشرط أن توجه عمليتا الاستعارة والإعارة ، بحيث يستعير كل الكتاب المناسب له تحت إشراف مدرسه .

ونلفت النظر إلى ملاحظتين فى هذا الصدد : (**الأولى**) ، أنه يمكن للتلاميذ المساهمة فى تكوين مكتبة لفصلهم ، وبمعاونة مدارس التربية الكنسية يمكن أن تنمو هذه المكتبة وأن تصبح أكثر فائدة (**والثانية**) .

أن قراءة الأولاد واطلاعهم يمكن الاستفادة منها فى قيامهم بعمل مجلات حائط بأقلامهم تتمثل فيها ثمار قراءاتهم ، كما يمكن عمل مسابقات دورية بينهم حفزاً لهم على القراءة والتفكير .

وإذا كان العاملون الذين يولون الطفل والصبى والشاب والفتاة عنايتهم قليلين، وإذا كان الناشرون الذين يهتمون بالدراسات التربوية قليلين أيضاً .

إلا أننا نرجو الله أن يكثر العاملون فى هذا المجال لأن رسالة تربية الناشئة هى من أكبر الخدمات وأخطرها .

القصص ــ التراتيل ــ التمثيليات

١ــ التوجيه بالقصص إلى الفضائل

القصة كوسيلة للتربية

كانت القصة ولا تزال ، هى أسرع وأسهل وأمتع وسيلة لسرد الأحداث ، وعلى مدى العصور التاريخية ، قديمها ووسطها وحديثها ، وفى كل المجتمعات والشعوب ، على تباين بيئاتها وتقاليدها ، وثقافتها ، وجدت القصة ، الطويلة والقصيرة كما وجدت الرواية الطويلة خاصة عند المصريين القدماء الذين اكتشفت لديهم ثروة كبيرة من القصص والروايات كرواية سنوحى السائح المصرى ، وكذلك وجدت الملاحم عند اليونان ، ثم عند العرب . أما عند الفرس والهنود فقد وجدت الأساطير ، وكلها مجموعات من الأحداث المتسلسلة التى تحوى المغامرة والمواقف المثيرة ، وتتميز بكثرة أبطالها وشجاعتهم ، مما يجذب السامع ويستهويه إلى متابعتها ، فى نهم ولذة إذ يشبع خياله ويغذى وجدانه ويلهب عاطفته بالإضافة إلى ما قد يكون فيها من معلومات وطرائف وتسجيل ممتع لعادات الشعوب ، أى أن فيها بالإضافة إلى المتعة النفسية الغذاء الفكرى واللذة العقلية .

ومع الاهتمام بتجميع التراث الإنسانى فى مختلف ألوان الآداب والعلوم والفنون اهتم كل شعب بجمع تراثه القصصى والروائى .

وكان طبيعياً أن تتبادل الشعوب ما توارثته من قصص وأساطير وحكايات تماماً كما تبادلت خبراتها فى العلوم والفنون لما يحتويه مضمون هذه الحكايات من طرائف وما يتخلله من تصوير لطبيعة الحياة وصورة الثقافة والمجتمع فى تلك الأقطار .

وإذا كانت القصة تجذب الكبار وتستحوذ على اهتمامهم وانتباههم فكم بالحرى يكون تأثيرها على الصغار : إنها تستهويهم بما فيها من عنصر التشويق والمخاطرة

والوصف والتتابع ، وبما قد تحويه من مواقف طريفة فيها عنصر المفاجأة ومظاهر البطولة .

لهذه الأسباب ، استخدمت القصة فى التربية كوسيلة سهلة ممتعة لتوصيل الكثير من الخبرات إلى الكبار والصغار .

القصة فى الأسفار الإلهية : ولقد استخدمت الأسفار الإلهية طريقة القصة فى سرد الكثير من أحداث رجال الله وبيان مواقفهم فى تنفيذ وصيته كما فى القصص التى ذكرت فى توراة موسى وكتب العهد القديم ، ولعل من أهمها وأفيدها بالنسبة لتلاميذنا فى المرحلة الابتدائية ما جاء عن طفولة شخصيات كثيرة مثل يوسف وموسى وداود وصموئيل ، وعن مواقف البطولة والاستشهاد فى سبيل الاعتراف بالإيمان بالإله الحى كما فى حياة دانيال النبى والثلاثة فتية .

فإذا أتينا إلى كتب العهد الجديد كالبشائر الأربعة مثلاً التى سجلت حياة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح ، وجدناه له المجد ، يستخدم القصة والمثال لتوضيح الحقائق اللاهوتية والمعانى الروحية العليا . انظر إلى مثل السامرى الصالح تجد أنه قصة متكاملة ، وكذلك قصة الابن الضال ، والغنى ولعازر المسكين ، وغيرها إنها كلها ذات مضمون روحى عال قُدم فى أسلوب قصصى سلس ومشوق لا يكاد السامع ينصت إليه حتى يتابعه ، ويتابع معه الصور الذهنية التى يرسمها له خياله والتى تحوى المغزى الروحى المطلوب . على أن حياة السيد المسيح نفسه وأحداث ميلاده وآلامه ثم قيامته وصعوده ، هى كلها قصص رائعة تستمد جمالها وروعتها من واقعيتها ، ويرى الأطفال فيها شبعاً لخيالهم المتسع ومغزى روحياً يوجه حياتهم وسلوكهم .

أما قصة انتشار الكرازة من بعد صعود المسيح ، وأعمال الآباء الرسل تلاميذ الرب والأحداث التى تمت على أيديهم فى سائر البلاد التى ذهبوا إليها ، وخاصة بلادنا المصرية ، فإنها قصة رائعة تحوى الكثير من المعانى والمواقف والقيم

الروحية التى لا نزال نحياها حتى الآن فنشعر بعمل المسيح فى حياة كنيسته والمؤمنين بـه .

لماذا تستخدم القصة فى التربية الدينية ؟

١ـ يمكن أن يرى الطفل نفسه فى القصة الدينية ، يرى مشكلته ويحس بانفعالاته ويعيش تجربته بالكثير من الراحة النفسية .

٢ـ فى القصة الدينية مواقف مؤثرة لأبطالها فيتعاطف معهم الطفل ، خاصة إذا كانوا أطفالاً مثله ، وبدافع إعجابه بهم ، وحبه لهم يندفع إلى تقليدهم والتشبه بهم وهنا تسنح الفرصة أمام المعلم لكى بقوة إيحائه يعمل على تغيير مفاهيم تلاميذه وسلوكهم إلى المفاهيم المطلوبة والسلوك المسيحى العامل بالمحبة ، فقصة تسامح يوسف مع أخوته ، أو صلاة السيد المسيح من أجل صالبيه ، أمثلة للقصص المشحونة بقوة التأثير وفاعلية النموذج والقدوة . كذلك بركة يسوع للأطفال وعطفه عليهم وخاصة بعد أن انتهرهم التلاميذ ، موقف فيه الحب المتبادل بينه وبين الأطفال ، وفيه الرفق والتقدير للطفولة .

٣ـ فى القصة الدينية ، كما فى أية قصة ، إشباع للخيال وتحديد لمسارات الفكر الروحى بما تلهم به القصة من صور ذهنية مضمونها الفضيلة والحياة المسيحية خذ مثلاً قصة الغنى ولعازر وما فيها من صور ما بعد الموت . إنها ولا شك تجربة حية قوية تثرى الخيال وتملأه بصور السماء والفردوس الذى ينتظر الأبرار والقديسين ، وبذلك يقضى الطفل لحظات حلوة محلقاً بخياله فى جوهم فيشتاق إلى عالمهم مما يحفزه على محاولة التمثل بهم والنسج على منوالهم .

٤ـ تعمل القصة ، بطريق غير مباشر ، على خلق الضمير المسيحى الشخصى بما تشتمل عليه من مواقف الفضيلة الحية كالأمانة والصدق والنزاهة والوفاء والإيجابية واحتمال الآخرين ، وقصص القديسين مليئة ولا شك بهذه الفضائل التى أدى تمسكهم بها إلى الاستشهاد فى سبيلها .. إن سيرة كسيرة القديس

مارمرقس الإنجيلــى ، أو البابــا أثناســيوس الرســولى ، أو البابــا بطــرس خــاتم الشهداء ، أو البابــا كــيرلس الرابــع ، مليئــة ولاشــك بمواقــف القــوة والفضيلــة المنتصرة التى يخرج الطفل منها بصور عملية ممكنة التنفيــذ وســط عــالم ، كثــيراً ما أنكر على الفضلاء فضيلتهم وعلى الكــاملين كمالــهم .

٥- يمكن أن تقدم القصة الدينية حلولاً لمشكلات الولــد فــى حياتــه العائليــة مــع أفــراد أسرته وأخوته بالمنزل ، وفى حياته المدرسية مــع أصدقائــه وزملائــه ومدرســيه ، وكلما قدمت القصة حلاً لمشكلات الولــد كــانت أدعــى إلــى ترحيبــه بــها وتقبلــه وتصديقه لــها .

٦- كثيراً ما تضيف القصة بعض المعلومات والحقائق التى لا يعرفــها الولــد مــن قبــل، وبذلك تكون إحدى وسائل التعليم واكتساب الخــبرة الدينيــة الجديــدة .

٧- تساعد القصة الطفل على تنظيم أفكاره والتعبير فى تسلســل عــن أحــداث عاشــها أو تتبعها أو سمعها ، وخاصة إذا كــانت حــول شــخصية محبوبــة لديــه : كشــخصية يوسف الصديق أو الطفل يسوع : إنــه فــى هــذه الحالــة لا يمــل الاســتماع إليــها والاستزادة من تكرارها منفعلاً بوقائعها وحركــات أبطالــها .

الشروط الواجب توافرها فى القصة الدينية لتحقق أهدافها التربوية

١ــ إن اللغة المستخدمة فى القصة يجب أن تكون بســيطة ، ســهلة ، واضحــة ، معــبرة وأن تخلو من الكلمات التى تعطى المعــانى المجــردة البعيــدة عــن خــبرة الطفــل وقدرته على الفهم ، فالطفل لا يفهم كلمــة " الحــق " ، أو " الحريــة " أو " الأمانــة " ولكنه يفهم قصة عن ولد أمين أى أنــه يفــهم الصفــات والمثــل العليــا إذا تجســدت تجسداً حياً فى سلوك معين وخاصة إذا كان طفــلاً مثلــه .

٢ــ لكل سن القصص الخاصة به التــى يجــب أن تتفــق وخصــائص النمــو فــى ســن السادسة والسابعة تصلح قصص الحيوانات والطيور التى يراهــا الطفــل فــى بيئتــه فهى امتداد لســن الخيــال الواســع ، ويمكــن أن يوضــع علــى ألســنتها المغــزى

المطلوب تعليمه للطفل . أما سن الثامنة إلى الحادية عشرة فهو سن الدخول في الواقع والتخلص تدريجياً من الخيال الخصب المتسع وهي المرحلة التي تلائم التمثل بالسيد المسيح في سلوكه ومحبته للجميع وقدرته على فعل المعجزات . كما أنها سن الميل إلى المغامرة وتكوين الجماعات والارتباط بها ولذلك فإن بعض قصص انتشار المسيحية ، وما اقترن بها من جهاد في سبيل الكرازة ، وكذلك قصص الاستشهاد في مصر وأنحاء العالم المسيحي ، وإشعار الطفل بعضويته في جماعة كبيرة هي الكنيسة الواحدة ، وما عانته هذه الجماعة بأسرها وأطفالها وشبابها من جهاد حتى تحتفظ بالإيمان نقياً ، هذه كلها تُغذي الجانب الواقعي والجانب الاجتماعي في حياة الصبي ، وتجسد له القيم الروحية المسيحية تجسيداً محسوساً واقعياً . أما بين الثانية عشرة والخامسة عشرة ، وهي بدء الدخول في مرحلة المراهقة فهي مرحلة التطلع والعودة إلى الخيال المتسع ، وإنما بمضمون جديد ، فإذا كان الخيال في مرحلة الطفولة المبكرة ذا مضمون إيهامي تمثيلي يحمل طابع الخلط بين الواقع والخيال بلا أساس عقلي واع فإن طابع الخيال في سن المراهقة يتميز بأن له أساساً عقلياً واعياً ، وبأن مضمونه يرتبط بالمستقبل وبالعاطفة والجنس . فهو يحتاج إلى قصص فيها المغامرة الناضجة التي تصور آفاق التطلع إلى الحياة الأفضل ، وهنا فرصة أمام المعلم لتصوير جمال المثل الأعلى في حياة السيد المسيح وروعة العفة والطهارة في حياة القديسين ، والتسامي عن العادات والكلمات الرديئة والتشبه بأبطال التاريخ الكنسي في تضحياتهم ونقاء سيرتهم .

من هنا يرى أن لكل سن القصة التي تناسبه بمعنى أن القصص التي تناسب الفرق الثلاث الأولى (مرحلة الخيال والتقليد) غير مرحلة الفرقتين الرابعة والخامسة اللتين تلائمهما قصص المغامرات غير الفرقة السادسة التي تحتاج إلى قصص التطلع وانفتاح الأفق أمام نماذج الغلبة والسمو .

ويتطلب هذا من المعلم أن تكون له ذخيرة كبيرة من القصص المتنوعة من غير قصص المنهج . وفى المكتبة الدينية الآن مجموعات كثيرة منها ، لكن المعلم يجب أن يبدأ بالكتاب المقدس لتكون قصصه نماذج ومستويات أمامه يقيس عليها القصص الخارجية .

٣– ومن حق القصة النافعة أن يكون لها مدخل مناسب فعلى المدرس أن يهيئ المناخ النفسى والروحى الذى يجذب الطفل إلى الانتباه للقصة الجديدة ، ومن الطبيعى أنه يوجد أنواع مداخل متنوعة تتلاءم وظروف كل بيئة وكل فصل .

٤– وبعد اختيار المدخل إلى القصة يأتى تقديم القصة ذاتها : ويتطلب هذا ولاشك تنوعاً فى الطريقة أى فى الصوت والحركة والأسلوب مما يقتضى من المدرس تحضيراً وافياً يشمل مادة القصة وأسلوب تقديمها والمغزى الذى تتضمنه ، والحركة التى تستلزمها كما يتضمن انتقاء الكلمات المعروفة لدى الطفل حتى يمكنه متابعة وقائع القصة دون ملل .

٥- ولكل قصة مغزى ، لكن ما نطلبه من المعلم إلا يُشعر الطفل بهذا المغزى إشعاراً مباشراً ، بل يجب أن يوجهه إلى هذا المغزى ضمن سير وقائع القصة وتتابع أحداثها ، ومواقف أبطالها .

٦– وأخيراً فإن القصة الناجحة هى التى تزيد شعور الطفل بالأمان والحب إذ تعطيه فكرة حقيقية عن طبيعة وضعه فى هذا الكون ، وعما يجب عليه من نحو علاقاته ببيئته وبالآخرين .

بعض الأخطاء التى يجب على المعلمين تفاديها عند استخدام القصة :

١– استخدام المعانى المجردة والكلمات الدالة عليها ، ككلمة الحرية ، والحق ، والكمال.. الخ ، والواجب أن يدخل استخدامها كصفات لأبطال القصص: فقصة عن ولد صادق ، وقديس كامل كفيلة بأن توصل للولد المغزى المطلوب .

٢ـ المبالغة فى التصوير الخيالى بما قد يؤدى إلى عزل الولد عن بيئته وواقعه . إن للانطلاق بخيال الطفل حدوداً يجب ألا يتعداها المعلم كما يجب ألا يبالغ فى إشباعها بمناسبة وبغير مناسبة ، فليس إشباع الخيال هو الهدف الأساسى من القصة ولكن تغذيته الروحية ، وحسن توجيهه بالإيحاء السامى يجب أن يكونا ضمن أهداف استخدام القصة . ويرتبط بذلك التسامى بالعاطفة بالترتيلة واللحن المؤثر . وبذلك يتميز درس الدين بالتنوع وبزيادة ربط الطفل بالله وعدم عزله عن واقعه .

٣ـ الانشغال بتفاصيل جانبية تباعد بين الطفل ومسار القصة الرئيسى مما قد يؤدى إلى إخماد ما يشعر به الطفل من تشويق وانجذاب .

٤ـ أن يختم المعلم القصة بسؤال عن مغزاها : إن توجيه المعلم لعدد من الأسئلة إلى تلاميذه عما أستفادوه من القصة مضيعة للأثر الوجدانى الذى يخرج به التلاميذ من القصة . يجب أن يستنتج التلميذ هذا المغزى وحده ، وأن نتركه يعيشه بعد ذلك ويتذوقه بلا حدود عقلية .

٥- إذاً هل نعطى للأولاد الفرصة أن يسألوا المدرس ؟ وهذه أيضاً يحسن الاستغناء عنها . لأن الأثر الذى تحدثه القصة سيزول بتحليلها وتفسير مواقفها . إن لحظة الانفعال بجمال الوردة مثلاً ليست هى اللحظة المناسبة لدراسة تكوينها العضوى وطرق تكاثرها والعائلة النباتية التى تنتمى إليها . ليس معنى ذلك أننا نلغى عنصر العقل . فالانفعال دائماً يسبقه إدراك أى تعقل وفهم . ويمكن أن تتخلل القصة بعض الأسئلة والاستفهامات لتتميز بالتنوع بين الشرح والإلقاء والاستنتاج ، ولكننا نقصد أن نلفت نظر المعلم إلى العناية بالمحافظة على الشحنة الوجدانية التى تنتقل للطفل بحكم سنه وطبيعة تأثره .

٦ـ سؤال أخير : هل نطلب من الأولاد أن يقصوا الحكاية التى سمعوها بعد الانتهاء منها ؟ والإجابة بالنفى . إنما يجب أن يترك الأولاد للأثر الروحى

والوجدانى الذى ينطبع عليهم . وقد يجـــوز أحيانـــاً أن يُـــتركوا للتعبـــير بالرســـم أو بتشكيل الصلصال أو استخدام الألوان ، وأنـــها لفرصـــة مواتيـــة للمعلـــم أن يتعـــرف إلى معاناتهم الداخلية ومسار نفسياتهم وقدراتهم من خلال مـــا يعـــبرون بـــه .

خاتمة

لئن كانت الأصول التربوية مطلوبـــة وضروريـــة عنـــد اســـتخدام القصـــة للتربيـــ الدينية لكن تأثيرها مرتبط أساساً بالروح التى يلقيها بـــها المعلـــم ، وبمـــدى انفعالـــه هـــو بأحداثها عن صدق ، وإيمانه بالمغزى الذى تهدف إليه من حيـــث أنـــها إحـــدى الوســـائل التى تستهدف فى النهاية بناء شخصية الأطفـــال روحيـــاً .

٢ــ التراتيل والتمثيليات الدينية

أهميته كجزء من العبادة

هناك جانبان يتعلقان باســـتخدام الـــترتيل والأناشـــيد الدينيـــة فـــى خدمـــة أطفـــال المرحلة الابتدائية : جانب نفسى ، وجـــانب روحـــى .

أما عن الجانب النفسى فالإنسان بوجه عام ، والطفل بوجـــه خـــاص ، يميـــل إلـــى النغم ووقع الموسيقى التى تهز مشاعره وتحـــرك عواطفـــه . ولذلـــك اعتـــبرت الـــتراني والأناشيد والتسابيح جانباً هاماً من العبادة سواء فى العهد القديـــم أو فـــى كنيســـة المسـ المقدسة فى العهد الجديـــد .

أما عن الجانب الروحـــى ، فـــالترتيل والتســـبيح والغنـــاء الروحـــى ليـــس مجـــر إشباع لميول وعواطف بشرية لكنه عبادة وذبيحـــة لله . ويكفـــى أن نتـــأمل مزامـــير داو النبى فنجدها مقطوعات غناء وترتيـــل ، ترنـــم بـــها داود وكررهـــا مـــن بعـــده ملاييـ الناس ، كما استخدمتها الكنيسة فى عباداتها فـــى المناســـبات المختلفـــة (*) .

---

* ويضمها كتاب " الإبصلمودية " وهو الكتاب المستخدم فى الكنيسة للتسبحة اليومية .

يقول داود النبى : سبحوا وهللوا ورتلوا " (مز ٩٨ : ٤) ، أما فى (مز ١٢٦) يقول الوحى الإلهى على لسان المؤمنين " فمنا امتلأ فرحاً ولساننا تهليلاً .. عظم الرب الصنيع معنا فصرنا فرحين " .

ويضم العهد القديم أجزاء كثيرة من التسابيح والترانيم .

فسفرا المزامير ونشيد الأناشيد كلها ترانيم ، وكذلك مراثى أرميا ، وكانت تتلى بمصاحبة الآلات الموسيقية والأنغام والهتاف . كذلك ارتبط حلول روح الله على خيمة الاجتماع بالأناشيد والهتاف الروحى وتقديم التسابيح داخل الهيكل وخارجه .

من أجل هذا تستخدم الكنيسة الكثير من مزامير وتسابيح أسفار الكتاب المقدس وتعتبر الترتيل هو " ثوب الصلاة السمائى الذى يكسبها وقاراً وجدية " . والحقيقة أن القلب حين يفعم بحركة الروح تنفك عقدة اللسان فينطق الإنسان بنغمات تعبر عن أعماق نفسه بأشد مما تعبر عنها الكلمات . وكم من الترانيم التى صدرت من قلوب فرحة واثقة كانت سبباً فى تشديد قلوب الضعفاء وتقوية العزائم الخائرة وجذب النفوس للايمان . يقول القديس بولس الرسول " مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانى روحية ، مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب " (أف٥ : ١٩) فالترتيل إذاً جزء من العبادة وفيه شركة بين المؤمنين وبين الجوقات السمائية غير المنظورة فى التسبيح لله وشكره وتمجيده . فالتسبيح هو اللغة التى تستخدمها قوات السماء فى مخاطبة الإله العظيم إذ " لا تزال نهاراً وليلا قائلة قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شئ الذى كان والكائن والذى يأتى " (رؤ ٤ : ٨) .

الشروط الواجب مراعاتها فى استخدام الترانيم للمرحلة الابتدائية :

وفى المرحلة الابتدائية يجب أن يكون للترتيل دوره الهام فى التربية الدينية ، إذ أنه وسيلة فعالة لربط الطفل بالله وبالكنيسة عن طريق اللفظ المنغم الذى يحمل

بكلماته البسيطة السهلة " المعانى الروحية التى نريد توصيلها لأطفالنا " . ولكى تحقق الأهداف الروحية والتربوية من الترتيل يجب أن تراعى الشروط الآتية :

١ـ أن تكون كلمات الترنيمة من آيات الكتاب المقدس ، أو من بين صلوات الكنيس فهى بذلك تُثبت هذه الآيات والصلوات فى عقل الطفل ومشاعره ، كما تضم سلامة الترتيلة من الأخطاء الروحية والعقائدية .

٢ـ أن تكون ألفاظها سهلة وكلماتها بسيطة يستخدمها الطفل فى حياته اليومية عل أن تتدرج مع خبرته ونموه .

٣ـ أن يكون لحنها عذباً يتناسب مع مستوى الولد فلا يحتاج منه إلى هزات كث أو معقدة .

٤ـ أن يراعى تكرار النغمة حتى يسهل على الطفل حفظها .

٥- أن تكون مرتبطة بالدرس بقدر الإمكان أو بمناسبات الأعياد المختلفة .

٦- وكلما ارتبطت بتمثيلية مبسطة كانت أقرب إلى حماس الطفل وسريعة ف حفظها .

٧- أن تكون كلماتها مضبوطة بالشكل ضبطاً دقيقاً حتى لا يردد الطفل أخطاء لغوي هو فى غنى عنها .

٨- أن يستغل المعلم ميل الأطفال فى هذه المرحلة إلى جماعية الأداء فينوع ف طريقة التحفيظ بين الإلقاء الفردى ، والإلقاء الجماعى وهنا فرصة لاكتش ذوى الأصوات الموهوبة من ناحية وبث الثقة فى نفوس الأطفال المترددين م ناحية أخرى .

٩- لانفعال المدرس بالترنيمة وتأثره بمعانيها وأدائه لها بروح الصلاة أهمية كبي فى إتقان الأطفال لها ، إذ سرعان ما تنتقل آثار هذا الانفعال إليهم .

١٠- لذلك يجب أن يعد المدرس للترتيلة كما يعد للدرس تماماً حتى يضمن إتق الأولاد لها إتقاناً واعياً صحيحاً من ناحية اللغة وناحية النعمة معاً ، وم

مجموعة التراتيل والألحان التى يتقنها الولد فى هذه المرحلة تتكون لديه ذخيرة روحية يظل لها تأثيرها لوقت طويل .

هل يمكن استخدام الترتيل فى المدرسة ؟

قد يكون من الصعب استخدام الترتيل فى درس الدين بالمدرسة الابتدائية فعدد فصولها محدود ، والفصول متقاربة بحيث يُخشى حدوث تشويش أو إخلال بالنظام خاصة مع ازدحام التلاميذ وكثرة عددهم .

لهذا يحسن أن يستخدم المعلم حجرة الموسيقى ، أو ينتقى ركناً هادئاً فى المدرسة . وقد يحتاج فى ذلك إلى الاستعانة ببعض زملائه كما يتطلب الاتفاق مع إدارة المدرسة ، وقد يمكن تذليل هذه الصعوبات إذا صادف أن أتى درس الدين فى نهاية اليوم الدراسى فيمكن تخصيص الجزء الأخير من الحصة لحفظ الترتيلة مع امتدادها بعض الوقت بعد انتهاء الدراسة.

ومع ذلك فيمكن فى جو الفصل وبقليل من التنظيم والتوجيه ، أن يحفظ الأولاد الترتيلة على عدة مرات ، على أن ينشدها نصفهم ثم يتبعهم النصف الآخر وهكذا ولعل فى ارتباط الطفل بأسرة التربية الكنسية فى الحى الذى يسكنه فرصة لتمكينه من حفظ التراتيل والألحان إذ أن جو الكنيسة أو فصل التربية الكنسية أكثر ملائمة من المدرسة بوضعها المألوف .

مصادر الترانيم المناسبة لأطفال المرحلة الابتدائية

إن ألحان الكنيسة وتسابيحها مصدر هام للترانيم التى يمكن أن يتعلمها الأطفال . خذ مثلاً تسبحة الكنيسة للرب التى تقول فيها : ياربى يسوع المسيح مخلصى الصالح ..

إن كلماتها البسيطة ولحنها الروحى العذب مناسب جداً للأطفال فضلاً عن تأثيره العميق فى ربط مشاعر الأطفال بالله وبالكنيسة وبالقديسين .. والمهم أن يكون المعلم قد تذوقه روحياً وانفعل به وأتقنه بروح الصلاة والتسبيح القلبى الحقيقى وهكذا فى بقية الألحان الكنسية التى يمكن أن يلاحظ المدرس إتقان الأولاد للكثير

منها ، إما لترددهم مع أسراتهم على الكنيسة ، أو لحضورهم فصول التربية الكنسية . وفى السنوات الأخيرة جمعت وألفت الكثير من الترانيم المناسبة للأطفال حتى أصبحت لدينا مجموعة لا بأس بها من الكتب يمكن للمدرس الإفادة منها بانتقاء الترانيم المناسبة ، وحبذا اتصاله بأسرة التربية الكنسية القريبة منه ، لتمده بما يريد.

استخدام بعض التمثيليات فى التربية الدينية

بالإضافة إلى استخدام الكلمة المنغمة في التراتيل والألحان ، والتى من شأنها أن تخلق وجداناً تتحرك فيه عواطف الطفل وتسمو فيه مشاعره هل يمكن أن نستخدم أحياناً الحوار الروحى ، والحركة التعبيرية ، فى هيئة تمثيليات مبسطة مستمدة من الكتاب ؟

إن أسفار العهدين القديم والجديد وتاريخ الكنيسة كلها مليئة بالشخصيات والمواقف والقصص التى يمكن تحويلها إلى تمثيليات قصيرة ، فيها الحركة وفيها المغزى ويمكن أن يضاف أيضاً إليها اللحن والنغم .

القيمة التربوية لاستخدام التمثيليات فى التربية الدينية

١ـ يساعد التمثيل الطفل على أن يخرج عن دائرة اهتمامه الشديد بذاته إلى الاهتمام بأشياء أخرى خارجة عنه .

٢ـ حفظ التمثيلية فرصة يكتسب من خلالها التلميذ خبرات جديدة ومعلومات مفيدة ، ويحفظ أثناءها بعض الآيات والعبارات الروحية .

٣ـ تربط التمثيلية الطفل ببعض القيم الروحية والخلقية ، كما تصله ببعض مواقف البطولة والفضيلة فتتفتح شخصيته ويزول عنه الخجل والتردد وتنمو لديه القدرة على التعبير الصحيح والطلاقة فى الحديث .

٤ـ إن إتقان التلميذ لدور من الأدوار المرتبطة بإحدى شخصيات الكتاب المقدس أو تاريخ الكنيسة يقربه إلى هذه الشخصية ويتفاعل معها ويمتص ما ترمز إليه من مثل عليا .

على أن المطلوب بعد هذا من المدرس أن يصب هــذه المزايـا كلـها فـى قالبـها الروحى بحيث تصبح التمثيلية وسيلة لتحقيق الكثير مـن الغايـات الروحيـة والتربويـة .

هل يمكن تمثيل بعض هذه التمثيليات فـى الفصـل ؟

يمكن تمثيلها فى الفصل ويمكن تمثيلها خارج الفصـل . وتوجـد بمكتباتنـا الدينيـة بعض تمثيليات مكتوبة يمكن الاستعانة ببعض فصولـها ومواقفـها ، كذلـك فـإن مجـال الابتكار والتجديد والإضافة مفتوح أمام المعلم المجد ، المعلـم المقتنـع بأهميـة رسـالته، وبضرورة الإفادة من مختلف الوسائل التربوية فى تحقيـق الغايـات السـامية مـن درس الدين .

ويتطلب هذا منه أن يحسن إعداد التمثيليـة التـى سـيقدمها لـلأولاد ، وأن يكـون لديه الوقت الكافى ، ويحسن انتقـاء التلاميـذ علـى أسـس تربويـة أولاً فـهو لا يريـد ممثلين ولكنه يريد تلاميذه أن يتلامسـوا مـع الفضيلـة . ومـن الضـرورى أن يراعـى إعطاء الفرصة لأكبر عدد منهم إن تمثيليـة كالسـامرى الصـالح ، أو الابـن الضـال ، أو العذارى الحكيمات ، وكذلك موقف يوسف مـع أخوتـه ، أو موقـف دانيـال والثلاثـة [فت]ية مع نبوخذ نصر ملك بابل .. كلها يمكن تحويلها إلى طريقـة حـوار مبسـط تتخللـها [ب]عض الترانيم المناسبة . وغير هذه كثير ، مما يمكـن التـدرج بـه فـى فـرق المرحلـة [ال]ابتدائية وفقاً لمستويات الأولاد ودرجة نموهم العقلـى والتحصيلـى ، علـى أن يراعـى [الم]علم أولاً ظروفهم النفسية والفردية ليجد كل فرصته فـى النمـو الروحـى أو التخلـص [م]ن بعض متاعبه ومعاناته النفسـية .

سيرة السيد المسيح والرسل القديسين

الغاية من دراستها ـ كيفية دراستها

[سير]ة السيد المسيح

إن المسيحية هى الحياة فى المسيح يسوع الذى بدونـه لا تكـون حيـاة ولا كمـال. [و]حجر الزاوية فى بناء الإيمان الحقيقى . إنه هـو الطريـق والحـق والحيـاة ، وهـو

خبزنا الحى الذى به نقتات ، وهـو المـاء الحـى الـذى بـه نرتـوى ، وكمـا تتغذ
الأغصان من عصير الكرمة الأصلية ، هكذا المؤمـن يتغـذى مـن الكرمـة الحقيقيـة
الرب يسوع . يقول له المجد " أنا الكرمة الحقيقية وأنتـم الأغصـان ، الـذى يثبـت فـ
وأنا فيه هـذا يـأتى بثمـر كثـير . لأنكـم بدونـى لا تقـدرون أن أن تفعلـوا شيئ
(يو١٥ : ٥) ، لذلك فإن دراسة حياة السيد المسـيح ليسـت مجـرد دراسـة تاريخيـة
معرفة لحوادث زمنية وإنما هى دراسـة لله نفسـه . كمـا أن دراسـة المسـيحية ليسـ
دراسة مجموعة من الوصايا ولكنها حياة المسيح فينا . لاننا بـه نحيـا ونتحـرك ونوجـ
" (أع ١٧ : ٢٨) .

ونريد أن نتتبع أسباب أهمية هذه الدراسـة لنـا :

١ــ **التعرف على شخص الرب يسوع نفسه ولاهوتـه ومجـده :** يقـول القديـس يوحنـ
الحبيب : الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى هـو فـى حضـن الآب هـو خـ
(يو ١ : ١٨) ، وعن طريق تعرفنا علـى شـخصه الإلـهى نتعـرف علـى الثلاث
أسرار الخاصة به : التثليث ، والتجسد ، والفـداء . فنعـرف خلاصنـا بـه وتجـ
طبيعتنا فيه وارتقاءها من مستوى الحياة الأرضية الجسـدية إلـى مسـتوى الشـر
الإلهية كما يقول القديس بطرس الرسول إننا صرنا " شـركاء الطبيعـة الإلهيـة "

٢ــ **التعرف على الحب الذى فى الله للبشرية :** إن دراسـة حيـاة المسـيح تقودنـا حتمـ
إلى التعرف على الحب الذى يحيا فيه الثالوث الأقـدس . فـالآب أحبنـا وبـذل ابنـ
الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون لـه الحيـاة الأبديـة ، والابـن أحبنـ
وقدم ذاته ذبيحة وقربان طاعة علـى الصليـب لأجـل خلاصنـا وتبريرنـا . وهـ
الحب الذى فى الثالوث الأقدس فعل دائم مستمر يتجـاوز حـدود الزمـان والمكـان
لأن الرب " يسوع المسيح هو هـو أمسـاً واليـوم وإلـى الأبـد " (عـب ١٣ : ٨)
ينصب حبه لنا على الماضى والحاضر والمستقبل ، وكذلـك يمتـد خلاصـه فيشـ
ملايين الأنفس من عهد آدم حتـى مجيئـه مـرة ثانيـة للدينونـة . فدراسـة حيـ

المسيح تعرف المؤمن عن هـــذا الخــلاص ، وتعرفــه بالتـــالى مركـــزه كـــابن لله .

يقول القديس بولس " فإن كنا أولاداً فإننـــا ورثـــه " (رو ٨ : ١٧ ، غــلا ٤ : ٧) .

٣ــ إظهار الكمال المطلق فى حياة الـــرب يســوع :

+ كمال السيرة :

فهو قدوس القديسين الذى واجه العالم قائلاً : " من منكـــم يبكتنـــى علـــى خطيئـــة " (يو ٨ : ٤٦) ، ولقد شابهنا فى كل شئ فـــى إنســانيتنا المتواضعـــة مـــا خـــلا الخطيئـــة وحدها .

+ كمال المحبة :

التى تجلت فى تناهيه فى حب الجميع حتى صالبيه ولا تـــزال صلاتـــه عنـــهم " يـــا أبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمـــون مـــاذا يفعلـــون " (لـــو ٢٣ : ٣٤) ، درســـاً فـــى فاعليـــة المحبة النقية وأهم ثمارها وهـــو التســـامح .

وبالروح نفسها رد على تلاميذه حيـــن رفضتـــه إحـــدى المـــدن أن يدخلـــها وســـأل اثنان من هؤلاء التلاميـــذ : " يـــارب اتريـــد .. أن تـــنزل نـــار مـــن الســـماء فتفنيـــهم ، فانتهرهما وقال : لستما تعلمان من أى روح أنتمـــا لأن ابـــن الإنســـان لـــم يـــأت ليـــهلك نفس الناس بل ليخلـــص " (لـــو ٩ : ٥٤ ــ ٥٦).

+ كمال الحكمة :

ففيه مذخرة كل كنوز الحكمة والعلم ، وحين كـــان يعلـــم الجمـــوع كـــانوا يبـــهتون من تعليمه . أما الكتبة والفريسيون فكثيراً ما حـــاولوا أن يجربـــوه مـــع الســـلطة الحاكمـــة حين سألوه " أيجوز أن نعطى جزية لقيصر ؟ ولكنهم تعجبـــوا مـــن إجابتـــه : فقـــد طلـــب منهم إحضار إحدى قطع العملة ثـــم ســـألهم : " لمـــن هـــذه الصـــورة والكتابـــة ؟ " فلمـــا أجابوا " لقيصر " كان رده المفحم " إذاً أعطوا ما لقيصـــر لقيصـــر ومـــا لله لله " .

والأمثلة كثيرة بل إن أمثاله وتعاليمه كانت فـــى بســـاطتها تحمـــل أعمـــق المعـــانى الروحية واللاهوتية وأعلى دروس الحكمة بما لم يتكلم بـــه إنســـان قـــط (يـــو ٧ : ٤٦) .

+ كمال السلطان الإلـــهى :

فهو غافر الخطايا الذى كـــان بسـلطان لاهوتــه يقـول للخطــاة " مغفــورة لكـم خطاياكم " ، هكذا قال للمفلوج ، وللمرأة الخاطئة ، وهـــو يقيـم الموتـى فبكلمــة واحـدة " لعازر هلم خارجاً " ، أقامه من القــبر بعدمــا دفــن أربعــة أيــام ، وهــو شــافى كـل الأمراض بكلمة أو بلمسة المريض لـــه كمــا فــى حالــة نازفــة الــدم ، وهــو مخـرج الشياطين ، والمسيطر على الطبيعة ، وأخيراً إنه الوحيد الــذى قــام مــن القــبر بسـلطان لاهوته ناقضاً أوجاع الموت ، وهذا طبيعى لأنه هو الإله الحـــى ومعطـــى الحيــاة .

+ كمال الإنســانية :

فقد شابهنا فى كل ضعفاتنا ومعاناتنا الإنسانية مـــا خـــلا الخطيئــة وحدهــا . كــان يتعب فيجلس عند البئر ليستريح (يــو ٤ : ٦) ، وعلـــى الصليـــب شـــعر بـــالعطش " أنـــا عطشان " (يو ١٩ : ٢٨) ، وقبل ساعة الصلب قال "نفسى حزينـــة جـــداً حتـــى المـــوت"، ثم صلى قائلاً " يا أبتاه إن شـــئت أن تعـــبر عنـــى هـــذه الكـــأس الا ان اشـــربها فلتكـــن مشيئتك " (مـــت ٢٦ : ٤٢) .

٤ــ **التعرف على مسئولياتنا إزاء الإيمان بالمسيح** : إذا كنـــا قـــد عرفنـــا عـــن ألوهيـــة المسيح ، وكمال محبته ، وإنسانيته ، وجب أن نعـــرف التزاماتنـــا إزاء إيماننـــا بـــه. وفى كلمات مركزة واضحة شرح القديس بولس الرسول فـــى رســالته إلـــى كنيســـة أفسس هذه الالتزامات بقوله : " اسلكوا كما يحق للدعـــوة التـــى دعيتـــم بـــها . بكـــل تواضع ووداعة وبطول اناة محتمليـــن بعضكـــم بعضـــاً فـــى المحبـــة مجتـــهدين أن تحفظوا وحدانيـــة الـــروح بربـــاط الســـلام " (أف ٤ : ١ ــ ٣) ، كمـــا أوصـــاهم ألا يسلكوا كما يسلك أهل الأمم التى لـــم تعـــرف المســـيح ، بـــل أن يخلعـــوا الإنســـان العتيق ويلبسوا الإنسان الجديد المتجدد بحســـب الـــبر وقداســـة الحـــق أمـــا القديـــس بطرس فينبهنا إلى الاقتداء بمثال الرب قائلاً : " تاركـــاً لنـــا مثـــالاً لنتبـــع خطواتـــه " وهكذا تلزمنا محبة المسيح أن نقتدى به ليس بالكلام بـــل بـــالعمل والســـلوك .

ونتقل بعد ذلك إلى دراسة الجانبين الإنسانى والروحى فى حياته له المجد .

أ) الجانب الإنسانى فى حياة السيد المسيح

لقد شاركنا الرب يسوع إنسانيتنا فى كل ضعفاتها ومعاناتنها ما خلا الخطيئة وحدها . وبدت مشاركته بالأكثر للنفوس المتعبة وللطبقات المنبوذة كطبقة العشارين والضعفاء والمرضى والمعذبين . وكثيراً ما ذكر عنه أنه لما رأى الجموع تحنن عليهم لأنهم كانوا كغنم لا راعى لها . وحين ذهب إلى مدينة نايين ليلتقى بالأرملة التى مات وحيدها ، يقول الكتاب المقدس " فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكى " (لو ٧ : ١٣) .

وكان يتعمد أن يسعى إلى البرص الذين كان يعزلهم المجتمع خوفاً من أن ينشروا عدوى هذا المرض الخطير ، إليهم كان يسعى ليشفيهم ويحررهم من عزلتهم ، وكذلك سعى إلى المعذبين بسبب الأرواح النجسة ، والمتسلط عليهم إبليس لينجيهم من أسره ، العميان والمفلوجين والبكم والمصروعين والعرج ، التقى بهم ليمد لهم يمينه تحمل الشفاء والسلام .

ولم يكن يتأخر عن أن يقف حتى يلحق به أعمى بائس ليعيد إليه نور البصر وفى لطف ورفق ضم إليه الأطفال بعد أن انتهر تلاميذه وهو يقول لهم " دعوا الأولاد يأتون إلىّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله " (لو ١٨ : ١٥ ـ ١٧) ، كذلك بدا الجانب الإنسانى فى حياته فى مشاركته الأسرة أفراحها فقد حضر عرس قانا الجليل وباركه .

أما عند قبر لعازر فقد شارك أختيه مريم ومرثا أحزانهما حين ذهب معزياً ومجاملاً بل وأدمعت عيناه مشاركاً ، ثم أقامه بسلطان لاهوته ليؤمن به الكثيرون .. وهكذا من خلال حياته نشعر بمشاركته لنا أحزاننا وأفراحنا ومتاعبنا فنشعر بانتمائنا إلى صديق كبير امتلأ قلبه بالحب نحونا ومستعد دائماً أن يمد فى رفق ولطف يد العون لنا .

إبراز الجانب الروحى فى حياة الرب يسوع

إذا كان الجانب الإنسانى قد برز بوضوح فى حياة الرب : فى لطفه ، فى رفقه ، وتحننه ، فى مشاركته ومجاملته ، فكذلك الجانب الروحى وضح فى مثاله وقدوته :

١ــ فى العبادة

فقد كانت حياته هى حياة الصلاة ولم تمنعه خدمته أو كرازته من قضاء الأوقات الطويلة فى الصلاة والسهر ، فكان تعبير القديس لوقا عنه فى الإنجيل : " وإذ كان يصلى " (لو ١١ : ١) .

وكذلك شهد عنه القديس مرقس فى الإصحاح الأول : " وفى الصبح باكراً جداً قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء وكان يصلى هناك " (مر ١ : ٣٥) ، ومرة أخرى ذكر عنه القديس لوقا أنه قبل أن يدعو تلاميذه فى الصباح ليختار منهم اثنى عشر " قضى الليل كله فى الصلاة "(لو ٦ : ١٢ ، ١٣) وهكذا فى ليلة آلامه كان منحصراً فى جهاد الصلاة حتى سال العرق منه كقطرات دم ، بل إنه نقل إلى تلاميذه روح العبادة إذ بينما كان يصلى سأله تلاميذه قائلين : " يارب علمنا أن نصلى " (لو ١١ : ١) .

٢ــ فى تتويب النفوس

إن قمة الحياة الروحية وسموها يتجلى فى جذب الآخرين إلى الحياة المقدسة مع الله . وكانت حياة الرب يسوع موجهة لتحقيق هذه الغاية : إلى المرأة السامرية سعى عند البئر ، وتحت الجميزة وقف ليلتقى بزكا ، وشهدت بركة بيت حسدا لقاءه مع المفلوج منذ ثمانية وثلاثين سنة وبعد ما أبرأه قال له " ها أنت قد برئت فلا تعد تخطئ أيضاً " ، وكانت كلمته التى يكررها دائماً للعشارين والخطاة " وهو جالس معهم " لأن ابن الإنسان إنما جاء ليخلص ما قد هلك .

حتى فى أشد حالات آلامه ومعاناته وهو على الصليب ما كاد يلمح استعداد اللص اليمين للتوبة حتى نظر إليه غافراً " اليوم تكون معى فى الفردوس " .

٣ـ فى الانتصار على الجسد والعالم والشيطان

قدم للبشرية نموذجاً جديداً فذاً فى حياة الصوم والخلوة " فقد صام أربعين يوماً وأربعين ليلة " ، قضاها فى البرية فى خلوة متصلة وتفرغ كامل للتأمل والعبادة . أما موقفه من العالم ، وأمجاده ، فقد قال له المجد مخاطباً تلاميذه : " لو كنتم من العالم لأحبكم العالم " ، " إن كان العالم يبغضكم فأعلموا أنه قد ابغضنى قبلكم " وليس معنى هذا أن ننعزل عن العالم وإنما أن نخدمه وننيره بالفضيلة التى فينا كقول الرب " أنتم نور العالم " . أما النصرة على الشيطان فقد حققها الرب عند قوله " رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء " ، وكذلك بقوله " لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شئ " ، وهكذا تمت الغلبة لنا ، فى شخص الرب يسوع ، على هذه القوى كلها وهي قوى الشر والخطيئة ، لنحيا فيما بعد لا لأنفسنا ، ولا لشهواتنا ، وإنما للذى مات من أجلنا وقدم لنا بسعة الدخول إلى ملكوت السموات .

بذلك نكون قد أوضحنا أهمية دراسة سيرة السيد المسيح ، والجانبين الإنسانى والروحى من حياته ، ولعل هذا التوضيح قد جاء موجزاً بعض الشئ لكننا نرجو أن نكون قد فتحنا باب التأمل فى هذه الحياة القدسية ليقرأها المعلم فى عمق فى الأناجيل الأربعة ، ويستزيد من اكتشاف نواحى العظمة والكمال فيها ، حتى لا يقف عندما كتبناه كأنه دراسة تفصيلية مستوفاه بل يزيد عليها ويضيف إليها ، واضعاً فى اعتباره ظروف تلاميذه ، يتأثرون به من عوامل أسرية وشخصية وبيئية واجتماعية ومستلهماً إرشاد روح الله القدوس أثناء قراءته وأثناء تدريسه وأثناء تحضيره حتى لا يكون هو المتكلم بل الروح القدس نفسه ولئن كنا ندرس الأساليب والطرق التربوية فى تدريس الدين ، فلأنها مجرد وسائل نضعها بين يدى الله ليستغلها ، أما الفاعلية الحقيقية ، وعملية تغيير النفس والوصول بها إلى حياة الفضيلة والتوبة فلا يمكن أن تتم إلا بعمل الروح القدس وإرشاده . فليضع المعلم إذاً نفسه وتلاميذه بين يدى القدير لتحل عليهم نعمته فيمتلئوا بفيض من المواهب والقوة والنصرة .

+ والسؤال الذى ننتقل الآن للإجابة عنه : كيف ندرس حياة السيد المسيح ؟ وكيف ندرسها لتلاميذنا ؟

فيما يتعلق بكيفية الدراسة ، هناك عدة طرق :

١ــ قراءة البشائر الأربعة كما جاءت بترتيبها فى العهد الجديد ، وتأمل ما جاء بها، مع الاستعانة ببعض كتب التفسير الموثوق بها .

٢ــ الدراسة الموضوعية : فى ضوء ما جاء عنها بالأناجيل الأربعة : وتبدأ بدراسة حوادث الميلاد ثم العماد والصوم ، ثم المعجزات والتعاليم . وهذه يمكن تصنيفها إلى موضوعات فرعية وهكذا حتى يصل الدارس إلى الآلام والموت والقيامة والصعود . كل موضوع كما ذكره الإنجيليون الأربعة ، وتتميز هذه الدراسة بالشمول والتكامل .

٣ــ أما الطريقة الثالثة فهى طريقة التتبع التاريخى . أى تتبع حياة الرب يسوع تتبعاً تاريخياً وخاصة فى الثلاث سنوات ونصف التى أدى فيها خدمته الجهارية فى اليهودية ، وفى السامرة ثم فى الجليل حتى رجوعه مرة أخرى إلى أورشليم حيث قدم للمحاكمة فالصلب .

وإذا كانت الطريقة الأولى تصلح للمبتدئين ، فإن الطريقتين الثانية والثالثة تحتاجان لبذل بعض الجهد فى ترتيب الحوادث ، وتصنيفها تاريخيا أو موضوعيا كما جاءت فى الأناجيل الأربعة مما يحتاج إلى سابق معرفة بها . على أن المعول عليه فى النهاية ، سواء أتبعت هذه الدراسة أو تلك ، هو حماس الدارس ، والحاجة فى طلب إرشاد وعمل روح الله أثناء الدراسة مع تسجيل تأملاته والانطلاق بها لتكون سلوكاً وممارسة فلا يكفى أن نقرأ وندرس وإنما يجب أن ننفذ ونطبق فنكون عاملين بالكلمة لا سامعين فقط . يقول الرب " أما من عمل وعلم فهذا يُدعى عظيما فى ملكوت السموات " (مت ٥ : ١٩) ، وحين كتب القديس لوقا الطبيب سفر أعمال الرسل استهله بهذه الآية " الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع

بفعله ويعلم به " (أع ١ : ١) ، فالمحل الأول لما ابتدأ يسوع بفعله ، والمحل الثانى لما علم به حتى يأتى السلوك سابقاً على التعليم ليكون هذا التعليم تعليماً حياً بالفعل والسلوك وليس مجرد تعليم كلامى باللسان والشفتين ، ومن هنا يمكن للمعلم أن ينقل إلى تلاميذه كيفية تنفيذهم لوصية الرب : ينقلها لهم عن فهم وإقناع وعن خبرة حية عاشها وتذوقها ووجد فيها الحياة الأفضل .

كيف يدرس المعلم حياة السيد المسيح ؟

إذا كان المعلم قد خبر حياة المسيح فى سلوكه وخبراته اليومية ، فإن هذا أهم عامل فى نجاح تدريسه لحياة الرب . ولكل موضوع بعد ذلك طريقة تدريسه ، واختيار المدخل المناسب له ، مما سيأتى تفصيلاً فيما بعد عند الحديث عن طريق توصيل الخبرة الدينية للتلاميذ ، وطبيعى أن استزادة المعلم من الاطلاع على سيرة رب المجد ، ودراسته لطبيعة البيئة التى عاش فيها ، وعلم بها ، وظروفها الجغرافية والسياسية وكذلك أحوال المجتمع اليهودى والمؤثرات التى كانت تؤثر فيه والقوى المختلفة التى تركت انطباعاتها عليه . كل هذا سيجعل من درس الدين ولاشك بركة روحية وتعليمية للتلميذ فتتفتح عيناه على أسمى حياة وأنبل سيرة .

سيرة الرسل والقديسين

الغاية من دراستها ــ كيفية دراستها

يقول القديس بولس الرسول " انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم " (عب ١٣ : ٧) ، فسير القديسين واسطة لتعريفنا بالإيمان الحى الذى أثمرت فيه نعمة الله . فإذا كنا **ندرسها فلتحقيق الأهداف الآتية :**

١ــ تقدم لنا هذه السير نماذج عملية للحياة المسيحية المعاشة .

٢ــ توضح لنا الإمكانيات وأن يستخدموها فى حياتهم .

٣ـ يبرز لنا روح البذل والتضحية والشجاعة فى الإيمان والتفانى فى الشهادة للحق حتى نقتدى بهم .

٤ـ تكشف لنا عن الإيمان العملى الذى علموا به فى سيرتهم قبل كلامهم وكتابتهم حتى تكون سيرتنا متفقة مع أقوالنا وتعاليمنا .

٥- تقدم لنا المنهج الذى تسلموه من الرب ، وحياة الشركة والمحبة الأخوية التى عاشوها ، وأنواع العلاقات التى كانت بينهم ، والتنظيمات والترتيبات التى وضعوها للكنيسة وهو ما نسميه بالتقليد الرسولى . وهو الذى تعتبره الكنيسة إلى الآن مصدراً من مصادر التعليم بها .

كيف ندرسها : إن سير القديسين من أعظم الدروس التى تربى عند التلاميذ القيم الروحية والفضائل المختلفة لأنه يراها حية معاشة فى أشخاصهم . ويمكن أن نراعى فى تدريسها الاعتبارات الآتية :

١ـ أن الأسلوب القصصى هو أنسب أسلوب فى تدريس هذه السير .

لكن من الضرورى أن تتوفر فى دراسة المعلم لحياة القديس صفة الشمول لكل ما أحاط بها من ظروف وأحداث من النواحى السياسية والاجتماعية والدينية والتربوية . ونأخذ تدليلاً على ذلك مثالين كبيرين :

المثال الأول : سيرة القديس أنطونيوس : الذى نشأ بقرية قمن العروس بصعيد مصر الأوسط ، وكيف أدت ظروف كثيرة ، روحية وعائلية وبيئية وشخصية إلى خروجه للبرية الشرقية ، وانعطافه على العبادة ، والجهاد الروحى ، ثم تلمذة الكثيرين له وقيام أول حركة رهبانية نظامية فى العالم . وتحتم دراسة هذه السيرة على المعلم أن يقرأ عنها المصادر التاريخية العامة منها والكنسية حتى يلم بمختلف الظروف التى أحاطت بها ونوع العصر الذى عاشت فيه .

المثال الثانى : البابا كيرلس الرابع : الذى عاصر الوالى سعيد بن طوسون بن محمد على فى أواسط القرن التاسع عشر . إن تدريس هذه الشخصية للفرقة

السادسة فيه تلاق مع ما يدرسونه من موضوعات عن أسرة محمد على ، وفى هذا التلاقى ربط بين تاريخ الكنيسة وتاريخ البلاد عامة ، والظروف التى سادتها ، وأحوال المجتمع وبذور النهضة التى بدأت تنمو ، وتبنى كيرلس الرابع لها فى حقل الكنيسة وهنا تبدو عظمته وناحية المثل الأعلى فيه لأن الخدمات التى قام بها ، ولاسيما إنشاء المدارس ، لم تقتصر فائدتها على المسيحيين فقط بل عمت أبناء الوطن جميعاً .

٢ـ من الأهمية بمكان إبراز مرحلة الطفولة فى سيرة القديس مما يوضح للطفل أنه كان مثله فى الكثير من الظروف ، وبذلك تصبح سيرة القديس ككل حياة يمكن لتلاميذنا التشبه بها والنسج على منوالها ، كما تكشف هذه السيرة عن أن القديس ليس مجرد بطل وإنما هو أولاً إنسان مطيع لروح الله ولعمل النعمة فيه.

٣ـ مراعاة النظرة التكاملية فى معالجة سير القديسين فلا تهتم بجانب معين من جوانب شخصياتهم دون أن نستكمل الجوانب الأخرى من إنسانية وعائلية واجتماعية . فنحن لا يمكن أن نغفل مثلاً أهمية دور الأسرة فى حياة القديس تيموثيئوس تلميذ القديس بولس الرسول ، وكذلك فى حياة القديس الأنبا شنودة رئيس المتوحدين ، والقديس يوحنا ذهبى الفم ، كما لا يمكننا أن ننسى تأثير وأهمية التلمذة الروحية للمعلمين الروحانيين كما أبرزته حياة القديس بطرس خاتم الشهداء . أما فى سير آباء الرهبنة والديرية : كالقديس أنطونيوس والقديس باخوميوس فلا يمكننا تجاهل أثر جو النسك الذى ساد مصر فى تلك الحقبة وارتباطه فى بعض مراحله بحركات الاضطهاد والعنف .

٤ـ ويقودنا هذا إلى دراسة حياة القديسين أحياناً فى علاقاتهم بالكنيسة العامة ، والمجامع المسكونية أى كنيسة الله الجامعة التى ضمت شعوباً كثيرة تحت صليبها ، نلحظ هذا فى الآباء المعلمين الكبار أثناسيوس وكيرلس وديسقورس

وغيرهم كثيرون الذين امتدت آثارهم الروحية التعليمية إلــى الكنيسـة كلــها فيشــعر أولادنا بقيمة انتمائهم لعضوية الجسد الواحد فى كنيســة المســيح المقدســة .

٥- يأتى بعد ذلك دور القديسين فـــى خدمــة بلادهــم وأوطانـــهم الأصليـــة ممــا يــبرز الجانب الوطنى والاجتماعى فــى حياتــهم .

وبالنسبة لقديسينا المصريين بصفة خاصة نلاحــظ أن الكثــيرين منــهم تمثلــت فيــهم شخصية مصر المعنوية كما فى حياة القديس ديوســـقورس الــذى رفــض مبــدأ الكنيســة البيزنطية فى الطبيعتين والمشيئتين ، فجاء دفاعه عن موقـــف مصــر دفاعـــاً قوميـــاً وإن اتخذ شكلاً دينياً ، وكذلك شخصية البابا بنيامين البابا الثـــامن والثلاثــون الــذى تــم فــى عهده فتح العرب لمصـــر .

وكذلك البابا كيرلس الخامس فـــى عــهد مصــر الحديثــة (انتقــل ســنة ١٩٢٨) ، وكانت له مواقفه الوطنية المعروفـــة .

وبذلك تنتفى عن تلاميذنا، مـــن خـــلال هـــذه الســير ، روح الانكماشــية والشــعور بالإقليمية والسلبية والانعزالية إلى سعة الأفق والانفتاح على خدمـــة الوطــن والبــذل فــى سبيله .

وما أجمل ما قاله أحد الآباء : " إن الكنيسة تلقـــن المؤمــن الفــداء ، وتعرفــه عــن المحبة المضحية وتهبه قوة للبذل ، وتسلمه تراثاً كريماً زاخــــراً بأمثلـــة حيــة عــن آبــاء ماتوا فى سبيل الإيمان والشرف والفضيلـــة والحــق . وهــل يمكــن أن تقــوم شــخصية المواطن الصالح بغير هــذه الفضــائل ؟ " .

وصفوة القول أن معالجة سير القديسين تحتاج إلى تســـليط الضــوء علـــى مختلــف جوانب شخصيتهم وطفولتهم ، وإلى تصوير عمل النعمة فـــى حياتـــهم ومـــا أثمــرت بــه هذه الحياة بعد ذلك فى النواحى الروحيـــة والخلقيـــة .

وفـــى الحيـــاة الوطنيـــة والاجتماعيـــة أيضـــاً ، وهـــذه هـــى الدراســـة التكامليـــة للشــخصية .

نماذج لتحضير بعض الدروس

إن تحضير درس فى التربية الدينية المسيحية ، يجب أن يتميز بالعنصر الروحى فى مختلف الخطوات التى يتبعها المدرس . فليس الهدف من الدرس مجرد إعطاء التلاميذ معلومات دينية ، وإنما توصيل الكلمة إلى أعماق قلوبهم ووجدانهم فتتفاعل مع حياتهم ومشكلاتهم ، وتؤدى إلى نموهم فى النعمة والحكمة .

فإذا كنا نضع أمامك خطوات هذا التحضير العلمية ، والمستندة إلى الأسس النفسية والتربوية التى سبقت الإشارة إليها فيجب ألا ينسيك هذا العامل الأساسى والأول فى خدمة التربية الدينية ، وهو إرشاد وتوجيه روح الله القدوس لك ولتلاميذك ، ولتذكر دائماً كلمة الرب " حيثما اجتمع أثنان أو ثلاثة باسمى فأنا أكون فى وسطهم " ، ولتذكر أيضاً أن آباءنا الرسل حينما كانوا يكرزون بالكلمة كانت الكلمة تؤتى ثمارها بقوة حتى أن كاتب سفر أعمال الرسل القديس لوقا سجل عن ذلك فى أكثر من موضع ، قائلاً : " وبينما يتكلمون امتلأ الجميع من الروح القدس " وهكذا تصبح خدمة الكلمة والتعليم الروحى واسطة لامتلائك وامتلاء تلاميذك من نعمة وفاعلية الروح القدس وهى فاعلية مجددة ومنقية ومطهرة .

كذلك نحب أن نلاحظ أن نماذج الدروس التى نقدمها لك ليست نموذجاً نهائياً يتحتم عليك أتباعه والالتزام به لكنه نموذج ، أى محاولة ، يمكن أن تخضع لأى تعديل وفقاً لمختلف الظروف والعوامل التى تحيط بالتلاميذ من نفسية واجتماعية وتحصيلية .

خطوات تحضير درس فى الدين المسيحى

من المهم أن تكون لك كراسة تحضير ترتب فيها أفكارك ، وتنتقى المعلومات المتصلة بالمنهج من الكتب والمؤلفات التى نسجلها لك فى نهاية هذا الكتاب ثم تنسقها فى خطوات تحضير منظمة تجعل من درسك عملاً حياً ، وعرضاً عظيماً ،

ونقطة انطلاق جديدة للأولاد إلى الحياة الأفضل ، وقد يتطلب هذا منك تشجيلاً لظروف بيئة الأولاد ومشكلاتهم الغالبة .

ونرتب لك خطوات التحضير كما يلى :

أولاً : بيانات عن الدرس وتشمل :

١ـ الفرقة والفصل .

٢ـ معدل سن التلاميذ .

٣ـ عددهم .

٤ـ موضوع الدرس .

٥- التاريخ .

ثانيا : مقومات الدرس وتشمل :

١ـ استعداد المدرس روحياً وعلمياً ، والمراجع التى رجع إليها المدرس فى إعداد درسه.

٢ـ تقسيم الدرس إلى مراحل .

٣ـ تحديد الغرض التى يستهدف المدرس تحقيقه .

٤ـ تحديد الطريقة أو الطرق التى سيستخدمها المدرس فى تحقيق هذا الغرض ، وفى شرح الدرس وتقديمه للتلاميذ (الطريقة الإلقائية ـ الطريقة الاستنتاجية ـ طريقة المشكلة) .

٥- انتقاء مجموعة الأسئلة المتصلة بالدرس (أسئلة المقدمة ـ أسئلة الموضوع ـ أسئلة الاسترجاع أو التطبيق) .

٦- استخدام السبورة والوسائل التعليمية اللازمة .

ثالثا : تقييم الدرس :

(يسجله المدرس بعد إلقاء الدرس بكراسة التحضير) .

١ـ مدى تحقيق القيم والاتجاهات التى قصد إليها المدرس من درسه .

٢ـ مدى ملاءمة الدرس لبيئة الأولاد وظروفهم ومشكلاتهم وربطه بالمواد الأخرى إذا أمكن .

٣ـ مدى نجاح المدرس فى انتقاء الأسئلة وتوجيهها فى مختلف مراحل الدرس .

٤ـ مدى تجاوب التلاميذ مع أفكار الدرس وأهدافه وتأثرهم روحياً ووجدانياً بها أسئلتهم والمشاكل التى أثاروها .

٥- هل أمكن اكتشاف بعض الحالات المشكلة ، ودور المدرس فى علاجها .

نموذج من دروس المرحلة

نموذج رقم (١) للصف الأول الابتدائى

قصة الطفل صموئيل (ولادته وخدمته فى الهيكل)

هدف الدرس : محبة الله لصموئيل ومناداته فى الهيكل .

المراجع : الكتاب المقدس سفر صموئيل الأول إصحاح (١،٢،٣) . ـ حياة صموئيل تعريب القس مرقس داود .

الآية المختارة : " تكلم يارب لأن عبدك سامع " (١صم٣ : ٩، ١٠) .

الترنيمة المختارة : يا أطفالى يا أطفالى يا صغار يا صغار .

مقدمة الدرس : فى شكل روائى قصصى يحكى المدرس ما حدث عندما دخلت حنة إلى الهيكل وأخذت تصلى ببكاء تطلب أن يرزقها الله ولداً . وتكون هذه المقدمة مؤثرة للغاية عندما يحكى المدرس الحوار الذى حصل بين الكاهن والمرأة . راجع (١صم ١) .

الموضوع

العناصر	الطريقة
١ـ ولادة صموئيل	إلقائية واستنتاجية وأهم الجوانب التى يبرزها المدرس هى : ❖ الذى يسأل من الله يأخذ طلبته. ❖ الله حقق وعده للمرأة حسب قوله لعالى الكاهن .

٢ــ صموئيل يخدم الرب فى الهيكل
- لماذا قدم الوالدان الطفل للهيكل ؟
- ما الذى كان يعمله فى الهيكل ؟
- ما أخلاقه وصفاته التى نتوقعها عندما كان يخدم الرب والكاهن فى الهيكل ؟

٣ــ حديث الرب لصموئيل فى الهيكل
- لماذا نتوقع محبة الله لصموئيل ؟
- ما الأدلة على حب صموئيل الشديد لله .
- تصوير لظروف الحوار الذى حدث بين صموئيل وعالى الكاهن عندما ظن أن الكاهن يدعوه بينما كان الرب نفسه هو الذى يكلمه .
- ويمكن للمدرس أن يجعل هذا القسم فى شكل حوار بالنشيد فيأخذ هو دور الصوت من السماء والتلاميذ يأخذون دور صموئيل المستجيب ، كما يعرض الصورة المشهورة له وهو يصلى ويستخدمها كمجال للحوار والأسئلة .

خاتمة الدرس

إذ أحب الله صموئيل حكى له كل ما سيعمله مع شعبه . والله يحبنا ونستطيع أن نكلمه ونسمع له عندما نصلى له كما كان صموئيل .

توجيهات للمدرس

١ــ لهذا الدرس تأثيره القوى فى نفسية الطفل لأنه يحكى قصة طفل مثلهم . هو أحب الله والله أحبه ، لذا يلزم أن يبرز المدرس هذه المشاعر المتبادلة بين الله وصموئيل حتى يكون صموئيل نموذجاً أمام الأطفال .

٢ــ التطبيقات العملية لهذا الدرس ممتعة للغاية لأن الطفل عندما يحفظ الآية " تكلم يارب لأن عبدك سامع " يستطيع أن يرددها فى كل صلاة ، ويوجه المدرس

إلى أن الله سوف لا يكلمهم فى رؤيا كما حصل مع صموئيل ، ولكنه يخاطبهم فى قلوبهم بالروح القدس وهذا أعظم . وعندما نعيش فى طاعة وصلاة ، يكلمنا الله دائماً فى قلوبنا كصموئيل تماماً .

فصموئيل ليس مجرد بطل أمام الأطفال ولكنه واحد من المؤمنين الذين أحبوا الله فأحبهم الله وأظهر مجده فيهم .

نموذج رقم (٢) للصف الثانى الابتدائى

عناية الله بالفتية الثلاث فى أتون النار

الهدف : عناية الله بنا فى كل الضيقات .

الآية : لم تكن للنار قوة على أجسامهم ، وشعرة من رؤوسهم لم تحترق (دا ٣ : ٢٧) .

المرجع :

- الكتاب المقدس سفر دانيال إصحاح (٣) .
- الكنز الأنفس فى شرح الكتاب المقدس لحبيب جرجس الجزء الثانى ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

المقدمة :

يحكى المدرس فى شكل روائى قصة صنع نبوخذ نصر لتمثال الذهب ، وأمره لكل رجال مملكته أن يسجدوا له عندما يسمعون صوت الموسيقى .

ويحكى أيضاً وجود ثلاثة فتية كانوا مأسورين فى قصر هذا الملك ، ولكنهم كانوا يهوداً يعبدون الله الواحد .

ما الذى نتوقعه من هؤلاء الفتية ؟ لماذا يرفضون السجود للتمثال . (يذكر المدرس هنا الوصيتين الأولى والثانية من لوحى الشريعة) .

الموضوع

العناصر	الطريقة
١ــ رفض الفتية الثلاث السجود للصنم .	إبراز تمايز الفتية الثلاث عن الشعب الوثنى الذى كانوا يعيشون بينه ، وإيضاح أن السر فى ذلك هو الإيمان فى القلب ووضع تطبيق عملى هو أن المؤمن له حياته الخاصة ولا يشاكل أهل العالم فى أخطائهم لأنه يعبد الله وحده .
٢ــ الحوار بين الفتية الثلاث ونبوخذ نصر .	بالطريقة الإلقائية القصصية مع إيضاح شجاعة وبسالة الفتية الثلاث فى ثباتهم على الإيمان ، وأنهم مثال لنا يُحتذى فى التصرف وقت امتحان الإيمان . + ماذا نتوقع أن يكون موقف الملك ؟ + ما الذى قاله الفتية للملك ؟ (إبراز أهمية الإيمان) .
٣ــ الفتية فى آتون النار	وصف لآتون النار وسؤال : ما الذى تعمله النيران فى الإنسان العادى ؟ ولكن ما الذى عملته فى هؤلاء المؤمنين ؟ ما القوة التى حمتهم ؟ ما الذى رآه نبوخذ نصر ؟ (إيضاح أنه هو الرب الذى نزل من السماء ليكون بيننا ليحمينا من نيران التجارب والضيقات) . وماذا كانوا يعملون فى وسط الآتون ؟
٤ــ خروج الفتية من الآتون ، وأمر الملك بتمجيد اسم الله وحده .	شرح لحالتهم بعد خروجهم . وشرح لموقف الملك الذى تغير بسبب إيمان هؤلاء الفتية . وإيضاح أن هذا نتيجة طبيعية لثبات هؤلاء المؤمنين .

الخاتمة

الله سمح لأولاده أن يدخلوا الآتون ولكنه نزل من السماء ليحميهم من لهيبها ونحن أيضاً يسمح الله أحياناً أن نكون وسط ضيقات العالم ولكنه معنا يحمينا من كل تجربة .

التطبيقات العملية

أمثلة من الآلام التى تقابل أولاد الله .

توجيهات هامة

١ــ يبرز المدرس أهمية الإيمان فى حياة الفتية ، وأن هذا الإيمان يتضح فى أنهم كانوا مستعدين للموت .

(لنا إله ينقذنا من الآتون ولذلك فلن نسجد للصنم) ، وبدون هذا التصميم يصبح الإيمان شكلياً (دا ٣: ١٦، ١٧).

٢ــ يشرح المدرس أيضاً أن الديانة تقوم بطاعة وصايا الرب دون النظر إلى العواقب مهما كانت .

نموذج رقم (٣) للصف الثالث الابتدائى

حياة يوحنا المعمدان

الهدف : الجرأة فى الشهادة للحق أو قوة الإيمان .

الآيــة : " لأنه يكون عظيماً أمام الرب " (لو ١ : ١٥) .

المرجــع :

- إنجيل القديس متى ، وإنجيل القديس لوقا .
- حياة المعمدان ــ ترجمة القس مرقس داود .

المقدمــة :

فى أسلوب قصصى يحكى المدرس قصة بشارة رئيس الملائكة جبرائيل لزكريا عن ميلاد يوحنا المعمدان ، ويستطيع أن يستعين بخبرات التلاميذ السابقة فى حزن حنة أم صموئيل لعقمها ، وبشارة عالى الكاهن لها بولادة طفل راجع (١صم ١ : ١٧) .

الموضوع

١ــ لماذا عاقب الملاك جبرائيل زكريا الكاهن بجعله أخرساً حتى تلد زوجته ؟

(ثم يسأل التلاميذ هذا الملاك نفسه بشر عذراء أخـــرى . مـــن هـــى العـــذراء ؟) .
يقارن بين إيمان العذراء وعـــدم تصديـــق زكريـــا . ويصـــف منظـــر زكريـــا بعـــد خروجه من الـــهيكل .

٢ـــ ولادة يوحنا المعمدان : ما النواحى التي تميز بها يوحنا المعمـــدان عـــن غـــيره مـــن مواليد النســـاء ؟

+ يكون عظيماً أمام الرب ، ما نواحى العظمة فى شخصية المعمدان ؟

+ كيف امتلأ يوحنا المعمدان من الروح القدس ؟

(إشارة إلى المعمودية والميرون ، وبهما ننال قوة الروح القدس حتى فى طفولتنا) .

٣ـــ رسالة يوحنا المعمدان : يشير المدرس إلى نوع الحياة التى عاشها المعمدان (ليربط بينها وبين النساك والرهبان فى الصحارى المصرية) .

+ ما وظيفة المعمدان ورسالته ؟

+ بيان موقفه بالتفصيل أمام الجموع الذين أتوا إليه ليعمدهم ثم أمام هيرودس فى قصره راجع (مت٣ : ١٤ ، ١١) .

توجيهات للمدرس

١ـــ يحسن أن يكتفى المدرس بمجرد إشارة إلى عقـــاب خطيئـــة الشـــك .

٢ـــ على أن يبرز أهمية الشجاعة فى إعلان الحق ، وأن هـــذه الجـــرأة هـــى ثمـــرة مـــن ثمار الحب الحقيقى لله . لكنه يشير إلى أن هذه الجرأة يجـــب أن تخلـــو مـــن العنـــاد أو الكلام العنيف ، فهى جـــرأة تتســـم بـــالقوة والوداعـــة فـــى الوقـــت نفســـه لأنـــها صادرة من قلب محـــب .

٣ـــ عند سؤال الأولاد عن معنى استخدام المعمـــدان لكلمـــة " يـــا أولاد الأفـــاعى " يبيـــن أن المعمدان لم يشتم ، لكن الروح القدس الذى فيـــه كـــان يكشـــف الالتـــواء والخبـــث والمكر الذي كان فى جماعة لا تريد أن تخلص . أما نحـــن فليـــس لنـــا أن نســـتخدم هذه الكلمات إذ ليس لنا هذا الســـلطان .

٤ــ وبالنسبة لحياة التلميذ اليومية نوجهه إلــى أن حياتــه يجــب أن تخلــو مــن سـلوك الرياء والنفاق ، وأن تتسم بالشــجاعة والحكمــة .

نموذج رقم (٤) للصف الرابع الابتدائى

السيد المسيح فى السامرة

الهدف : محبة المسيح للخطاة ولكــل البشــر .

الآيــة : " كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً ، ولكــن مــن يشــرب مــن المــاء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلــى الأبــد " (يــو ٤ : ١٣ ، ١٤) .

المرجـع :

- ❖ إنجيل معلمنا يوحنــا (إصحــاح ٤) .
- ❖ تفسير إنجيل يوحنا لمتى هنرى ترجمــة القــس مرقــس داود .

المقدمة :

تدور المقدمة حول إبراز الموقف الذى كان بين اليهود والسامريين ، وكيف أن هناك عداوة تاريخية شديدة بين الشعبين ؟ كما يبين المدرس مركز المرأة قديماً ، وكيف أن التحدث معها فى الطريق كان أمراً غير متوقع .

وسيلة الإيضاح

يمكن للمدرس أيضاً أن يحضر خريطة ليوضح فيــها جغرافيــة فلســطين ، ويبيــن موقع اليهودية والجليل والســامرة .

الموضوع

١ــ لماذا اجتاز فى السامرة ؟ (إبراز أن الله يرتب ظروفاً لكــى يتقــابل معنــا ويعطينــا نعمــة) .

٢ــ بئر يعقوب (يستطيع المدرس أن يسترجع خــبرات التلاميــذ عــن يعقــوب ولمــاذا بنى هذا البئر وأهمية الآبار فى الجــهات الصحراويــة) .

٣ــ الحوار الذى حدث بين السيد المسيح لــه المجــد والســامرية :

- أعطينى لأشرب .. يبرز المدرس إنسانية المسيح ووداعته ولطفه وجمال مدخل الحديث الذى رتبه كى يدخل إلى قلب المرأة .
- لو كنت تعلمين عطية الله .. يسأل المدرس التلاميذ عن أعظم عطية أعطانا الله إياه ، ويستخلص من الإجابات البنوة .. الروح القدس .. الإنجيل وكلمة الخلاص .. إلخ .
- السؤال عن العبادة والسجود .. بعد تشويق السيد لها عن عطايا الله بدأت تحس أنه ليس مجرد إنسان عادى وتصورته مجرد نبى ، فسألته عن العبادة هل تكون فى جبل جرزيم (الذى فى السامرة) أم فى هيكل اليهود .
- (يلمس المدرس هنا خطورة التعصب الدينى ، ولكنه يبرز أيضاً أهمية التمسك بالإيمان ، وعدم التفريط فيه بحجة عدم التعصب) .
- إعلان المسيح ذاته للمرأة : أنا أعلم أن مسيا (أى المسيح) يأتى ومتى جاء يخبرنا بكل شئ . فقال لها أنا هو ..
- (يبرز المدرس عظمة هذا الإعلان الذى لم يعلنه الرب للكتبة والفريسيين ، وإنما كشف عنه لامرأة خاطئة محتاجة إلى توبة لأنه لمس استعدادها) .
- كما يبين المدرس فاعلية كلام المسيح فى المرأة ، وكيف تابت ثم ذهبت تبشر المدينة كلها بالمسيح وأتت بهم كلهم للمخلص .

توجيهات للمدرس

- إذا سأل التلاميذ عن معنى كلمة زانية ، يقول المدرس بدون خجل وبدون توسع أيضاً أى تتزوج رجالاً زواجاً غير شرعى أو رسمى أو بدون موافقة القانون والكنيسة .
- هذا الدرس مجال مبارك لتخليص التلاميذ من أى رواسب بدأت تدخل إليهم عن التعصب الجنسى أو اللغوى أو الدينى .

❖ يستطيع التلاميذ فى وقت فراغهم تحويل هذا الدرس إلى تمثيلية مبسطة بإشراف المدرس ، ويكون الحوار عن طريق الكلام أو الترتيلة المشهورة عن السامرية .

❖ يضع المدرس أساساً للتلاميذ من خلال هذا الدرس ، أن المسيح يستطيع أن يخلصنا من كل خطايانا .

نموذج رقم (٥) للصف الخامس الابتدائى

مثل الابن الضال

الهدف : محبة المسيح للخطاة وقبوله إياهم .

الآية : " كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد " (يو ٤ : ١٣) .

المرجع :

❖ إنجيل معلمنا لوقا (إصحاح ١٥) .

❖ تفسير إنجيل لوقا تعريب القس مرقس داود .

المقدمة :

يستخدم المدرس خبرات التلاميذ السابقة مثل الخروف الضال والدرهم المفقود ويسألهم عن المعانى التى قصدها الرب من هذه الأمثلة لشرح موقف الله من الخاطئ والضال ، وتكون هذه الخبرات كمقدمة للحديث عن الابن الضال .

الموضوع

١ـ **حالة الابن الأصغر فى بيت أبيه :** يستخدم المدرس الجانب الوصفى فى شرح هذه الحياة ، ويركز على الخبرات الوفيرة ، ويبين أنها رمز إلى خيرات الله للمؤمنين الروحية والجسدية .

٢ـ **طلب الابن الأصغر :** يناقش المدرس التلاميذ فى مساوئ هذا المطلب ، ويبين كيف أن الشيطان يغرى الإنسان على ترك حياة الخير للانحراف نحو حياة الشر . وهنا يركز المدرس على حرية إرادة الإنسان ، وكيف أن الله يحترمها لأنه خلقه على صورته ومثاله .

٣ــ **حالة الابن فى الكورة البعيدة :** دور الأصدقاء الأشرار : يقارن التلاميذ بين ما وصل إليه الابن من حالة نفسه وبين حياته فى بيت أبيه ، ويشير المدرس إلى الإشارات الروحية المقصودة من هذا المثل وكيف أن هذا هو حال كل من يترك الرب يسوع وحظيرة الكنيسة ليلجأ إلى الأصدقاء الأشرار مبتعداً عن وصايا الرب .

٤ــ **التوبة ..** يستطيع المدرس أن يستنتج من التلاميذ أن التوبة حصلت فى المراحل الآتية :

❖ ابتدأ يحتاج "طوبى للجياع والعطاش" . أهمية أن نشعر بحاجتنا للرب المخلص .

❖ كم من أجير عند أبى (الندم والشعور العميق بالرغبة فى إصلاح الحياة) .

❖ أقوم وأذهب إلى أبى (هنا يبرز عامل الإيمان والثقة فى قبول الآب لابنه .

❖ قام فعلاً (أهمية تنفيذ الإحساس الروحى الذى يحركنا لتغيير حياتنا ..) .

٥- **موقف الأب من الابن :** يشرح هنا المدرس مشاعر الحنو والأبوة العطوفة ويشير إلى أن هذه كلها رمز لمشاعر الله أبينا المملوءة حباً نحونا ويصور الآب واقفاً على السطح منتظراً ، ثم إذ يحس بابنه قادم يركض وينزل سريعاً ليقبله .

ثم يسأل التلاميذ عن العطايا التى قدمت للابن وما تشير إليه :

+ الحلة الأولى : رمز إلى استعادة بره وحمايته .

+ الخاتم فى يده : رمز إلى استعادة مكانته وشرفه .

+ حذاء فى رجليه : رمز إلى استعادة نظافته وطهارته .

+ العجل المسمن : رمز إلى الفرح بمجيئه .

ودسم الموائد المقدمة ، وهذه إشارة إلى دسم النعمة التى ينالها التائب فى سر التناول المقدس .

٦ــ **موقف الأخ الأكبر :** يلمس المدرس هذا الموقف لمساً خفيفاً ، ويشير إلى أنه يرمز إلى اليهود الذين لم يكونوا يرحبون بدخول الأمم الوثنية إلى الإيمان .

توجيهات للمدرس

- ❖ هذا الدرس غنى بالمشاعر المقدسة ، لذا يلزم للمدرس الذى اختبر عمل نعمة الله معه أن يبرز مدى حنان الله ولطفه فى معاملته إيانا وقبوله لنا عند توبتنا .
- ❖ نظراً لأن هذا الدرس معروف عند التلاميذ ويتعلمونه من الصغر فى مدارس التربية الكنسية لذا يلزم للمدرس أن يركز على التأملات والشروحات ، ولا يكتفى بأحداث الدرس فقط .
- ❖ يستطيع التلاميذ أن يقدموا هذا المثل فى شكل تمثيلية مبسطة مع استخدام الترتيلة المشهورة (مرة تهت بعيداً عن مخلصى يسوع فأتانى من فدانى ودعانى للرجوع) .

نموذج رقم (٦) للصف السادس الابتدائى

سيرة القديس أثناسيوس الرسولى

الهدف : إبراز بطولة الإيمان وجرأته فى الشهادة للحق .

قول مأثور: العالم ضدك يا أثناسيوس . وأنا ضد العالم .

المرجع :

- ❖ تاريخ أثناسيوس الرسولى : تأليف كامل صالح نخلة ، إصدار مكتبة المحبة .
- ❖ موجز تاريخ الكنيسة : يسطس الدويرى (نيافة الأنبا ديسقورس) .
- ❖ قصة الكنيسة القبطية : إيريس حبيب المصرى .

المقدمة :

يمهد المدرس للموضوع بشرح معنى الأريوسية وخطورتها على الإيمان المسيحى ، وأن شهود يهوه هم امتداد للأريوسية فى العالم .

كما يقرأ للتلاميذ من الرسالة الأولى ليوحنا عن خطورة من ينكر أن الابن مساو للآب .

الموضوع

١ ــ **طفولة أثناسيوس وحياته قبل الرسالة** : يستخدم المدرس الأسلوب القصصي فى عرضها ويبرز جانب أثر الأولاد المسيحيين الذين كان يعاشرهم أثناسيوس الوثنى ، ثم يبرز أيضا نبوغه فى المدرسة الإكليريكية عندما أخذه البابا الكسندروس تحت رعايته بعد أن عمّده .

٢ ــ **تلمذة أثناسيوس لأنطونيوس** : يوضح المدرس هنا أهمية التلمذة فى الحياة الروحية باختصار ، كما يوضح أهمية النسك والتقوى فى الإيمان وإمداده بالجسارة والجرأة اللازمة للشهادة .

٣ ــ **أثناسيوس أمام الأريوسية** : يبرز المدرس هنا خطورة هذه البدعة مستخدماً ما عرفوه فى مقدمة الدرس ، ثم يعرض فى اختصار لأهم الحجج التى ذكرها أثناسيوس الرسولى ضد أريوس ، كما يوجه أنظارهم إلى قانون الإيمان الذى وضعه مجمع نيقية كدستور للإيمان المسيحى .

٤ ــ **الاضطهادات التى لاقاها أثناسيوس** : هنا يستخدم المدرس وسيلة إيضاحية مثل قراءة ما كتبته إيريس المصرى أو أى مرجع مماثل عن المتاعب والاضطهادات التى لاقاها من الأريوسيين الذين كانوا يحرضون الأباطرة ضد أثناسيوس ، ويسأل التلاميذ : لماذا يسمح الله لأولاده بهذه الضيقات ؟ .
ماذا كانت نتائج هذه الضيقات على أثناسيوس نفسه ، وعلى الكنيسة ، وعلى الكرازة والخدمة ؟ .

٥ - **أثناسيوس كشخصية** : يلمس المدرس مع تلاميذه جوانب من بطولة أثناسيوس، سواء نبوغه فى طفولته ، أو جسارة إيمانه فى نيقية ، أو احتماله الآلام فى النفى أو قدرته الإدارية الممتازة فى تدبير بيعة الله أو اتساع الكرازة فى عهده وامتدادها إلى الحبشة أو النسك والفقر الذى كان يحياه متجرداً عن مباهج الدنيا كتلميذ لمعلمه أنطونيوس أو بلاغته وبراعته فى الكتابة اللاهوتية حتى أنه ترك ذخيرة إيمانه ممتازة (مثل رسالته إلى الوثنيين ــ طبع مكتبة المحبة) .

توجيهات للمدرس

* يحسن بالمدرس أن يبين أن جميع النواحى الممتازة فى شخصية أثناسيوس إنما هى عمل روح الله فيه ، ومن فعل الإيمان الحى الذى فى قلبه حتى تصبح حياة أثناسيوس جزءاً من إيمان التلاميذ وليس مجرد صورة بطولة أمامهم .
* يحسن بالمدرس فى معالجة هذه الشخصية ، أن يجعلها متكاملة أمام التلاميذ ، فيلمس الجانب الشخصى والجانب الرعوى أيضاً .
* الجانب الروحى والجانب اللاهوتى أيضاً ، وهكذا حتى تتكامل الصورة أمام التلاميذ فى وضوحها وعمقها وقوتها .
* يطبق المدرس هذا الدرس على حياة التلاميذ الإيمانية ويبين لهم خطورة قبول المبتدعين مثل شهود يهوه والأدفنتست وكل البدع التى لا تتفق مع إيمان الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية ، ويبين أننا مطالبون بمقاومة هذه البدع بسيرتنا الطاهرة وتعمقنا فى المعرفة وإعلان الإيمان الأرثوذكسى ورفض التفاوض والتفاهم مع أعداء الإنجيل كما كان يعمل أثناسيوس .

نموذج رقم (٧) للصف السادس الابتدائى

كيرلس الرابع

الهدف : إبراز عمل نعمة الله فى رجاله .

الآية : انظروا إلى نهاية سيرتهم متمثلين بإيمانهم .

المرجع :

* صور من تاريخ القبط : رسالة مارمينا الرابعة سنة ١٩٥٠ .
* كتاب كيرلس الرابع بمناسبة حفل الذكرى المئوية الأولى لأبى الإصلاح صدر سنة ١٩٦١م .
* كيرلس الرابع أبو الإصلاح لجرجس فلتاؤوس عوض .

المقدمة :

يمهد المدرس لهذا الدرس بمناقشة عن التعليم وتاريخ تعليم البنات في مصر ، ومدارس الأقباط ، وسبق الأقباط فى الاهتمام بهذه المجالات حتى تكون هذه المناقشة مدخلا للتحدث عن سيرة كيرلس الرابع ، ويسأل التلاميذ عن السبب فى تسمية الأقباط لكيرلس الرابع "بأبى الإصلاح" ويكون هذا السؤال هو المحور الذى يدور عليه الدرس .

الموضوع

١ ــ **حياته الأولى :** مولده ــ نشأته ــ رهبنته ــ رئاسته . (راجع كتاب صور من تاريخ القبط ص ٣٢٨ ــ ٣٢٩ ، وكتاب جرجس فلتاؤوس ص ٢٤ ــ ٣٧) .

ويركز المدرس على أهمية الأسرة المسيحية واهتمامها بتربية أولادها روحيا وعلمياً وأثر هذه التربية فى تخريج رجال عظماء ، كما يوضح المدرس أيضا أهمية الرهبنة السليمة فى إيجاد قادة روحيين ممتلئين من الروح القدس ، كما يستخدم المدرس فى المناقشة خبرات التلاميذ السابقة عن الرهبنة وأهميتها .

٢ ــ **حبه الشديد للعلم :** ويبرز المدرس هنا شغف كيرلس الرابع عندما كان فى دير الأنبا أنطونيوس بالقراءة والاطلاع الدينى .

وهنا تدور مناقشة وتأملات عن أهمية العلم لرجل الله وعدم التضارب بين الدين والعلم فى المسيحية (راجع كتاب صورة تاريخ القبط ص ٣٢٠ ــ ٣٣٢) .

وتدور المناقشة عن آثار هذا الشغف العلمى فى حياة كيرلس الرابع عندما أصبح بطريركا.

ويوضح المدرس هذه الآثار فى اهتمام الرجل بتعليم اللغات الأجنبية ، وافتتاح مدارس للبنات لأول مرة فى تاريخ مصر الحديث ، وإحضار مطبعة خاصة للبطريركية .

وعندما يبين المدرس حالة مصر وتاريخها فى عصر كيرلس الرابع يدرك التلاميذ مدى تقدم الرجل ودرايته الأولى فى المجال العلمى .

٣ - **نواحى العظمة فى شخصية الرجل :** يعرض المدرس جزءاً من أعمال هذا الرجل من خلال كتاب من المراجع السابقة الذكر ، ويبين لتلاميذه اهتمام الرجل بالمدرسة القبطية الكبرى وافتتاحه مدرستين فى حارة السقايين ، وشدة اهتمامه بتعليم اللغة القبطية وما عرفوه عن إحضار المطبعة وتجديد للكنائس وشجاعته فى الحق وتحديده سن الزواج ، وتنظيم عقود الأملاك وإجراءات تسجيل الزواج ، وكذا تنظيم الأوقاف . واهتمامه أيضاً بتعليم القسوس وتفكيره فى عمل مدرسة إكليريكية .

ولكنه يبرز أيضاً أن هذه الإصلاحات قوبلت من كثيرين سواء فى الكنيسة أو خارجها بالامتعاض والمقاومة وترويج الإشاعات عن الرجل بأنه مبدد للأموال . وهنا يربط المدرس بما ذُكر عن أثناسيوس ، وما يعرفه التلاميذ عن بولس وكل الأبطال ، لينمو عندهم اتجاه أن الرجل التقدمى لابد أن يقاوم، ولكن المقاومة لا تضيره بل تزيده صلابة .

٤ - **علاقة كيرلس الرابع بأثيوبيا وبالدولة :** وهنا يبرز المدرس الاتجاه الوطنى عند كيرلس الرابع وغيرته على بلاده وعلاقاته الحسنة مع الأثيوبيين ومع رجال الحكم ، حتى يتكون لدى التلاميذ الاتجاه الوطنى المتفتح .

(ارجع إلى المراجع السابقة وخاصة مقال الدكتور زاهر رياض فى كتاب حفل الذكرى المئوية الأولى) .

توجيهات للمدرس

- نؤكد هنا أن تقديم أى شخصية روحية للتلميذ يلزم أن توجه معالجتها على أن كل نواحى البطولة إنما هى من ثمار الروح القدس وعمل النعمة ، وأنه بدون المسيح لا يقدر أحد أن يعمل شيئاً .
- يلزم أيضاً تقديم الشخصية متكاملة من كافة الجوانب الروحية والاجتماعية ، الشخصية والرعوية .

❖ وهكذا تتضح معالم هذه الشخصية الفذة أمام التلاميـــذ ليقتـــدوا بـــها .

❖ وهذا الدرس بالذات ينمى عند التلاميـــذ حـــب العلـــم ، والاهتمـــام بتحصيـــل المعرفـ بمختلف أنواعها . وهكذا تقدم شخصية كـــيرلس الرابـــع نموذجـــاً مباركـــاً لرجـــل الـ المحب للحق فى أى مجال ، دينياً كـــان أو ثقافيـــاً أو اجتماعيـــاً .

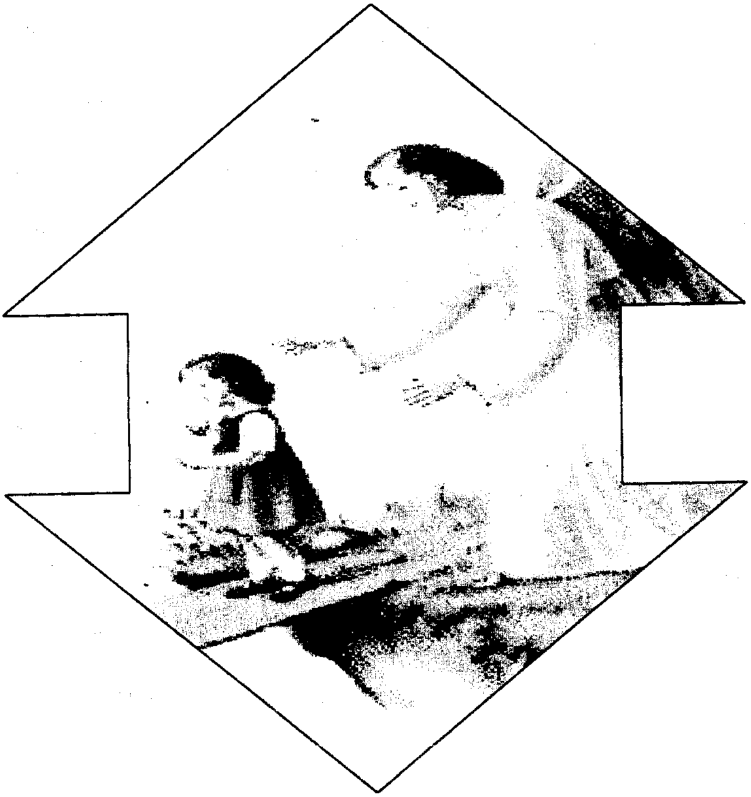

الفصل الرابع

التربية الدينية خلال مراحل النمو

همية تقسيم النمو الى مراحــــل : ـــ

راحل النمـــو: ـــ

- مرحلة المـــهد
- مرحلة الطفولة المبكـــرة.
- مرحلة الطفولة المتـــأخرة.
- مرحلة المراهقـــة .

شكلات المراهقة وعلاجـــها

- الشعور الدينى عند المراهـــق.
- اتجاهات منهج المرحلـــة .
- مرحلة البلـــوغ.
- مرحلة النضج وبدء الرجولـــة .

عالم التربية الجنسية الســـليمة .

لا : الطفولة وتنقية اللاشـــعور .

نيا : الصبوة واسس التربية الجنســـية المســـتنيرة.

لثا : المراهقة والاعداد للحياة الطـــاهرة الثابتـــه.

سئولية الاسرة والكنيسة ازاء التربيـــة الجنســـية .

- فى مرحلة الطفولـــة .
- فى فترة المراهقة والبلوغ الجنســـى .

الفصل الرابع

التربية الدينية خلال مراحل النمو

تمر دورة نمو الطفل بعدة مراحل اصطلح علمـــاء النفــس علــى تقســيمها علــى النح الآتــى:

١ ــ مرحلة المهد : وتشمل الســنتين الأوليــن .

٢ ــ مرحلة الطفولة المبكرة : وتنتهى تقريباً فـــى ســـن الســابعة .

٣ ــ مرحلة الطفولة المتأخرة : وتنتهى فـــى ســـن ١٢ تقريبــا .

٤ ــ مرحلة المراهقة : بين ١٢ و ١٦ ســـنة تقريبــاً .

٥ ــ مرحلة البلوغ واكتمال النمو : مــن ١٧ ــ ٢٠ ومــا بعدهــا .

ويلاحظ أن هذا التقسيم قائم على أساس توفــر بعــض الخصــائص الظــاهرة لك مرحلة . ذلك أنه توجد تقسيمات أخـــرى ، علـــى أســس أخــرى ، لكننــا أخذنــا بـ التقسيم لوضوحه من ناحية ، ولملاءمته من ناحيـــة أخــرى للمراحــل التعليميـــة عندنـ فمرحلة الطفولة المبكرة يقضها الطفل فى المـــنزل حتــى إذا بلـــغ السادســـة ذهـــب إل المدرسة ليقضى بالمرحلة الابتدائيـــة مرحلـــة طفولتـــه المتـــأخرة بيـــن ٦ و ١٢ ســـ ومرحلة المراهقة يقضيها الطفل بالمرحلة الإعدادية ، ثم مرحلــــة البلــوغ ويكــون الفت خلالها بالمرحلة الثانوية . ولذلك فإن دراستنا لأســـس النمــو فـــى كــل مرحلـــة ترتب بطرق معاملة الطفل ، والوسائل التى يجب أن تتبعها المدرســـة فـــى تربيتـــه .

والنمو عملية مستمرة ، ولكل مرحلـــة أهميتـــها الخاصـــة ، ويكـــاد الـــرأى يجم على أن لمرحلة الطفولة الأولى أهمية كبيرة فـــى وضـــع أســـس الســلوك الـــذى يتبع الطفل فى بقية مراحل عمره ، وهنا تظـــهر قيمـــة التربيـــة . فعلـــى فـــرض أن ســـلـ الطفل فى مراحله الأولى قد انحرف فإن تعاون المـــنزل والمدرســـة والكنيســـة ، وتغيـ أسلوب المعاملة ومحاولة تهيئة جو جديـــد لإعطـــاء هـــذا الطفـــل فرصـــة جديـــدة للنمـ السوى ، هذه الوسائل كلها كفيلة ، مع الوقـــت بإعـــادة الطفـــل إلـــى الســـلوك المرغـــو

فيه ، وإلى حسن التكيف . ومن رأى بعض علماء النفس أن الطفل فى كل مرحلة من هذه المراحل يمر بعدة تطورات نفسية ، ففى أول المرحلة يبدى عدم اهتمام . ثم يجتاز صعوبة التدريب على العادات والواجبات الجديدة المطلوبة منه فى مرحلته الجديدة ، وأخيراً يصل إلى درجة من الاستقرار والثقة . خذ مثلاً تعلمه للقراءة فهو فى سن الخامسة وأوائل السادسة يبدى عدم اهتمام ، ثم بين السابعة والثامنة يجتاز صعوبة تعلم المهارة الجديدة . وبعد ذلك فى سن التاسعة وما بعدها تستقر المهارة ويصبح واثقاً من ممارسة الخبرة فيؤديها صائبة ، وكذلك فى عادات النظافة والنظام ولاشك أن فهم المربى لهذه الظروف يجعله أقدر على احتمال الطفل والأخذ بيده برفق مُشبعاً بالحزم فى طريق النمو السليم .

أهمية تقسيم النمو إلى مراحل

وتقسيم دورة النمو إلى مراحل يوجه المربين والآباء إلى خصائص كل مرحلة ويوضح لهم طرق التربية الواجب اتباعها . فالطرق التى تتبع مع طفل المرحلة الأولى لا يحسن اتباعها مع البالغين . وكذلك فى المدرسة يجب أن تتغير وسائل التفاهم ، وطرق التدريس ، ونواحى النشاط تبعاً لكل مرحلة . ودورة النمو فى كل مرحلة يجب أن تسير سيرها الطبيعى فلا يصح أن نتعجلها أو نفرض على الطفل طرق ووسائل مرحلة أخرى . إن النمو من النواحى الجسمية والعقلية والاجتماعية والنفسية يجب أن يتم فى ظروف طبيعية ، بما نهيئه للطفل من الخبرات ، والأجواء التى تساعده على النضج ، وبالتالى على التهيؤ للانتقال إلى المرحلة التالية . فالطفل فى مرحلة الرياض مثلاً . إذا نما نمواً كاملاً أعده هذا إعداداً طبيعياً للمرحلة التالية .

هذا وتتميز طفولة الإنسان بأنها أطول طفولة يمر بها كائن حى . وهى إلى جانب ذلك تتميز بالمرونة والقابلية للتوجيه ، ولذلك فإن لدى الطفل خلالها استعداداً

واضحاً لاكتساب العادات والمهارات والاتجاهات العقلية والاجتماعية ، واستعداداً لإتقانها بعد ذلك . والعبرة بتهيئة الظروف الملائمة ، ووسائل المعاملة والتوجيه .

وفى تتبعنا للنمو الجسمى والنفسى والمعرفى والاجتماعى سنوالى اهتماماً خاصاً لعلاقة هذا النمو بالتربية الدينية وبمعنى آخر سندرس كيف تفيد خطة التربية الدينية من النتائج التى وصل إليها علماء النفس فى هذه الميادين .

مراحل النمو

١ـ **مرحلة المهد** : يمر الطفل فى سنتيه الأوليين بعدة حوادث هامة : التسنين ، الفطام ، المشى ، الكلام . والتسنين والفطام يقترنان عادة ببعض الأزمات الانفعالية الشديدة لما يصحب التسنين عادة من ألم ، والفطام من حرمان من الغذاء السائل الذى يرضعه الطفل تحت ظروف معينة تشبع فيها روحه المتعطشة إلى الحنو إلى أطعمة صلبة أو نصف سائلة . ولأن الفم يعتبر أهم أداة للطفل فى هذه المرحلة فهو يفحص به كل شئ ، وهو أداة إشباع الرغبات وأداة الانتقام ، وأداة الاتصال بالعالم الخارجى : تذوق كل شئ يصل إليه ، فإن لكثرة استخدامه أثراً واضحاً فى أنه وسيلة تحصيل الخبرة ، وبالتالى له تأثير فى نموه . وبروز أسنان الطفل يساعده على أن بعض ، مما يعطيه الشعور باكتساب خبرة جديدة . ولذلك كان لابد للأمهات من مراعاة هذه الظروف فيتدرجن فى فطام الطفل بحيث تقل بقدر الإمكان أزمات الطفل وتعرضه للانفعال .

أما المشى فهو وسيلة أخرى بها تزداد خبرات الطفل ويتسع المجال الذى يتحرك فيه . ولاشك أن هذا يستتبع نموه العقلى ، وقدرته على الاستقلال بعض الشئ . وكذلك الكلام فهو وسيلة الطفل فى التخاطب ، ووسيلة إدراكه للكثير من عناصر البيئة المحيطة به . وبانتهاء السنتين الأوليين تقريباً يكون الطفل قد قطع

وطاً فى اكتساب الكثير من الخبرات عن طريق المشى والجرى والتنقل الاستطلاع .

ويحصل الطفل فى هذه المرحلة عادة على سر العماد . ومنذ العصر سيحى الأول اهتمت الكنيسة بمنح الطفل نعمة الميلاد الثانى للأطفال حملان سيح ، ومعنى ذلك أنها تغرس فى نفوسهم الباطنة حبة الحنطة القابلة للنمو الإثمار . وحبة الحنطة هنا رمز إلى الإيمان بالمسيح وقبوله بنفسية الطفل وتفكيره سيط . والطفل بهذا الإيمان أقرب إلى الله فى كل مراحل طفولته من الكبار الذين قدت حياتهم بالمشاكل والمتاعب المختلفة . ويحصل الطفل أيضاً على سر ميرون أى سر التثبيت وبه يصبح ثابتاً فى المسيح . وبهذا السر المقدس يصبح طفل مسكناً للروح القدس .

يقول يوحنا الحبيب " وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا اجة بكم إلى أن يعلمكم احد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شئ وهى ق وليست كذباً كما علمتكم تثبتون فيه " (١يو٢ : ٢٧) . وقد جاءت هذه الكلمة كيداً لكلمة رب المجد " ها ملكوت الله داخلكم " (لو ١٧ : ٢١) ، وفى إنجيل قديس يوحنا يقول رب المجد " وأما أنتم فتعرفونه لأن ماكث معكم ويكون فيكم " يو ١٤ : ١٧) ، " المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل ئ ويذكركم بكل ما قلته لكم " (يو ١٤ : ٢٦) . هذا هو نهر الماء الحى الذى ينبع ى المؤمنين إلى حياة أبدية . فماذا يكون دور المعلم إزاء هذا الروح ، وهذا النهر ن التعليم الحى الذى يحصل عليه الطفل وهو بعد فى بواكير طفولته الأولى .

إن دور المعلم ليس هو إكساب الطفل شيئاً خارجياً لم يسبق له الحصول عليه ولكن عمل المعلم الروحى المستنير هو أن يحرك فى الطفل مشاعر الاهتمام بعمل روح القدس فيه ، وبقيمة النعمة العظمى التى مُنحت له ، حتى يمكنه أن يستخدم نفسه إمكانياتها فى نموه الروحى . وقد سبقت الإشارة إلى اهتمام الكنيسة باختيار

الإشبين الذى يتعهد الطفل بالرعاية حتى سن البلوغ فيتعهده من بعده أب الاعتراف .

٢ـ مرحلة الطفولة المبكرة (من ٣ إلى ٧ سنوات) : وهذه تتميز طبيعياً بالميل إلى الحركة واللعب ، ومحاولة الحل والتركيب ، ومتابعة اكتشاف الطفل للعالم المحيط به عن طريق التجربة الشخصية . ولو وجهت هذه المحاولات والميول عن طريق اللعب توجيهاً سليماً فإن الطفل يزداد خبرة ، ويصبح أكثر ثقة فى نفسه ، واطمئناناً لمن حوله ، وبذلك نكون قد غرسنا فيه بذور الشخصية السوية . ويلاحظ أن خبرة الطفل لا تقف فى هذه المرحلة عند استطلاع البيئة المادية ولكنه يبدأ أيضاً فى فهم غيره ، والتعامل مع أبويه ، وأخوته ، وأترابه من أطفال الجيران والأقارب . وبذلك يأخذ فى فهم نفسه وتكوين فكرة عما يسميه علماء النفس " بالذات " ، أو فكرة " الأنا " . ففى ضوء معاملة الآخرين له ، وهؤلاء تتمثل فيهم السلطة الموجهة للطفل ، تتكون فكرته عن نفسه وعن غيره ويشعر الطفل بأن ذاته هى المحور الذى يدور حولها كل شئ فهو يعتبر كل شئ ملكاً له .

ويجب ألا نتوقع سرعة تخلص الطفل فى هذه المرحلة من الذاتية أو حبه لذاته لأنها غريزة طبيعية فطر عليها ، ولها قوتها وعنفها ، وإذا لم توجه بالطرق السليمة حتى يعبرها الطفل إلى الغيرية والاجتماعية فيخشى أن تنقلب إلى أنانية وتمركز مدمر حول الذات .

وتكثر شكوى الوالدين عادة من دقة المرحلة التى يجتازها الأطفال بين الثالثة والخامسة ، فهى مرحلة عناد ، وأنانية وغيرة ، وحدة انفعال . لكن لهذه كلها أسباب بعضها يتعلق بطبيعة الطفل نفسها ، وبعضها يرجع إلى روح المعاملة السائدة إذ يلاحظ أن الوالدين لا يلتفتان عادة إلى فطرية طبيعة الطفل مما يحتم عليهما ضرورة احتماله والرفق به وتجنب معاملة القمع والعنف بقدر الإمكان . بل ربما

عن غير قصد يكون مركز الطفل بين أخوته ، وتدليل الطفل الجديد سبباً فى إثارة الغيرة ، وبالتالى دفعه إلى شعور العدوان .

وقد سبق عند حديثنا عن دور المنزل فى التربية أن عرضنا لأهمية هذه المرحلة من حيث تهيؤ الطفل فيها للتأثر بما يسود على بيئته من انطباعات خاصة وأنه يتميز بشدة التقليد ، وسعة الخيال ، حتى ليخلط أحياناً بين الخيال والحقيقة فيخيل لمن حوله أنه يكذب أو يدّعى . والحقيقة أنه يستلهم خياله ولا يميز بينه وبين الواقع . وهنا يمكن للمربى تغذية هذا الخيال بالقصص المشوق الذى يحمل ضمنياً مغزى تربوياً .

وللقدوة والمعاملة الثابتة ، وتجنب القمع والعنف ، آثار بعيدة المدى فى تكوين شخصية الطفل وتكوين اتجاهات سلوكه ، خاصة أنه شديد الحساسية فى هذه المرحلة سريع الانفعال والبكاء مما يحتم على الأسرة أن تراعى احتماله والرفق به وتهيئة الجو المناسب لنموه وإشباع حاجاته من النشاط والحركة والشعور بالأمن والعطف .

ومن أقوى النزعات التى تتميز بها هذه المرحلة نزعة التقليد والنزعة إلى التملك ، والميل للعب . ويستطيع المربى أن يستغل النزعة إلى التقليد فى الطفل فيمكن استغلالها فى تحبيبه فى العبادة ، وتعويده على الذهاب إلى الكنيسة فيحبها ، ويشتاق إليها ، وكذلك على الإحسان ، والصلاة ، والألحان فى أسلوب مبسط يفهمه الطفل وينفعل به ، وكذلك تدريب الطفل على حسن مقابلة الناس ، وطرق التعامل معهم ، وخاصة الطبقات التى يظن أنها أقل منه اجتماعياً كالباعة والخدم . والطفل يتدرب على هذه الألوان من السلوك إذا رأى أبويه يمارسونها عملياً ، وإن كان هذا لا يمنع من توضيح الخبرة بالتعليم . وينطبق هذا أيضاً على الآداب الاجتماعية المعروفة : كآداب الطعام ، وآداب الحديث ، وحسن الاستماع ، واحترام الكبار ، وحفظ الميعاد ، وغيرها . وتبرز فى هذا كله قيمة اجتماعات الأسرة فللاجتماع

العائلى أهميته الكبيرة فى توضيح الخبرات الروحية والاجتماعية ، وإعطاء الفرصة للأطفال للسؤال ، والفرصة نفسها للآباء لعرض مشكلات السلوك والتعامل أمام أطفالهم فى ضوء السير والمواقف والأحداث والتعاليم التى جاءت فى الكتاب المقدس والتاريخ الكنسى . ولا مانع من الاستعانة أحياناً بالقصص الأدبية والحكم السائرة وغيرها .

والقصة وسيلة فعالة فى توصيل الكثير من الخبرات والمعلومات خاصة إذا ألقيت بطريقة تجعل منها شيئاً حياً مؤثراً .

والطفل فى مرحلة الطفولة المبكرة ، يمكنه بخياله الواسع ، وحبه للتقليد ، أن يعيش مع أبطال القصة حتى ولو كانوا حيوانات أو طيور . وقد يزور الطفل حديقة الحيوان وإذا به يقلد الحيوانات فى حركتها وطريقة إطعامها ، وطريقة تناولها للطعام ، وقد يمثلها أيضاً فى طريقة رقادها ومداعبتها لصغارها وهكذا . ويأخذ هذا التقليد صورة لعب إيهامى أو تمثيلى لطيف يندمج الطفل خلاله فى أدوار من يراهم ويتعامل معهم على مسرح حياته المحدودة طولاً وعرضاً .

وقد يدفعه خياله إلى أن يمثل دورين مختلفين ، يمثلهما شخصان يرد كل منهما على الآخر فى حوار يجمع الطفل مادته مما يسمعه خلال حياته اليومية . ولو نزل الكبار إلى مستوى صغارهم الأبرياء فى مثل هذه المواقف وشاركوهم لعبهم وتمثيلهم وحركاتهم لاستمتعوا كثيراً بطفولتهم المنطلقة ، ولأشعلوا عاطفة حب أطفالهم نحوهم مما يباعد فى معاملتهم لهم بينهم وبين الطرق الرسمية : الشخط ، والأوامر ، والضرب ، والتسلط ، الوسائل التى تحيل حياة الأطفال إلى شعور مستمر بالذنب والعجز والضعف ، وأحياناً الخوف والنقص والفشل . مما يتحول فى مراحل نموهم التالية عدواناً وقسوة ، أو خوفاً وجبناً وتردداً ، أو انحرافاً وانطواء وهروباً ، إلى غير ذلك من الانحرافات النفسية التى تثبت أن جذورها الأولى تمتد إلى الطفولة الأولى .

إن الطفل مخلوق ضعيف عاجز ، ولكنه مرن قـابل للتوجيه والتشكيل . وكلما أصلح الكبار من سلوكهم وقدوتهم انعكس هذا على الطفل فامتصه حياة فاضلة وسلوكاً سوياً . ويجب ألا يستبعد الكبار الخطأ على الطفل . إن من علم الطفل في مرحلته الأولى هذه أن يخطئ . إنه يجرب وقد ينجح ، وقد يفشل . إنه يكتسب خبراته بالتقليد والمحاكاة والامتصاص من البيئة . لكن هذه الخبرات أكبر منه ولاشك ، فهو محتاج فى اكتساب هذه العادات إلى وقت طويل يتدرب فيه على العادات الجديدة ليستقر عليها ويتقنها . ويمكن عن طريق اللعب أن يتحقق هذا الاكتساب بسهولة .

فالميل للعب ميل فطرى . واللعب نفسه نشاط تلقائي يمارسه الإنسان والحيوان . ويمكن إذا أحسن استغلال هذا النشاط أن يستفاد منه فائدة كبيرة جداً في التربية .

إننا فى ضوء دراسة خصائص النمو في مرحلة الطفولة المبكرة نطالب بضرورة تغيير خطة التربية . خاصة في مدارس التربية الكنسية . تغييراً جذرياً كلياً شاملاً . إن مجرد إلقاء قصة ، وتحفيظ ترتيلة ، وتوزيع صورة لم تعد هي وسائل التربية السليمة فى هذه المرحلة ولا فى غيرها ، إننا نتطلع إلى اليوم الذى يأتينا فيه طفل الخامسة والسادسة والسابعة بوجه خاص ، فيجد حجرة هادئة فيها أجهزة الموسيقى الكنسية يسمعها ويرددها وفق سنه ومدة الحصة ، ويعطى قصة جميلة ثم يترك مع الريشة ، والألوان ، والطين ، يكون ويرسم ، ويلصق ويقص ، وينحت ويشكل ، ومعلمه معه يشجعه ويتابعه . يكتشفه ويوجهه وفقاً لقدراته ومهاراته التى لم تزل بعد براعم وضعت أمانة بين يدى المربى الروحى ليصلها بالماء والنور والحرارة فتتفتح عن حب لله وللفضيلة .

والقصة يجب أن تروى كقصة دون تعليق ما . ولا حاجة فى هذه السن إلى وسائل إيضاح لأنها تحد دون داع من خيال الطفل . وتجعل الخبرة آتية إليه من

الخارج . إنما عملية التربية هنا أن يثير المربى الروح الطاهر الكامن فى باطن الطفل عن طريق الجو الروحى الذى يحيط الطفل به : جو الموسيقى الكنسية ، والقصة الحلوة ، والنشاط الحركى. أليس هذا كله فى نظر الطفل نوعاً من اللعب ؟! ولكنه فى الوقت نفسه مؤثر فعال فى توجيه وتوصيل روح التربية الدينية إليه ، وتحبيبه فى الله وإيمانه بالكنيسة ، وهذا الحب ، وهذا الإيمان ، موجودان فعلاً فى باطن الطفل ، موجودان بالطبيعة وموجودان بالأسرار المقدسة كما سبق القول .

فالإنسان فى تاريخه القديم كان طفلاً ولكنه كان دائم البحث عن إله يعبده ليشعر بحمايته . والطفل كالإنسان الأول يشعر شعوراً داخلياً عميقاً بحاجته إلى الشعور بقوة تحميه : فهو قد " يؤله " والده أو والدته لأنهما يحميانه ويرعيانه ، يعالجانه ويطعمانه ، يثيران فيه عواطف الحب والشعور بالأمن .

فإذا أمكن عن طريق التربية الموجّهة أن نحبب الطفل فى الله ، ونربطه بالكنيسة عن إيمان ، بشرط أن يكون هذا مقترناً بقدوة المربى الطيبة ، وسيرته المسيحية الحقة ، وسلوكه الكامل ، تجنبنا أن يتوه هذا الطفل عندما يكبر عن طريق الفضيلة أو أن يلحد ويعتنق المبادئ الهدامة المؤذية له ولبلاده .

وبوجه عام يجب أن يعطى الطفل فرصة للعب فى هذه المرحلة فى المنزل والمدرسة ولو جزئياً نقول المدرسة لأننا حددنا هذه المرحلة من ٣ ــ ٧ والطفل عادة يدخل المدرسة فى السادسة ، أو الخامسة أحياناً ، وفى المنزل يمكن تجميع اللعب ، والبكر ، والزجاجات الفارغة .. الخ وبها يمكن للطفل أن يعمل تشكيلات مختلفة ، وكذلك الأدوات التى يحلها ويركبها فهى مرحلة " الحل والتركيب " ، ولكن يجب ألا ننسى أن الطفل فى هذه المرحلة سريع الملل ، يتنقل من لعبة إلى أخرى بسرعة ، ولاشك أن وجود أخوة للطفل عامل مشجع له على اللعب ، وعدم الملل وإنما العبرة باقتناع الكبار بحاجة الأطفال للعب ، وحرصهم عن قصد على تدبير

وسائل اللعب لهم ، حتى ولو بأشياء بسيطة ثم مشاركتهم جريهم ومرحهم ، بين وقت وآخر ، فى حديقة أو رحلة وهكذا .

إن عالم الطفولة عالم جميل ، ولكن الكبار مع الأسف يحرمون أنفسهم من التمتع بهذا العالم الرائع . إن مجرد الاتصال بالأطفال ، واللعب معهم ، وملاحظة براعتهم ، وطريقة حديثهم ، وتوارد الأفكار والخواطر عليهم ، وانطلاقهم فى عبثهم هذا الاتصال فى حد ذاته متعة كبرى فالطفولة هدية الله للإنسانية فإذا كنا نشارك الله فى تشكيل الطفل جسدياً فيجب أيضاً أن نشاركه الشعور بأهمية هذه المرحلة فنعمل على إحاطة الأطفال بالجو الروحى المناسب ، وعلى تنميتهم على محبة الله الخالق والمعتنى والمخلص ، وعلى الإيمان بكنيسته المقدسة وأسرارها وآبائها وتقاليدها . وفى سلوكنا نحن أولا وقدوتنا وانفعالنا بحب الفضيلة أعظم وسيلة لتوصيل هذا النوع من الحياة إلى أطفالنا الصغار .

وقد سبق أن ذكرنا أن الطفل فى كل مرحلة يجتاز فى تعلم الخبرات الجديدة شعوراً بصعوبتها فى بادئ الأمر ثم بتعوده عليها يصل إلى شعور الثقة والاستقرار . يحدث هذا عند تكوين العادات الجديدة مثل عادات النظافة ، الطاعة ، عدم أخذ شئ ليس له ، وغير ذلك من أنواع السلوك الذى يتطلبه الكبار من صغارهم وكأنهم ينتظرون منهم أن يكونوا على إلمام ووعى بها ، نقول إن هذه الأنواع كلها تحتاج إلى تدريب موجه ، طويل المدى ، يستلزم من الكبار صبراً وتؤدة ، وحكمة فى اختيار بل انتقاء الوسائل التى يتبعونها مع أطفالهم لتعليمهم . ويكون طبيعياً فى هذه الحالة ما دامت معاملة الطفل تتطلب هذه الحكمة كلها أن يشعر الوالدون بالضيق والملل إذا كثر عدد أطفالهم مما يدفعهم دفعاً إلى محاولة اختصار الطريق ، والوصول إلى النتيجة التى يريدونها بأسرع وسيلة فيلجأون إلى الضرب ، والضرب هنا يحقق جريمتين : الأولى انتقام الكبار من الصغار غيظاً وحنقاً ، والثانية وقف نشاط الصغير والحجر على حركاته .

والغيظ من الصغار أمر منتظر لأن هؤلاء بنشاطهم وكثرة تحركاتهم فى البيت وهو غالباً ضيق خانق للأنفاس يزيد من مضايقة الكبار فتتوتر أعصابهم ، ولا يجدون متنفساً لهم سوى الضرب ، ظانين أنهم بذلك قد قمعوا نشاط الصغار أو أوقفوه عند حد ، وهم فى ذلك جد واهمون . فنشاط الأطفال يجب أن يوجه لا أن يقمع ، وأن يعدل ويسوى لا أن يكبت .

وإذا ارتبط العقاب فى نظر الصغار بلعبهم ونشاطهم ، فإنهم ينتظرون الفرصة التى يختفى فيها الرقيب ليعودوا إلى نشاطهم وحركتهم . وما يخطئ فيه الآباء ، يخطئ فيه أيضا المدرسون ، بل والمربون عموماً .ومن هنا وجدت النوادى التى يتاح فيها للأطفال فرصة التحرر من القمع والكبت والانطلاق فى ألعابهم ونشاطهم . لكن هذه النوادى مع الأسف لا زالت قليلة محدودة ، بل ولا زال الاشتراك فيها عسيراً حتى على الطبقات المثقفة مما يجعل فائدتها قاصرة على عدد قليل من الناس .

ولو اهتمت الدولة بهذا النوع من أوساط التربية وعملت على استغلاله ولو فى أفنية المدارس فى الصيف كما حدث فى بعض المناطق ، أو إنشاء الحدائق للتفريج على الأطفال المظلومين ، هذه كلها يجب أن تكون محل اهتمام المسئولين عن التربية فى البلاد ، على أن يأتى اهتمامهم بها على أساس من التخطيط والتنظيم .

وتهتم فروع كثيرة من مدارس التربية الكنسية بإنشاء النوادى لأطفالها وصبيانها وشبابها ، وهذه النوادى عاصم لهم من الفراغ القاتل . ولكن نصيب الأطفال الصغار ، فى المرحلة التى نتحدث عنها ضئيل للغاية ، بل وغالباً ما تأتى مواعيده متعبة فيحرم منها عدد كبير من الأطفال ليبقوا فريسة العقاب والظلم والإهانة المستمرة من كل الكبار فى المنزل ، أو ينزلون إلى الأزقة الممتلئة بالطين والتراب يتعلمون فيها أسوأ الخبرات ، ويمارسون نشاطهم ولعبهم فى جو غير

صحى يضر صدورهم وعيونهم وهم مضطرون إلى ذلـك لأن الكبـار قـد ضـاقوا بـهم رعاً والإمكانيات عاجزة عن إيجاد الحديقة أو النـادى المناسـب لـهم .

فهل يأتى الوقت الذى نهتم فيه بهذه المرحلة ونوليـها حقـها مـن الاهتمـام فنشـبع ى الأطفال حاجتهم إلى الحرية واللعب والانطـلاق ونـهيئ لـهم جـو النمـو الروحـى الاجتماعى السـليم ؟ .

أما النزعة إلى التملك واعتبار الطفل أن كل حاجـة " بتـاعتى أنـا " فـهى أيضـا زعة طبيعية ، ولكنها تجد فى المسـيحية حـلا جميـلا هادئـاً ، فالمسـيحية تعلمنـا أن قدم كل منا الآخر فى الكرامة ، وأن لا يهتم الفرد بما لنفسـه فقـط بـل بمـا للآخريـن يضاً ، فإذا سادت هذه المبادئ وتحكمـت فـى توجيـه العلاقـات بيـن أفـراد المـنزل لواحد وجد فيها الطفل ولا شـك ، علاجـاً للكثـير مـن المضاعفـات المقترنـة بحـب لتملك ، كالأنانية ، وحب السيطرة ، والرغبة فى أن يكون دائمـاً أحسـن مـن الآخريـن ما يؤكد " الذاتية " التى هى سر كل بـلاء فـى الوجـود . ولذلـك وضـع رب المجـد رطاً أساسياً لمن يريد أن يتبعه عـن إيمـان وحـق " أن ينكـر ذاتـه " أى أن يتخلـص ن حبه لذاته ، وأنانيته ، ليحـب المسـيح .

ما هو دور المربى فى تخفيف حدة ذاتية الطفـل وميلـه للتملـك ؟

يجب أن يقدر أولاً أنها نزعة طبيعية فى حاجة إلـى الإشـباع الطبيعـى . فـالطفل جب أن تكون له حاجاته وأدواته الخاصة ، ويجب أن يكون لـه نصيبـه الـذى لا يمـس ى أى شئ يفيد منه الكبـار ، الطعـام ، الفسـحة ، الحلـوى . الـخ ، يجـب ألا يشـعر لطفل بأنه محروم مما يستمتع بـه الكبـار .

بعد ذلك تأتى قدوة الكبار فى تنازلهم عـن محبـة وسـماحة لجـزء مـن نصيبـهم راحتهم ومتعتهم فى سبيل راحة الصغار . هنـا الخطـوة الأولـى فـى تعليـم هـؤلاء صغار أن هناك غـيرهم يجـب أن يخدمـوه ويرعـوه ويلاحظـوه . والطفـل رقيـق

الشعور ، وبتكرار السلوك يمكن أن يثبت ، وكل شعور قائم على أساس استغلا العواطف الطبيعية عند الطفل ، وخاصة عاطفة المحبة . قابل للثبات أكثر .

خذ مثلا أب يسأله ابنه كوب ماء ، فيقوم الأب ويذهب إلى المطبخ أو إلى الثلاجة ليحضر الماء . ثم يعطيه لابنه فى حب وعطف ومداعبة قائلاً " أتفضل يا حبيبى " ماذا يكون شعور الطفل ؟ إذا طلب منه أبوه بعد ذلك الطلب نفسه ، فإنه سيسارع إلى تلبيته فوراً بالشعور نفسه ، والعاطفة نفسها .فإذا طلب منه أخوه أمكن الأب أن يوجهه إلى تلبية طلب أخيه ، بنفس الشعور والعاطفة . ومع تكرار هذا النوع من السلوك وأمثاله تثبت عاطفة المحبة والخدمة لدى الطفل . ومع نمو تنمو ، ومن هنا يكون المنزل قد وضع للطفل مفتاح التخلص من أنانيته وتمركز حول ذاته لكى يفكر فيما لغيره . وهذا تمهيد طيب جداً للدخول بالطفل إلى المرحلة التالية من ٨ ــ ١٢ والتى أسميناها " الطفولة المتأخرة " فهى المرحلة التى تنمو فيها " اجتماعية " الطفل وخروجه خارج ذاته إلى التعامل مع أترابه من الأطفال والأصدقاء . كلما بدأنا هذه الاجتماعية مبكراً كانت قابلية الطفل لها أضمن فى المراحل التالية .

ولعل مما يفيد ، أن نوضح أهم التوجيهات للتربية الدينية فى هذه المرحلة :

١ ــ العمل على تنمية اتجاه المحبة والتعاون لدى الطفل والترحيب بمشاركة الغير فى ممتلكاته وألوان نشاطه ، لأن هذه تخرجه عن محبة الذات . ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق قدوة الكبار للصغار ، وإظهارهم عاطفة الحب والإيثار فى معاملاتهم لهم .

٢ ــ لما كانت هذه المرحلة هى مرحلة الرضى بالأسرة والافتخار بالوالدين فإنها فرصة ثمينة لاصطحاب الأولاد فى النزهات العائلية وفى الذهاب إلى الكنيسة وزيارة الأقارب، ويمكن أثناء ذلك تعليم الطفل الكثير من الآداب الاجتماعية ، كآداب الجلوس فى بيوت أخرى غير بيته ، وآداب الحديث ، والطعام ، واحترام العبادة ، وغير ذلك .

٣ــ التدقيق فى مراقبة الطفل بين أصدقائه حتى لا يعيش فى جو تسوده كلمات القبح والسفاهة فيقسو قلبه ، ويضعف التأثير الدينى فى نفسه . ومن هنا تبرز أضرار اللعب فى الطريق ، والوقوف فى صحبة المنحرفين ، فيجب تعويد الطفل على سماع كلمات الود والمجاملة والحب والفضيلة حتى ينفرد من سواها .

٤ــ يجب التزام الصدق والبساطة فى الإجابة عن أسئلة الطفل فى هذه المرحلة وأن يراعى فيها مستوى عقليته ، ومرحلة نموه . ومن المفيد أن نستشير تفكير الطفل بأسئلة تساعده على التفكير السليم ، وعلى التأمل فيما حوله من محتويات البيئة وربط هذا كله ، بطريق القصة بعمل الله فى الوجود فيرتبط الطفل به ارتباط الحب والشكر والتقدير .

٥ــ إن انفعال الطفل فى هذه المرحلة للنغم والموسيقى يساعد المربين على تحفيظ الطفل الكثير من الترانيم الروحية ، والألحان الكنسية ، ولهذا ولا شك تأثيره الكبير فى نمو الطفل الوجدانى نمواً سليماً .

وصفوة القول إن الطفل فى هذه المرحلة يحتاج إلى أن يتعرف على شخص الرب يسوع كمحب له يسد احتياجاته فيحس الطفل أنه إزاء هذا الحب ، عليه أن يتعود الذهاب للكنيسة والصلاة وطاعة الوالدين وعدم الشتيمة والحلف والكذب ، هذه التى تغضب الرب الذى أحبه وسكن فى قلبه .

اتجاهات منهج هذه المرحلة

ج) **مرحلة الطفولة الماخرة** : من السادسة إلى الثالثة عشرة تقريباً .

إذا كنا قد اعتبرنا المرحلة السابقة مرحلة اكتساب الخبرات ، فإن هذه المرحلة تعتبر مرحلة إتقان الخبرات ، والمهارات اللغوية والحركية والعقلية .

نحاول الآن أن ندرس خصائص هذه المرحلة فى شئ من التفصيل :

النمو الجسمى

يقسم بعض الباحثين هذه المرحلة إلى قسمين : الأولى من السادسة إلـ الثامنة وهى امتداد للمرحلة السابقة وفيها يواصل الجسم نموه . أما المرحلة الثاني فهى مرحلة استقرار ، وبطء فى النمو ، فتتحسن صحة الطفل الجسمية ، ويزد ميله للنشاط والحركة فينزع إلى التحول والاهتمام بالعالم الخارجى .

وأفضل أنواع التربية ما قام على أساس استغلال هذا النشاط : كطريقـ المشروع ، والأسر ، والرحلات مما يربى شخصية الطفل من جميع نواحيها خاصة وأن صحة الطفل عموماً تكون حسنة ، وقابليته للأمراض أقل من المرحلـ السابقة ، مما يجعله قادراً على تحمل الجهد ومواصلة العمل ساعات طويلة .

النمو العقلى

نحو أواسط هذه المرحلة ـ أى فى الثامنة أو التاسعة تقريباً ، يأخذ الطفل فـ الانتقال من مرحلة الخيال ، واللعب الإيهامى ، إلى مرحلة الواقعية أو الموضوعيـ فباتصاله بالعالم المحيط به يزداد مدركاته الحسية لعناصر البيئة التى يعيش فيها كما أن كل القوى العقلية تأخذ فى النضج : كالتذكر والتفكير ، والربط ، والقدر على التصور .

كذلك تزداد قدرته على الانتباه الإرادى ، ولكنه يحتاج إلى معاونة من حيـ مراعاة مدة الدرس ، واستخدام وسائل الإيضاح المعينة على فهمه لموضوعا الدروس .

وذاكرة الطفل فى هذه المرحلة ذاكرة قوية قادرة على استيعاب الكثير مـ يصل إليها ، وقادرة أيضاً على الاحتفاظ بالمعلومات أطول مدة ممكنة . على أ هذا لا يحفزنا إلى تكليف الطفل بالحفظ الآلى كثيراً ، إنما يجب إثارة عوامـ التشويق لديه ، وربط ما يحفظه بخبراته وميوله ليكون حفظه حفظاً واعياً .

وتساعد قوة الذاكرة على الاستفادة من كثرة التمرن والتكرار مما يؤد بالطفل إلى إتقان الكثير من المهارات والحركية والعقلية ، وقد أفادت كنيستنا قديمـ

من هذه المرحلة فجعلت أولادها يحفظون آنذاك الألحان والمزامير على أيدى مرتلى الكنيسة .

النمو النفسى والاجتماعى

يطلق بعض علماء النفس على هذه المرحلة مرحلة العصابات ، ذلك أن الطفل خلالها يميل للعب الجمعى ، أى للانتساب إلى جماعة، وإن كان اهتمامه باللعب الجمعى المنظم ، أى فى شكل فرق ، لا يأتى إلا فى أخريات المرحلة . ويستتبع ظهور هذا الميل ، خروجه عن " الذاتية " إلى " الغيرية " فتنشط فيه نزعة المنافسة ، ونزعة العدوان أحياناً بين رفاقه ، وإن كان هذا يؤدى من جانب آخر إلى تعاونه مع أفراد فريقه ضد الفريق الآخر . ولذا وجب على المربى أن يراعى الاستفادة من هذه الميول فيعمل على تهيئة الجو المدرسى بحيث يساعد على توجيه هذه النزعات توجيهاً تربوياً واجتماعياً سليماً.

فنظام الأسر ، والفرق الرياضية والجماعات المدرسية كجماعة الكشافة . والقسم المخصوص ، وجماعات النشاط المختلفة .. هذه كلها إشباع موجه للميل الاجتماعى مما يؤدى بالتالى إلى اكتشاف استعدادات الأطفال المختلفة لحب القيادة أو التبعية ، والميل للزعامة والمساعدة ، ولاشك أن فى نظام الجماعات والأسر المدرسية تدريباً للطفل على ممارسة الحق والواجب وعلى معرفة حدوده أى متى يجب أن يكون قائداً ومتى يجب أن يكون تابعاً ، وهى خبرة يمكن أيضاً للمدرس أن يمارسها فى الفصل مع تلاميذه فيعلمهم كيف ينظمون مناقشاتهم .. متى يتكلمون ومتى ينصتون .

وتبدو فى هذه المرحلة ظاهرة التنافر فى العلاقة بين الجنسين ، ويعلل علم النفس هذه الظاهرة بأن المرحلة من ١٠ ــ ١٢ سنة هى مرحلة الكمون التى تسبق ثورة المراهقة بميولها نحو الجنس الآخر ، أى أنها الهدوء الذى يسبق العاصفة .

ويميل الطفل أيضاً إلى الجمع والاقتناء ، وهو يجد لذة ومتعة في ادخا الأشياء وحفظها في مكتبه أو درجه ، فهو يجمع العلب والنقود والأقلام واللعب وقد يضيف إليها أصابع الطباشير ، وسدادات الزجاجات ، وطوابع البريد .

ويمكننا توجيه هذا الميل إلى أهداف تفيد الطفل وتحقق ربطه بالعالم الخارج فيعرف عنه معلومات جديدة كأن نوجهه إلى جمع صور الزعماء ، أو ندرس الجغرافيا والمواد الاجتماعية عن طريق اهتمامه بجمع الطوابع أو صور المصان والمشروعات المختلفة الناشئة في بلاده والبلاد الأخرى وهكذا .. أو صور الآبا القديسين وصور للكنائس وصور للشهداء وصور مناسبة لأعياد الميلاد والقيامة ودف وشورية وشمع وبخور .. الخ .

ويرتبط توجيه هذا الميل بتدريبه على تبويب الموضوعات وتنسيق المجموعات التي لديه مما يحببه بطريق غير مباشر في النظام ، فإذا ساهم الفصل كله في عمل متحف أو معرض فإن هذا يعلمهم التعاون والعمل لمصلحة الجماعة كما يدربهم على احترام المواعيد ، والجدية في تولي المسئوليات .

وأخيراً يأتي ميل الطفل لحب التجول والمغامرة والكشف ، وهي فرصة للمربي أن يربطه بالطبيعة ، ويثير ميوله إلى الكشف عن أسرارها من طير وحيوان ونبات وفضاء وغير ذلك .

ولاشك أن في هذا تنمية لما نسميه بالاتجاه العلمي في التفكير فإن جمع الحقائق واستخلاص النتائج منها ، وتذوق لذة كشف الجديد .. هذه كلها ولاشك لها ثمارها في تنمية حب الحقيقة في الطفل .

التربية الخلقية والاجتماعية

ونستطيع أن نرى من هذه الخصائص جميعاً خمائر ممتازة للنمو السوي للشخصية وتحقيق الكثير من أغراض التربية ، وذلك بتعويد الطفل على إتقان ما يعمل ، وعلى حب الجماعة والإخلاص لها ، وعلى البحث بنفسه عن الحقائق

وممارسة التكرار بطريقة سليمة ، مما يثبت لديه العادات العقلية والاجتماعية النفسية النافعة ، خاصة وأن الطفل فى هذه المرحلة قليل المشكلات بالنسبة للمرحلة السابقة ، ومرحلة المراهقة التالية . فإذا استطعنا أن نحسن توجيهه فى هذه المرحلة فإننا نكون بذلك قد وضعنا بذور الشخصية السوية لمرحلتى المراهقة والبلوغ .

وفى مجال التربية الدينية يمكن استغلال هذه القدرات فى تحفيظ الألحان وبعض فصول الكتاب المقدس والصلوات الكنسية ، وكلما نجح المربى فى إعطاء الطفل فرصة تذوق جمال الألحان والصلوات كانت أكثر فائدة ورسوخاً فى وجدانه.

والطفل فى هذه المرحلة يصبح على وعى بالاتجاهات السائدة من حوله ، فيمكنه التمييز بين الخيال والواقع ، وبين الخير والشر ، وبين الخطأ والصواب فى ضوء الجو الذى ينمو فيه . وعن طريق الامتصاص يكون الطفل فى هذه المرحلة اتجاهه إزاء الله ، والعبادة والتدين .

وإذاً فيجب ألا نربط بين أخطائه وبين عقاب الله له ، ولا حتى بين حسناته ومجازاة الله له .. فهذه تكوّن لديه اتجاهات نفسية خاطئة هى التى يسميها البعض " بالغيبيات " . يكفى جداً أن يشعر .. ونؤكد هذه الكلمة .. من خلال المعاملات السائدة بين أعضاء الأسرة بمحبتهم لله وللفضيلة ، وبشكرهم له سبحانه وتعالى على عنايته ومحبته ، فيقلدهم وينهج نهجهم ، ونحذر بصفة خاصة من القول " ربنا حايوديك النار !! " مما يتنافى تنافياً مطلقاً مع من قال " دعوا الأولاد يأتون إلىّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات " . كذلك نحذر الآباء والأمهات من الشجار أو الخلاف أمام أولادهم خاصة فى هذه المرحلة فقد تخرج كلمات جارحة ، أو عبارات ماسة قد تزعزع احترام الأطفال لوالديهم ، وقد تحتاج إلى وقت طويل لإصلاح آثارها . يجب أن يكون للكبار مجالهم وأمكنتهم ، بل وأوقاتهم الخاصة

التى يتحدثون فيها معاً فى أمورهم بحرية دون أن يسمع الصغار حتى لا يكتسب الطفل اتجاه العنف وحب النزاع .

ونحب أن نلفت نظر الآباء والمربين أننا يجب أن ندرّب الطفل فى هذه المرحلة على الخدمة العملية ، فيذهب بنفسه مثلاً إلى بعض العائلات الفقيرة لتقديم الخدمات لها ، أو أن يهيئ له معسكرات للتدريب فيها على الخدمة التعاونية ، وعلى مبادلة أترابه الخدمة والعمل النافع الذى يؤدى إلى فائدة المجموع ، خاصة وأن نفسية الطفل فى هذه المرحلة تميل إلى الولاء للأسر المدرسية وجماعاته النشاط سواء فى المدرسة أو الكنيسة .

ولما كان غرض التربية الدينية فى هذه المرحلة تنمية اتجاه الإعجاب بالأمور السامية المقدسة وتنمية عادة حب الخير وكراهية الشر وتفتح بذور الإيمان بالمعرفة وممارسة وسائط النعمة وجب إذاً ملاحظة ما يلى :

١ـ تنمية الإعجاب بالبطولات الإيمانية مستمدة من الكتاب المقدس وسير القديسين .

٢ـ إبراز هذه البطولات العملية الواقعية ليقتدى بها وتوضيح كيفية تطبيقها فى الحياة العملية حيث أن الفتى هنا واقعى لا يميل للخيال .

٣ـ وإذ يتسم الشعور الدينى بالمنفعة وجب أن يوجه إلى الإفادة من مواعيد الله الروحية ، ورفع مستوى الطلبة من الجسديات إلى الروحيات .

٤ـ ولأن الفتى اجتماعى وجب العناية بألوان النشاط الاجتماعى من رحلات وحفلات ومعسكرات وأندية على أن تسوده روح المحبة والألفة والعفة والنظام، وهنا تبرز أهمية القيادة الروحية .

٥- على الخادم أن يشجع تلاميذه على قراءة الكتب والمجلات الدينية الواعية . إن تعود قراءة الكتاب المقدس والمجلات الدينية من شأنه أن يوسع أفقه وينمى معارفه ويقوى إيمانه ويزيده بصيرة واستنارة .

٦- للفتيان بعض المشكلات مثل السرقة والكذب والشتيمة والعصيان والغيرة والتدمير والغضب ، وهذه لا تعالجها إلا الأجواء الروحية بالمنزل والرعاية الأمينة من الكنيسة ومدارس التربية الكنسية . ولذلك فإن تقوية العلاقة بين الفتى والسيد المسيح تجعله حريصاً على عدم إغضاب مخلصه ، ومن هنا تحل جميع المشكلات .

اتجاهات منهج هذه المرحلة

الهدف : أن يحس الطفل بمحبة الله له .

الأسس العامة فى خدمة الطفولة :

- أن يكون المدرس محباً عطوفاً ، وخاصة نحو الأطفال .
- أن يكون المنهج مرناً ولا يشترط وضع قصة معينة لازمة المدرس .
- أن يكون المدرس مقتنعاً بأهمية عمل الله فى القلب .
- أن يكون المدرس أميناً فى شرح القصة كما جاءت فى الكتاب المقدس ، ويترك الكلمة تتفاعل مع نفسية الطفل ، ثم يدع فرصة للأطفال أن يعبروا عما حدث فى نفوسهم فيبرزوا عواطفهم وخيالهم الواسع فى تقدير ما سمعوه .
- توجيه المنهج للتلميذ على أن كل عمل صالح هو ثمرة وجود الله فينا ، وكل عمل شرير ثمرة ابتعادنا عنه .
- الجو العام والنشاط العملى يجب أن يدور حول هذا الهدف ، وهو تلامس قلب الطفل مع الحب الإلهى .

الاتجاهات المطلوبة فى هذه المرحلة

١- **بالنسبة لله** : الإحساس بمحبة الله وتقديرها ، الثقة فى قدرة الله وقوته ، تقدير عناية الله ، الحرص على عدم إغضاب الله بعمل الشر ، الإحساس ببركات إرضاء الله .

٢ـ **بالنسبة للكنيسة :** الشعور بحضور الله فى الكنيسة ، وحب العبادة فيها ، تقدير فائدة بيت الله لحياته الخاصة ، الإخلاص لها وخدمتها واحترام الكهنة .

٣ـ **بالنسبة للأسرة :** اختبار محبة الله فى محبة الوالدين وأعضاء الأسر .

٤ـ **بالنسبة للمجتمع :** النظرة إلى الأسرة ككنيسة صغيرة ، حب أفراد المجتمع على أساس أنهم خليقة الله وأن الله يحبهم .

العادات المطلوبة

١ـ **بالنسبة لله :** الصلاة الفردية ، تمجيد اسم الله وذكر اسمه بمخافة (له المجد ـ تبارك اسمه) .. وهذا علاج للحلفان ، الشكر فى كل حين .

٢ـ **بالنسبة للكنيسة:** تقديس يوم الرب ، العطاء فى الكنيسة ، السجود أمام الهيكل، حفظ الألحان والمردات المناسبة ، الانتظام فى مدارس التربية الكنسية الأرثوذكسية .

٣ـ ألفاظ التوقير والخضوع للوالدين والكبار كدلالة خضوع وحب للرب ، احترام نظام البيت ، وهذه التداريب لم يفرد لها دروس كثيرة وإنما يفضل أن تكون ممارسات عملية فى جو البيت والكنيسة تحت إشراف وتوجيه الوالدين والكنيسة .

الوحدات التى يجب أن يعالجها المنهج

وحدة بنوتنا لله ، وحدة محبة الله لنا ، وحدة محبتنا لله ، وحدة قدرة الله وقوته ، وحدة مخافة الله وإرضائه ، وحدة محبة الله فى كنيسته ، وحدة محبة الله فى الأسرة ، وحدة محبة الله بين الناس .

ألوان النشاط المقترحة لهذه المرحلة

- شرح قصص من الكتاب المقدس تخدم هذه الوحدات .
- تهيئة فرص لهم للتعبير عن هذه القصص بالكلام والرسم والصور التى يكلمونها ويلونونها .

- الأناشيد والتراتيل والأوبريتات الدينيـــة المفرحـــة .
- الصلاة من أجل المرضى والمحتاجين وزيارتهم وتقديـــم المســـاعدة لـــهم .
- الرحلات إلى الخلاء للتأمل فى جمـــال الطبيعـــة وتســـبيح الله .
- الحفلات بمناسبة الأعياد السيدية وأعيـــاد القديســـين .

المرحلة الثانية من سن ٩ إلى سن ١٤

محور المنهج : الإيمان العـــامل بالمحبـــة .

الهدف : تقوية علاقة الفتى بالله وتنمية الإيمان الـــذى فيـــه .

الاتجاهات المطلوبة فى هذه المرحلة

١ــ بالنســبة لله

- السعادة الحقيقية الكائنة فى عبادتنا لله (لذة الـــتراتيل والتســـبيح ــ القـــداس ــ قـــراءة الكتاب المقـــدس) .
- كره الخطية واحتقارها لأنها السبب الأساسى لكل شـــقاء ، فـــهى تفصلنـــا عـــن محبـــة المسيح . وهذا الاتجاه يعالج المشاكل ســـابقة الذكـــر .
- محبة الله هى أن نعمل وصايـــاه .

٢ــ بالنسبة للكنيســـة

- الاستفادة من وسائط النعمة التى تقدمها الكنيسة .
- فهم طقوس الكنيسة واستخدامها لتنشيط عبادته .
- الرابطة التى تضمه مع كل فرد فى الكنيسة (فصلـــه فـــى مـــدارس التربيـــة الكنســـية الأرثوذكسية أثناء القداس . اشتراكه فـــى العبـــادة) ، وهـــذه هـــى البـــذور الأولـــى لرسالة العضوية الكنســـية .

٣ــ بالنسبة للأســـرة

- الاشتراك مع الأسرة فى عبـــادة الله .
- اعتبار البيت مجاله الأول لتطبيق وصايا وتحقيق بطولاتـــه الروحيـــة فيـــه .

٤ـ بالنسبة للمجتمـــع

- ❖ محبة غير المسيحيين ومقابلة الإســـاءة بالإحســـان .
- ❖ تحقيق البطولات الروحية بالخدمـــة والتضحيـــة .
- ❖ ضبط النفس عن العلاقات الضـــارة .

العادات المطلوب تكوينها بالتداريب الروحية

- ❖ الصلاة الفردية بفهم (قطع من الأجبية) .. السجود لله فى صلاته الفردية .
- ❖ الصلاة قبل الأكل وقبل المذاكرة وطلب معونة الله فى كل عمل .
- ❖ دراسة الكتاب المقدس بانتظام ومثابرة .
- ❖ رسم الصليب فى أوقات متقاربة .
- ❖ تقديس يوم الرب " القداس ــ مدارس التربية الكنسية " .
- ❖ حضور القداس فى أيام الأعياد السيدية كلما أمكن ذلك .
- ❖ العطاء فى الكنيسة .
- ❖ السجود أمام الهيكل .
- ❖ الاشتراك فى العبادة الجمهورية بحفظ الألحان والمردات .
- ❖ ألفاظ التوقير للوالدين والأخوة الكبار .
- ❖ احترام نظام البيت .
- ❖ المساعدة فى الخدمة فى البيت .
- ❖ التراتيل والصلاة مع الأسرة .
- ❖ حفظ المواعيد .
- ❖ الإحسان .
- ❖ المذاكرة والاجتهاد .
- ❖ الصدق .
- ❖ كلمات اللطف .

التعاون .

لاحظة هامة تتعلق بالتداريب

يجب أن تطبع التداريب بطابع روحى بحيث يحس أن كل نجاح مرجعه عمل روح القدس ، وأن كل إخفاق مرجعه الابتعاد عن عمل النعمة .

كما يجب ملاحظة أن دروساً كثيرة فى هذه المرحلة مكررة ، وقد سبق أن ت فى المرحلة السابقة وهذا لا يضر هذه الدروس بل على العكس يدعمها إذا تطاع المدرس أن يفهم أن المرحلة الأولى ينظر فيها من زاوية محبة الله للبشر عنايته بهم .

أما فى هذه المرحلة الثانية فيهمنا إبراز قوة الإيمان وفاعليته والثقة فى واعيد الله ، وبذلك يكون تدريس قصص العهد القديم فى هذه المرحلة من زاوية تلف عن زاوية المرحلة السابقة .

أما الدروس الاجتماعية فيجب أن يرتفع مستواها عن المرحلة السابقة بحيث تكون وصايا ونواهى بل تفهم لجمال الوصايا الإلهية فى الحياة الاجتماعية وأثر خضوع لهذه الوصايا فى حياتنا الداخلية وحياتنا الاجتماعية .

وان النشاط

ـ دراسة كنيسة المنطقة ومعالمها الدينية دراسة عملية " تاريخها .. تاريخ قديسها .. طقس بنائها " .

ـ خدمة الأخوة الفقراء ابتداء بخدم الكنيسة تحت إشراف المدرس .

ـ تبادل الزيارات بين الفصول فى الفرع الواحد والفروع المتاخمة إن أمكن ذلك .

ـ الرحلات والحفلات والنداوت والأندية وكافة ألوان النشاط الاجتماعى والثقافى تناسب الميل الاجتماعى تماماً ولكن تحتاج إلى توجيه وإشراف روحى قوى .

ـ دراسة الكتاب المقدس بطريقة مشوقة .

٤ــ مرحلة المراهقة

كان يوجد فى الكنيسة طقس يختص بهذه المرحلة ولكنه اختفى منذ مدة غير قصيرة . ويتلخص هذا الطقس فى أن الإشبين المتولى رعاية الطفل روحياً تنتهى خدمته ورعايته عندما يبلغ الفتى أو الفتاة سن المراهقة فيحضر الإشبين ومعه المراهق ليقدمه لأب الاعتراف (الشيخ) المؤتمن فى الكنيسة . وفى هذا الانتقال يسعى أب الاعتراف إلى أن يتأكد من أن ابنه يسير فى الطريق الروحانى وأنه قد اختبر حياة التوبة ويحياها .

وتعتبر هذه الفترة مرحلة انتقال بين الطفولة والرجولة ، وفترات الانتقال حرجة وصعبة للغاية ، ففيها تحدث تغيرات جسمية ونفسية كثيراً ما تغير الشخصية تغيراً كاملاً .

ويضاف إلى هذه التغيرات أن المراهق لا يستطيع التغلب على مشكلاته بسهولة ، ويسر لسوء المعاملة المنزلية والمدرسية وتأخر أساليب التربية التى تساعده على حسن التكيف .

ومما يزيد المرحلة تعقداً أن مرحلة المراهقة تبدأ فى بلادنا مبكرة عند الجنسين ، وسن الزواج أصبح متأخراً لتعقد الحضارة الأمر الذى أطال فى مرحلة عدم استغلال الطاقة الجنسية فى وضعها العادى وهو الزواج.

فى هذه الفترة يتأرجح المراهق بين أن يميل لأن يكون رجلاً يتحمل المسئولية ويعامل معاملة الرجال ، وبين أن يكون طفلاً مدللاً ويتمتع بميزات الطفولة ونعومة حياتها . إنه يتأرجح بين أن يكون متفائلاً وديعاً مطيعاً محباً للكبار وبين أن يكون عنيداً متكبراً لا يحترم السلطة ، ويتأرجح أيضاً بين أن يكون سعيداً مرحاً ، وبين أن يكون متشائماً حزيناً قلقاً على مستقبله وحياته وحياة من معه .

وهكذا نلمس حقيقة أن نسبة كبيرة من المراهقين يعيشون فى دوامة عنيفة ومن ثم فهم فى أشد الحاجة إلى المرشدين الروحيين الذين يأخذون بأيديهم ليخلصوهم من أزمات هذه المرحلة .

لذلك تعتبر فترة المراهقة فى نظر الكنيسة كما فى اعتبار رجال التربية وعلم النفس من أهم المراحل فى حياة الإنسان . إذ فيها يتحدد الطريق الذى يسيره الشاب فيما بعد .

ولما كانت هناك قوى ضارة مؤثرة على شخصية المراهق وحياته الروحية فى مجتمعنا مثل وسائل الإعلام المختلفة والأصدقاء والمدارس ، لزم أن نلفت أنظار المربين الروحيين إلى ضرورة العناية بحياة المراهقين والمراهقات حتى يتخلصوا من متاعبهم النفسية ويحددوا طريقهم ويجمعوا إرادتهم على السير فى الطريق الروحانى .

ولكى نعالج هذه المرحلة معالجة سليمة يلزم أن نتكلم عن التغيرات الجسمية والنفسية والاجتماعية التى تحدث فى هذه المرحلة لنرى الأسس التى تقوم عليها الخدمة والرعاية الروحية .

التغيرات البدنية

فى هذا الدور ينمو الجسم نمواً سريعاً فتصبح حركات الأطراف كالأيدى والأرجل غير متناسقة وغير متزنة ، كما تنمو الأطراف نمواً لا يتناسب مع طول الجسم ونموه ، ويصحب طول العظام تغير فى تركيبها كلما تقدم الفرد فى السن ، ويبدو صوت الفتى غريباً فهو تارة خشناً وتارة رفيعاً ، وقد يتعاقب الصوتان فى لفظة واحدة لأن المراهق لا يستطيع أن يتحكّم فى الجهاز الصوتى . وتزداد الشهية للطعام أحياناً إلى درجة غير عادية . وربما كان أظهر مميزات البلوغ عند البنات الحيض ونمو الثديين وظهور الشعر تحت الإبطين وبالقرب من الأعضاء الجنسية . وأظهر مميزات البلوغ عند البنين نمو الشعر على الشفة العليا وحول الأعضاء التناسلية وتحت الإبطين وتضخم صوت الولد . كما أن النمو فى الأجهزة الداخلية والغدد الصماء ينشط بدرجة كبيرة ، وتكاد تتلاشى الغدة التكفية التى كانت موجودة أيام الطفولة فى حين أن الغدة الدرقية التى فى أسفل الرقبة تزداد حجماً .

أما الغدد الجنسية فتبدأ عملها لأول مرة في دور المراهقة ، إذ تنمو الأعضاء الجنسية وتظهر إفرازاتها مما يُحدث أحياناً بعض الارتباك .

التغيرات العقلية

يتضح في دور المراهقة نمو في القوى العقلية كالاستدلال والنقد والفهم والذاكرة والانتباه . كما تزداد الحواس دقة وإرهاقاً كاللمس والذوق والسمع .

وتمتاز هذه المرحلة بظهور القدرات الخاصة كالقدرات العقلية التفكيرية ، والقدرات الحركية ، واليدوية مما يحتم على المدرسة تهيئة الفرص لنمو كل فرد داخل إطار قدراته واستعداداته ومواهبه .

وتزداد قدرة المراهق على القيام بالعمليات العقلية المختلفة .. كالانتباه لوقت طويل ، والربط ، والاستنتاج ، كما يتسع مجال الخيال فنرى المراهق يتجه إلى الشعر أو الموسيقى أو الرسم ، حيث يجد في الفن إشباعاً طبيعياً لخياله المتسع . على أن هذا الخيال وإن اتسع إلا أنه يتخذ أحياناً صبغة فلسفية فيذهب إلى بحث الأصول الأولى للأشياء والظواهر الطبيعية المختلفة ، ويجري وراء أسرار الحياة وعللها . أي أنه ينتقل من مجال الخبرات المادية المحسوسة ، التي رأينا أن طفل الثامنة والعاشرة يتميز بها ، منطلقاً إلى ما وراء هذا العالم المرئي .

ويمكن للمربي أن يدرب المراهق على النقد ، وعلى تمييز الاتجاهات والآراء الصائبة من الخاطئة ، ولعل أرقى درجات هذه الظاهرة أن يعرف المراهق .. بمرور الوقت .. كيف ينقد ذاته دون شعور باليأس أو الفشل أو إغراق في الغرور والتصلف ، وعندئذ يتسم تفكيره بالاتزان والنضج .

التغيرات الانفعالية

تمتاز هذه المرحلة بتغيرات وجدانية لعل أهمها نمو الشعور بالذات والاهتمام بمركز الفرد كعضو في الهيئة الاجتماعية ، وكذا نمو الميل نحو الجنس الآخر . ومما هو جدير بالذكر أن كثيراً من الفتيان أو الفتيات في هذا الدور أو على الأقل

فى مبدئه يقعون فى حب من هم أكبر منهم سناً ، وهذه حلقة فى تطويل الحب الذى كان فى السابق متعلقاً بالأب والأم ، فيحب الفتى الناشئ معلمته مثلاً التى تكون أكبر منه سناً ويكون الحب عندئذ مختلطاً بشئ من الإعجاب ، وخيالياً أكثر منه عملياً . وهو نوع من الهيام بالصفات الحسنة والمُثل العليا .

ومما هو جدير بالملاحظة أن الخوض فى المسائل الجنسية مع البالغين الحديثى البلوغ يحدث اشمئزازاً أو ضجراً لديهم أو لديهن فهو كالهبوط من حلم جديد إلى أدناس الحياة العملية الحقيقية التى ليس للخيال أو الأحلام مجال متسع فيها وهذا هو تفسير إعراض الفتاة عن الزواج فى السنين الأولى من هذا الدور .. وتتضح فى هذا الدور ظاهرة جديدة .. وهى الميل إلى اتخاذ أصدقاء أخصاء ، وكثيراً ما يكونون أصدقاء الحياة . ويظهر عند المراهقين حماس جديد وحب فائق لعظماء الرجال والأبطال الذين يمجدونهم تمجيداً يكاد يشبه العبادة . ويترتب على اهتمام الفتى بالأمور الاجتماعية أن يبدأ يفكر فى مركزه بالنسبة لغيره من أفراد الهيئة الاجتماعية فيقوده هذا إلى التفكير فى مستقبله وفى المهنة التى سيتخذها لنفسه.

وإذا كنا نريد أن نفهم الحياة الانفعالية فى فترة المراهقة فنحن يمكننا أن نبسطها فى توضيح أهم ميول المراهق ..

أ- الميل الجنسى:

يميل المراهق إلى الجنس الآخر ويقابل هذا الميل إعراض كبير من المجتمع مما يزيد المراهق ميلاً إلى معرفة كل شئ يتعلق بالجنس ، ونظراً لأن التربية الجنسية عندنا سيئة فنحن نلاحظ أن الدافع الجنسى يسبب كثيراً من المتاعب عند المراهقين إذ يصحب ظهور الصفات الجنسية حيرة وحرجاً عند المراهقين وكثيراً من نوبات تغير المزاج والاكتئاب . وهذا الدافع الجنسى ليس شراً وإنما هو غريزة طبيعية وضعها الله لنمو البشرية وبقاء النوع ولكن الشر كل الشر استغلاله فى

أساليب إشباعية منحرفة كالجنسية المثلية والعادة السرية والزنا . وقد أجمع كل علماء النفس على أن هذه الأساليب كثيراً ما تعيق النمو الجنسي وتؤدى إلى حياة زوجية فاشلة .

ومهمة الوالد وخادم مدارس التربية الكنسية أن يعبر بالمراهق في هذه الفترة ويمسك بيده ويبصره بالأمور الخطيرة التي لا يصح أن يرتكبها ، ويجيب على أسئلته في حب وصراحة وإخلاص وعطف ، ومهمة الوالدين والمدرسين ورجال الدين كبيرة وخطيرة في التربية الجنسية في هذه المرحلة إذ يجب عليهم أن يزيدوا المراهق علماً بالمعلومات الجنسية السابقة ، ويوضحوا له أشياء عن الوراثة والاستمناء والأمراض التناسلية والعلاقات السليمة بين الفتى والفتاة ، ويوجهون المراهق إلى ممارسة الألعاب الرياضية العنيفة والهوايات الابتكارية مثل الصناعات الكيماوية والكهربية واللاسلكي والطيران والآلة الكاتبة والتحنيط والنجارة والحدادة. والعمل على ضمه إلى مؤسسات اجتماعية نقية ليتفاعل معها تفاعلاً سليماً ، ويحسن اختيار أصدقائه وقراءاته .

ويهمنا أن تتكون عند المراهق اتجاهات تقدير الجنس الآخر والاشمئزاز من البذاءة والقبح ، واعتبار الأمور الجنسية عادية غير قذرة ويؤمن بأن طاقته الجنسية يجب أن يصبها في ألوان النشاط الحر الابتكاري الذى استخدمه هواية له . وهذا الموضوع سنتوسع فيه كثيراً عند حديثنا عن التربية الجنسية .

٧- الميل الاجتماعي :

يميل المراهق في هذه المرحلة إلى تكوين علاقات اجتماعية وصداقات كثيرة ، ويعجب جداً بأصدقائه ويفضلهم أحياناً على أهل بيته ويخلص لهم أحياناً أكثر مما يخلص لأهل بيته ، وهو يرغب بحماس في أن ينسجم مع مجموعة من الآخرين للعب معهم في فريق واحد ، وليس هذا بقاصر على الأولاد وإنما يتعداه إلى البنات أيضاً ، وهذا الميل يفيدنا جداً إذا أحسنا استغلاله . فمهمتنا أن نراقب

صدقاء فتانا المراهق مراقبة غير تعسفية، ونسعى لأن نجنبه الصداقات السيئة ، كما يمكننا أن نشبع هذا الميل فى تكوين الأسر فى النادى الملحق بالكنيسة ، وعن طريق ولائه للأسرة يمكنه أن يرتبط فى صداقة قوية مع فتية مهذبين .

إن كثيراً من المشاكل الجنسية تنشأ فى هذه الفترة .. فترة المراهقة الأولى .. إذا لم نراقب عن بُعد هذه الصداقات لأنها كثيراً ما تنقلب إلى صداقات سيئة يفسدها عضو فى هذه المجموعة ويقودها إلى الشذوذ الجنسى أو الزنا أو الإدمان على قراءة الروايات الرخيصة أو الإدمان على التحدث أحاديث جنسية منحطة على قارعة الطريق وناصية الشوارع . يجب أن يكون لكل فتى أصدقاء ، كون علاقات صداقة معهم منذ المرحلة السابقة ، وروعيت الدقة فى اختيار نوع الصديق . ونقترح بعض الصفات الواجب مراعاتها فى الأصدقاء المقربين لفتانا فى هذه المرحلة .

١- أن يكون من عائلة تقدّر القيم وتراعى الأخلاق فى حياتها العملية .

٢- أن يكون فى نفس سن المراهق تقريباً حتى لا يكون أكبر منه ، مختبراً أموراً جنسية منحرفة فيلقنه إياها .

٣- أن يكون فتى مهتماً بدراسته ، ناجحاً فى حياته الدراسية والاجتماعية .

٤- أن يكون فتى غير عدوانى ولا منغلق بل متزناً نفسياً .

٥- أن يكون فتى مهذباً فى ألفاظه لا يميل إلى العنف أو الكبرياء أو الغطرسة .

وليس معنى هذا أن المراهق لن يقابله زملاء أشرار بل سيمر عليه الصالح والطالح ، ولكن مهمة المربى أن يكسب صداقة المراهق حتى إذا ما مرت على فتانا أية صداقة سيئة يسرع إلى المربى يأخذ رأيه فى نوع العلاقة الجديد الذى يمر به ، وسيعتز برأيه فى مدى الخبرات التى تعرض عليه .

ـ الميل إلى أن يعامل معاملة الكبار :

يميل إلى تحمل المسئولية وإظهار الذات فى المجتمعات والهيئات .. يميل إلى أن يُعامل معاملة السيد لا معاملة العبد المأمور ، فيكره الأوامر والرئاسة والتكبر ،

خاصة إذا كانت من أصحاب السلطات ، وقد يقبلها أحياناً عن رضى إن كانت من أصدقاء زملاء له ، وهذه إحدى نواحى نجاح نظام الحكم الذاتى فى المدارس والأندية وهيئات الشباب .

تؤسره المعاملة الحسنة خاصة إن كانت من مدرس أو والد حتى أنه أحياناً يستعبد له استعباداً ، وقد تصل به درجة الحب لمن يعامله حسناً إلى الافتتان به .

هذه مهمتنا إذاً نحن الآباء والخدام فى مدارس التربية الكنسية أن نلقى على المراهقين مسئوليات ، سواء فى المنزل أو مدرسة التربية الكنسية لندربهم على تحمل المسئوليات ، على أن يكون ذلك تحت إشراف غير مباشر حتى لا يفشل المراهق ويكره هذه المسئوليات .

٤ـ الميل إلى الاستطلاع والكشف :

يميل المراهق إلى أن يكتشف كل شئ بنفسه فهو يميل إلى إجراء التجارب العملية بنفسه ويستطلع الأشياء المجهولة بنفسه ، ولذا نراه مغرماً بسماع أخبار الرحالة والمستكشفين والعلماء والمخترعين والمخاطرين ، كما يغرم بالمشكلات السياسية وأخبار الرياضة وما يتعلق بالمعلومات العامة .

ويمكننا أن نغير من حسن استغلال هذه الميل بتدريب المراهق على الكشف والبحث العلمى ، وذلك عن طريق تشجيع التلاميذ على معالجة المشكلات وعدم كبت أسئلتهم .. كما أن المكتبة فى المدرسة والبيت ومدرسة التربية الكنسية ميدان جميل لإشباع هذا الميل .

٥- الميل نحو نفسه :

نلاحظ هنا أن المراهق شديد الحساسية للنقد وينتقد نفسه بمنتهى الشدة والعنف .

وكثيراً ما ينتقد المراهق أعماله.وإنتاجه مما يؤدى إلى الضعف التام . فهو يحتاج إلى مَن يأخذ بيده ويشجعه على كل ما يقدمه ، ويذكر الأشياء الحسنة ، أما الأشياء السلبية فيظهرها له فى شكل لطيف ليفيد منها فى بناء نفسه بناء سليماً .

وتظهر أهمية الوالد ومدرس مدارس التربية الكنسية في هذه المرحلة فالمربى الذى تعود أن ينتقد المراهق أمام الضيوف والكبار ، وينزل عليه اللوائم باستمرار لا يمكن أن يكسب صداقته ، ومن ثم لا يستطيع أن يغيره إطلاقاً . وأفضل من النقد العلنى العتاب الشخصى المشوب بروح العطف والصداقة .

٦- الميل نحو المرح :

فبالرغم من وجود القلق أحياناً فى داخل نفسية المراهق إلا أنه يظهر ميلاً واضحاً وهو الرغبة فى المرح والمزاح والانبساط والجو الاجتماعى الذى يسوده هذا النمط مثل الحفلات العامة وحفلات عيد الميلاد واجتماعات الأصدقاء ورحلاتهم . ويمكننا أن نولج هذا الميل داخل الميل الاجتماعى ، ولكننا آثرنا أن نفرد له جانباً حتى نتبين أهميته ، وعلى ذلك يجب على مدرس الشبان أن يكون متفائلاً ، ميالاً إلى الجو الاجتماعى والانبساطى ، ويشيع فى تلاميذه هذه الميول ، على ألا يسمح لهذه الأجواء أن تتطرف فتشمل الفكاهات القبيحة ، ولا التهكم على الآخرين ، أو مغازلة الجنس الآخر إطلاقاً .

٧- الميل إلى التمرد والنقد والرغبة فى الإصلاح :

التمرد على كل لون من ألوان السلطة لأنه يشعر أن فى هذا تأكيداً لذاتيته .. تمرد على الدين والمجتمع والمدرسة والأسرة التى كان يخضع لها فى طفولته المبكرة والمتأخرة خضوعاً تاماً .

ومن الشائع فى دور المراهقة أن تجد المراهق يبحث فى أخطاء الآخرين مع ميله إلى نقد تصرفات الغير ، ويكون هذا النقد فى بعض الأحيان مصحوباً باقتراحات عملية فى الإصلاح ، ولا يقتصر هذا الميل على جماعة معينة من الناس ، بل نجد أن روح النقد شاملة فهى توجه ضد الأسرة والمدرسة والمجتمع بصفة عامة .

ولاشك أن عدم رضاء المراهق على النظم السائدة يسبب له شيئاً من القلق كما يدعوه أحياناً إلى القيام بدور إيجابى فى مساعدة الآخرين إذ يشعر بشعورهم

ويتألم لآلامهم ، وهذا الشعور يدفعه إلى الاشتراك فى أعمال البر والخدمات الاجتماعية المختلفة إذ كثيراً ما يكون هذا الإسهام مشبعاً لذاتيته ومحققاً لها .

٨- الميل إلى الإعجاب ببطل واتخاذه مثلاً أعلى :

يتلمس له بطلاً يترسم فيه الصفات التى يحبها .. وإذا ما حصل على طلبه سواء من الأشخاص المحيطين به أو من الذين يقرأ عنهم فإنه يحبه ويهيم به بدرجة عجيبة .

هذه فرصة سانحة لنا فى التربية الدينية أن نقدم له نماذجاً حية طيبة وقدوات صالحة فى أشخاص المربين ، وفى سير القديسين الذين يقرأ عنهم ليعيش فى جوهم المقدس ويعجب ببطولاتهم الروحية .

مهمتنا أن ننقل اهتمامه من البطولة الجسدية إلى البطولة الروحية ، لأن العالم كثيراً ما يقدم لنا بطولات فى الدناءة والخطيئة يجب أن نجنبه إياها .

ويجب أن نلاحظ أن هذه الميول لكلا الجنسين معاً البنين والبنات سوياً وأن ما يعتمل فى نفسية المراهق يحدث تماماً لنفسية الفتاة دون اختلاف كبير من الناحية النفسية .

مشكلات المراهقة ووسائل علاجها

أولاً : مشكلة التمرد

نفسر هذه المشكلة بلون من ألوان الصراع بين اعتزاز المراهق بذاته وبين ميله للخضوع للمجتمع .. وتظهر هذه المشكلة واضحة فى تمرد المراهق على أسرته وعلى مدرسيه ومدرسته ، وعلى السلطة القائمة فى المجتمع فى شكل إضرابات وخلافه . وتمرد المراهق على أسرته له مظاهره وأسبابه وطرق علاجه.

أما مظاهر هذا التمرد فهى

- رفض نوع السيطرة والتسلط والإشراف من الوالدين والرغبة فى التحرر منه .
- رفض آراء خاصة على الجو المنزلى فى طريقة الحياة والمأكل والملبس .
- رفض سماع نصائح الوالدين فيما يتعلق بالأصدقاء والاستذكار .

- رفض ألوان العطف والتدليل من الأسرة له ، والتحرر من الروابط الوجدانية القديمة التى تفرض عليه أن يكون تابعاً للوالدين .
- الانسحاب من ألوان النشاط والانطواء إذا ما كانت الظروف المنزلية لا تسمح له إظهار تحرره .

أسباب هذا التمرد هى

- ميل المراهق إلى الشعور بالرجولة والتحرر من الطفولة وروابطها .
- ميل المراهق إلى معاملته كرجل حر يختار ما يريد .
- سوء معاملة المنزل ، فكثيراً ما تكون تدليلاً ودلعاً ، أو قسوة وشدة صارمة ، أو تأرجحاً بين هذه وتلك .

وسائل العلاج

- حُسن المعاملة وهى التى ذكرناها سابقاً " المعاملة الثابتة المتزنة " .
- أسلوب الاستقلال فى معاملة الابن فلا تدخل فى كليات وجزئيات حياته ، بل إعطاؤه فرصة لإظهار شخصيته فى ترتيب حجرته مثلاً .. فى اقتناء الكتب الصالحة التى يرغبها .. فى اختيار الأصدقاء المهذبين .. فى اختيار البدلة والحذاء الذى يروق له وهكذا .
- الابتعاد عن الشدة والعقاب إذا وجد المربى من المراهق ضيقاً نفسياً أو تبرماً ، والانتظار حتى تهدأ العاصفة ومعاتبته بهدوء حتى يعود له اتزانه واستقراره النفسى ، فقد ثبت أن الآباء الذين يصادقون أبناءهم يمكنهم أن يجنبوهم أزماتهم النفسية .
- تدريب المراهق من طفولته على احترام والديه ، لا عن خوف ، بل عن حب وإيمان باحترامهما له احتراماً تاماً .
- عدم التدخل فى نوع المهنة أو التخصص الذى يختاره .

❖ بل يحسن الإفادة من اختبارات الذكاء ، والمقاييس المهنية ، والاعتماد على رغبته وميوله وقدراته الخاصة .

ويمكننا أن نلخص القول أن المنزل المسيحى الحقيقى الذى يحوى والدين تقيين يكونان قدوة صالحة فى السلوك ، يعاملان أولادهم معاملة مسيحية نقية ، ويتفاهمان معهم بروح خالية من الغطرسة والكبرياء .

هذا الجو هو القادر أن يخلص المراهقين من متاعبهم النفسية وأزماتهم الداخلية فى هذه المرحلة .

التمرد على المدرسة

يعتبر التمرد على المدرسة امتداداً على الأسرة ، لأن سلطة المدرسة امتداد لسلطة الأسرة .

وكثيراً ما تكون سلطة المدرسة استبدادية تكبت جميع الميول والرغبات ، وتقتل كافة المواهب والقدرات ، ولا تحقق أدنى إشباع للحاجات النفسية مما تجعل المدرسة تظهر للمراهق كسجن .

وكثيراً ما تكون المناهج ونوع الدروس التى تقدم للمراهق بعيدة عن ميوله مما يجعله يسأم منها ويثور عليها وخاصة إذا كان المدرسون دكتاتوريين فى معاملتهم ، غير عطوفين على ظروفه النفسية .

ويظهر التمرد على المدرسة فى شكل التأخير المستمر أو التغيب أو التزويغ من الحصص أو الإضرابات والاحتجاجات ، أو على الأقل عدم أداء الواجبات المدرسية .

ويخفف من مرارة هذا التمرد حب المراهق لمدرسته لأنه يجد فيها إشباعاً لبعض ميوله التى سبق أن ذكرت .. كالميل الاجتماعى وتكوين الصداقات ، ووجود البطل الذى يحبه ويتخذه له مثلاً أعلى .

ويمكن علاج التمرد بالوسائل الآتية :

١ــ إشعار التلميذ بأن المدرسة مدرسته ، وذلك عن طريق الحكم الذاتى ، أعنى أن يشرف التلاميذ بأنفسهم على مدرستهم من حيث المرافق وتعديل المناهج ومعاقبة المفسدين .. الخ .

٢ــ حسن معاملة المدرسين للتلاميذ وعلاج مشكلاتهم بصبر وطول أناة .

٣ــ حسن اختيار المواد الدراسية التى تتلاءم وميول المراهق .

٤ــ دراسة حالات التأخر والغياب والتزويغ من حيث الظروف المنزلية والصحية والمشكلات النفسية عن طريق الأخصائى الاجتماعى .

التمرد على المجتمع

وهذا النوع من التمرد يظهر فى نهاية فترة المراهقة حين يبلغ المراهق قسطاً كبيراً من الثقافة وسعة الاطلاع تمكنه من التمرد على نظم المجتمع ويكون قد كوّن صداقاته مع الغير واستطاع عن طريقها معرفة خبرات مختلفة مما يزيد خبراته اتساعاً . وكثيراً ما يكون سبب سخط المراهق على المجتمع مثاليته الممعنة فى المثالية ، وتصوره أحوال مجتمعة نموذجية حتى إذا أحتك بالناس بدت أمامه الحياة غير جديرة بالاحترام .. وكثيراً ما يكون سبب تمرده إصابته بفاجعة أو حادث أليم أو خبرة سيئة فى علاقة فتاة أحلامه أو البطل الذى يحبه كثيراً .. وشعور المراهق بأن المجتمع ضده شعور خطير يجب أن يعالج بأن يجد أمامه المرشد الذى يقنعه ويتناقش معه فى هدوء فى كافة ما يجول فى خاطره ، ومن أمثلة التمرد على المجتمع الانضمام إلى المنظمات اليسارية الهدامة أو الإلحاد باعتبار أن الدين أحد مقومات المجتمع .

ويمكن علاج هذه الناحية بأن نراقب سلوك المراهق ونبعده عن الأشخاص الهدامين المنضمين لهيئات ثورية ، وكذا نبعد عنه الكتب الهدامة ونقدم له الكتب الإيجابية ونضع أمامه المُثل العليا من الأشخاص الذين بذلوا حياتهم على مذبح التضحية لخدمة الإنسانية فيصبح إيجابياً غير سلبى . وملخص القول فى علاج هذا

الفرد بكافة وسائله أن نشعر المراهق بأنه رجل مسئول ، ونستبعد أسلوب القسوة أو الإهمال ونُرضى ميله الاجتماعى باحترام شخصيته وآرائه وعدم التهكم على أصدقائه وأهدافه ، بل نكون قدوة جميلة له فى كفاحه فى الحياة .

ثانيا : مشكلة القلق الداخلى

سبق أن ذكرنا أن فترة المراهقة .. وهى فترة انتقال بين الطفولة والرجولة . يفتعل فيها أزمات كثيرة نتيجة للتغيرات النفسية والجسمية . فالمراهق وهو فى طريقه للرجولة والنمو الكامل لا يزال يميل إلى الطفولة بحياتها الوديعة ، وبينما الدافع الجنسى يضطرم فى داخله غير أن المجتمع يخفى عنه كافة المعلومات المطلوبة عن الجنس .. وبينما يضطرم فى داخله دافع إثبات الذات والمعاملة كرجل نجد المجتمع لا يعترف بهذا فهو مازال تلميذاً ومازال يتقاضى مصروفاً ، فيجب أن يطيع كما يطيع الصغار دون أن يدرى بما حدث فى الداخل من تغيرات جوهرية .. وهكذا نجد المراهق فى دوامة انفعالية يتذبذب فيها بين الثورة والهدوء ، بين التروى والرضى عن الحياة ، بين التشاؤم والتفاؤل ، بين العزلة والحياة الاجتماعية ، بين التدين والكفر بالله ، بين الاندماج فى هيئات اجتماعية والاندماج فى منظمات ثورية يسارية ، ومهما يكن من أمر فإن أسباب هذه الأزمة معروفة وهى تتعلق بعدم قدرته على إشباع ميوله النفسية السابق ذكرها .

أبعاد المشكلة الجنسية

- ❖ البعد الجسمى البيولوجى .
- ❖ البعد النفسى والتربوى .
- ❖ البعد الاجتماعى والثقافى .
- ❖ البعد الروحى (ماهية التدين ـ المنهج الروحى السليم) .

لما كان الإنسان روحاً ونفساً وجسداً يتفاعل فى كيان واحد متكامل .

لذلك فإن قضية العفة تتعلق بروح الإنسان ، ولكنها تمس جسده ونفسه وحياته مع الآخرين أيضاً .

ويتناول هذا الفصل العوامل البيولوجية والنفسية والتربوية والاجتماعية التى تؤثر فى الإنسان الطبيعى . ثم تبرز الدراسة كيف أن الحياة الجديدة التى فى المسيح يسوع تتجاوز هذه العوامل وتتعداها بشكل يجعل حياة العفة عند الإنسان معجزة متحدية الظروف الجسمية التى تحار كعماليق من دور إلى دور ، والخبرات النفسية والتربوية التى تمثل التراث المترسب محاولاً الجذب للوراء إلى أرض العبودية ، والأجواء الاجتماعية التى تريد تصفية هذه القضية بمحاولة امتصاص شعلة العفة بالتكيف مع تيارات العالم فى شكل أو آخر تماماً كما حاول فرعون تقديم عروض كثيرة كمفاوضة مع موسى لتمييع قضية خلاص الشعب .

إن العوامل البيولوجية لها دور هام يجب أن نعالجه . كما أن العوامل النفسية والتربوية تدلى أيضاً بدلوها فى مجال القضية ، وأما المناخ الاجتماعى الذى يعيشه الإنسان فإنه يمثل تحدياً هاماً من تحديات القضية ، ولكن البعد الروحى فى حياة الإنسان هو الحل النهائى للقضية ، لأننا سبق أن قلنا إن العفة التى نبحثها هنا من الله تؤخذ ، وبالمسيح تُعاش ومجد الرب وملكوته فيها يهوّن المعاناة والجهد والصبر والاحتمال .

ا ـ البعد الجسمى البيولوجى

للجسد علاقة كبيرة بقضية العفة ، وإذا كان الرسول بولس تكلم عن الجسد فى رسائله بمعانٍ ثلاث هى اللحم والدم ، الشخصية ككل ، والإنسان العتيق ، فإننا هنا نعنى المعنى الأول فى إطار المفهوم الثالث .

فالإنسان الطبيعى تؤثر فيه المراكز العصبية العليا .. هذه التى تعتبر بمثابة القيادة العليا للتصرف فى الرغبات المختلفة .. على أن هناك مؤثرات حسية تثير فيه الرغبة الجنسية مثل الاحساسات البصرية والسمعية والشمية واللمسية .

وإذا كانت الحواس ، وخاصة العين ، هى أكبر مستقبل للإثارة ، فنحن ندرك أهمية التوجيه الروحى فى حفظ النظرات والأفكار طاهرة من كل إثارة شريرة .

وهناك عامل آخر هو الغدد الصماء التى تعمل من خلال افرازاتها المختلفة (الهرمونات) فى تناسق حلقى متبادل ، بديع ومنتظم بطريقة تلقائية تنظم فيها سائر العمليات الحيوية بالجسم ولاسيما التناسل ، فمثلاً تدفع هرمونات الغدد النخامية الغدد التناسلية على العمل فتستجيب ، وحينما تصل كمية الإفرازات التناسلية فى الدم إلى حد معين تبدأ هذه بدورها تأثيراً عكسياً على الغدة النخامية فتوقف عملها فتكف ، وبالتالى الغدد التناسلية حتى تقل الهرمونات التناسلية فى الدم عن الحد المطلوب ، فتبدأ الغدة النخامية فى العمل منبهة الغدد التناسلية لتبدأ العمل من جديد ، وهكذا تستمر الحلقة فى نظام دقيق عجيب لا يسع الإنسان أمامه إلا أن يسجد لله ممجداً الحكمة الإلهية العظيمة .

وعلى ذلك فإن أى اختلال فى هذه الهرمونات يؤثر على الحياة الجنسية تأثيراً كبيراً ويستلزم العرض على الطبيب إذا ظهرت أعراض واضحة لذلك .

ويؤثر على الجهاز العصبى أيضاً التعود ، الأمر الذى يجعل الرغبة تلقائياً ، طالما وقعت تحت سلطان العادة ، وهذا يحتاج إلى صبر وجهاد شاق حتى تبطل حركات العادة وتهدأ دموية الإنسان وتعتاد الحياة السليمة الخالية من الإثارة المستمرة .

وللطعام أيضاً تأثير على الجهاز العصبى اللاإرادى .. هذا الجهاز الذى يقوم بوظيفتين متقابلتين ، إحداهما بناءه تبنى أنسجة الجسم خلالها والأخرى إستهلاكية تستهلك المواد الغذائية ، فالوظيفة الأولى تجمع تحتها العمليات الحيوية التى تؤدى إلى هذا البناء ومنها الراحة والاستجمام وتناول الطعام وهضمه وأيضاً العملية الجنسية التناسلية . حيث أنه بها يبدأ بناء كائن حى جديد وهو جنين .. فحيث أن هذه الثلاث تخدم غرضاً واحداً هو بناء الجسم ، لذلك لا عجب أن نجد ترابطاً

وتناسقاً كبيراً بينها ، فكل عملية تؤدى إلى الاثنين الآخرين أو تمهد لهما .. فمثلاً الراحة تؤدى إلى الشعور بالجوع ، والإرهاق يفقد الشهية ، كذلك تناول الطعام يعقبه شعور بالرغبة فى الراحة . والعملية الجنسية يعقبها رغبة ملحة فى الاسترخاء ، وكذلك الراحة العميقة تسهل حدوث الرغبة الجنسية . والطعام الدسم يثير الرغبة الجنسية بينما يعقب العملية الجنسية شعور بالجوع .

ومن هنا تتضح أهمية اليقظة والاعتدال فى كل من الطعام والراحة حتى تسير نداءات الجنس فى مجراها الطبيعى الهادئ السليم .

ويليق بالذكر أن الممارسة الجنسية ليست عملية جسدية فحسب ، وإنما ترتبط بها بشدة الميول العاطفية النفسية ، لأن إشباع أحدهما لابد وأن يصحبه إشباع الآخر .. فالعلاقة الجنسية السليمة هى التى يتم فيها إشباع مزدوج للجسد والنفس . ومن هنا يتضح الفارق بين الزواج السليم والزنا الذى لا يعدو أن يكون مجرد التصاق بين الأجساد فقط . أما وإن كان هناك إشباع روحى ملازم للاتحاد الجسدى النفسى فإن الإشباع يضفى على هذا الاتحاد بذلاً وحباً وديمومة ورسوخاً .

وإذا كان القديس أكليمنضس يمتدح فى كتابه " المربى " ، التربية الرياضية لسلامة الجسد والنفس معاً تأكيداً لقول الرسول بولس أن الرياضة الجسدية نافعة لقليل ، فإننا نود أن نؤكد أن العناية بالنظافة والصحة والرياضة والوقاية من كافة الأمراض الجسيمة أمور تسهم بدور إيجابى فى قضية العفة حيث هنا يكون الإنسان الطبيعى سوياً كى يتلامس مع النعمة ليكون إنساناً جديداً فى كل شئ .

ومن أكثر الأمور الخاطئة شيوعاً أن ينظر المسيحى إلى جسده نظرة عداء أو أن يفسر كلمات الرسول عن أن الجسد يهتم ضد الروح ما يفيد أن المؤمن يجب أن يحارب جسده . ويغذى هذا الاتجاه قصص الآباء النساك الذين عاشوا يعذبون أجسادهم ، سنين طويلة .. ويلزم أن نقرر أن هناك فارقاً بين الجسد وشهوة الجسد ، فالجسد فى المسيحية هيكل للروح القدس (اكو ٦ : ١٩ ، اكو ٣ : ٦) ، وأما شهوة

الجسد فهى عمل الإنسان العتيق الفاسد الموروث من السقطة الجدية . وهذا ما يطلبه الرسول منا : أن نصلب الجسد مع الأهواء والشهوات وأن نقمعه ونستعبده لئلا نرفض (اكو ٩ : ٢٧ غل ٥ : ٢٤) ، بل أن الرسول يعطى الكرامة للجسد عندما يقول " ولكن الجسد ليس للزنا بل للرب والرب للجسد .. ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح . أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية " (اكو ٦ : ١٣) ، وقد بيّن أن الجسد هو مجال لإظهار مجد الله فيقول " لأنكم أشتريتم بثمن فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله " (اكو ٦ : ٢٠) .

لذلك يلزم أن يتأكد ويتعمق فينا الاتجاه الروحى الصحيح أن الجسد للمسيح ، وأن كل ما يطلب الرسول صلبه هو الإنسان العتيق الذى فينا .

لذلك يلزم أن تتربى فينا الاتجاهات الروحية الصحيحة إزاء الجسد ، وأن ننظر إليه بعين نيرة " إن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً " ، ويكفينا الرسول بولس مشقة تصحيح أخطاء شائعة فى التربية الجنسية عندما يعطى للأعضاء الجنسية كرامة وجمالاً إذ يقول "وأعضاء الجسد التى نحسب أنها بلا كرامة نعطيها كرامة أفضل والأعضاء القبيحة فينا لها جمال أفضل" (اكو١٢ : ٢٣).

لاشك أن حياة الإيمان السليم تكسب الإنسان اتجاهات روحية صحيحة غير منحرفة إزاء جسده ، إذ يراه هيكلاً للروح فيقوته ويهتم به ليمجد الله به وفيه وينظر إليه وإلى أعضائه فى كرامة وإجلال كبير .

البعد النفسى والتربوى

فى إطار الإنسان الطبيعى تؤثر أصول نفسية وتربوية فى حياة العفة ، فقد أوضحت الدراسات النفسية أن السنوات الخمس الأولى من حياة الإنسان هى التى تشكل جهازه النفسى وتتحكم فيه تحكماً واضحاً ، بل أن العقد النفسية التى تسبب كثرة من المتاعب النفسية والجنسية تكمن أصولها فى هذه السن المبكرة ، الأمر

الذى يلقى مسئولية كبرى على الأمهات ونوع تربيتهن لأطفالهن فى السنين الأولى من عمر الإنسان .

والمرحلة الثانية التى قد يتعرض فيها الإنسان للأزمات النفسية التى تؤثر فى حياته الجنسية ، هى مرحلة المراهقة . هذه المرحلة هى سن الغلطة والقلق . كما يشير إلى ذلك القديس أوغسطينوس فى اعترافاته حين يتكلم عن مراهقته القلقة .

فالمراهق يشعر فى قرارة نفسه برغبات غامضة توجه له نداءات قوية وخفية وهو يتذبذب بين الفرح والحزن وبين الحماس والجمود ، وبين الميل الشديد واللامبالاة . كما يتذبذب نفسياً بين الطفولة والرجولة فى عدم استقرار .

إن المراهق الذى يعذبه سر حياته الداخلية يصبح منضماً لعالم الأسرار ، ويمكن فى هذه السن أن تبزغ حياة دينية شديدة ، فالله بالنسبة للمراهق هو أعظم جواب لتعطشه للمُثل العليا ولرغبته فى النقاوة ومحبته للمطلق . إن الله هو الذى يستطيع المراهق أن يجد فيه وحده كيانه الداخلى ، وأن يفقد فيه إناه المضطربة ليلقاها ساكنة .

وتتجلى هذه الحاجة للخروج من الذات فى الميل إلى الحب ويصعد هذا الميل أثناء المراهقة من أعماق الكيان ويشترك فيه الروح والجسد وينشأ جوع عظيم إلى الحنان والبذل ويتجلى اهتمام كبير بالجنس الآخر .

وتؤكد الخبرات العملية وواقع حياتنا التخلف الكبير فى مضمار التربية الجنسية . فلا الكنيسة ولا المنزل ولا مدارس التربية الكنسية بقادرة على مواجهة قضية العفة مواجهة روحية تربوية سليمة ..

فالمنزل يلوذ دائماً بالصمت ، الأمر الذى يجعل كثرة من المراهقين يرتمون فى أحضان الشلة التى يجد فيها المراهق وسيلة للحصول على التقدير الذى حُرم منه فى المنزل والمدرسة ، أو تخلصاً من صرامة الجو المنزلى وجدبه العاطفى ، أو تحدياً لسلطة الآب وانتقاماً منه .

وإذا كنا قد ألمحنا إلى ارتباط النواحى النفسية مع الجسدية فى البعد الجسمى فهنا نشير إلى أن الحالة النفسية لها دور كبير فى إشباع الرغبة الجنسية . فالمعلوم أن الإنسان الطبيعى يلجأ إلى الرغبة الجنسية عندما يشعر بالضيق أو الملل أو بعض الحزن محاولاً بإشباعها تعويض الحالة النفسية . لذلك نستطيع أن نفسر سقوط كثير من المراهقين فى العادة السرية عندما يقعون فى تجربة فشل أو حزن شديد أو ضيق نفسى مر .

ومن هنا تظهر أهمية الحياة العائلية المبهجة وتعود الفتى على الرياضة والموسيقى والرسم والنزاهة البريئة فيتخلص من الشحنات النفسية الكئيبة التى قد يتعرض لها فى فترة من حياته .

هذا من جهة الإنسان الطبيعى . أما من جهة الإنسان الجديد فإن المسيحية تتجاوز هذه العوامل النفسية التربوية .. إن المسيحية تهب الإنسان نعمة تغلب كل التحديات النفسية والمخلفات الثقافية والتربوية . إن عطية الروح قادرة أن تهب إرادة وغلبة تغلب العالم كله .. ولو كان الوالدون وخدام الكلمة ومعلمو الدين حريصين على أن يقدموا حياتهم مُثلا حياً ، لتشرّب المراهقون هذه الحياة ولأمكن المنزل ولتمكنت الكنيسة من جذب المراهقين من الشلة الفاسدة إلى الحياة الطاهرة التى يسعى إليها كل إنسان فى أعماق كيانه .

٣ــ البعد الاجتماعى والثقافى

يشكو الشباب المسيحى من مثيرات كثيرة خارجية اجتماعية وثقافية تعطل نمو حياة العفة عندهم ، وأهم هذه المعطلات والمثيرات الخارجية هى :

١ــ ملابس الفتيات غير المحتشمة .

٢ــ بعض المناظر فى التلفزيون والسينما .

٣ــ حركات الفتيات فى الكلية وأحاديث الزملاء الجنسية .

٤ــ القراءات فى بعض الكتب أو الروايات والمجلات مما يثير الميول الجنسية .

٥- المناخ العام الذى يعيش فيه طلبة وطالبات الجامعة ، والذى يوحى بعدم تقدير العفة ، وتشجيع الإباحية والعلاقات الجنسية المنحرفة .

٦- جو فصول الدراسة فى المرحلة الثانوية ، الذى يعمل على إثارة الدافع الجنسى بشكل خطير .

٧- المصايف واستعراض الأجساد العارية حيث تبقى الصور الذهنية عالقة فترة طويلة .

من هذا العرض يتبين أن هناك ضغوطاً اجتماعية وثقافية تشكل تحدياً لقضية العفة .. وإذا كنا قد عرفنا العفة المسيحية أنها عمل إلهى وثمرة من ثمار الولادة الجديدة وحياة يحياها المؤمن فى شركته مع الله .

فإن هذه التحديات التى تسقط الهالكين تبقى دليلاً على قوة الإيمان وفاعليته عند المخلصين .. إنها الوسيلة التى تجعلهم أهلاً لإكليل البر والقداسة . كلما كثرت الخطية والتحديات أمام الإيمان تعاظمت نعمة الله جداً (رو٥ : ٢٠) .

حقيقة يجب أن نلقى اللوم على وسائل الإعلام والمدارس والكليات التى لا تحرص على مراعاة الآداب العامة والحشمة ، ولكنه لا يصح أن نلقى المسئولية كلها على الأوساط الاجتماعية والثقافية وعلى انتشار اتجاهات الإباحة بين الشباب بقدر ما نلقى المسئولية على عدم نجاح الكنيسة فى أن تصنع فى حياة أولادها المعجزة التى بها يغلبون العالم مهما كانت مؤثراته .

وعلى الآباء المسئولين عن قيادة بيوتهم فى عجزهم عن تربية أولادهم على حسن الاختيار وتذوق الجمال والحق والخير ، وهكذا يلقى البعد الاجتماعى والثقافى التبعة على البعد الروحى فى صدد هذه القضية الهامة .

البعد الروحى

" بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً " . هذا هو قول الرب يسوع الصادق الأمين .. فالعفة مرتبطة أشد الارتباط بالحياة الروحية والولادة الثانية والحياة الجديدة التى ننالها بالمسيح يسوع .

إن ما يميز المسيحية أنها لا تضع رقعة جديدة على ثوب قديم إنما هى تقدم حياة جديدة وطبيعة جديدة .

فالمسيحى الحقيقى هو الذى صلب الجسد مع الأهواء والشهوات (غلا٥ : ٢٤)، وهو الذى حسب نفسه ميتاً عن الخطية (رو ٦ : ١١) ، وهو الذى يستطيع أن يردد مع بولس الرسول " فما أحياه الآن فى الجسد فإنما أحياه فى الإيمان ، إيمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى " (غلا ٢ : ٢٠) .

ويميزها أيضاً أنها لا تضع ناموساً أو وصية فقط ولكنها تعطيك الطريق والحق والحياة .. إنها لا تطلب منك أن تحفظ الوصية بقدرتك الشخصية ، ولكنها توصيك أن تثبت فى يسوع الذى به تنال الحياة الأبدية .

فالعفة والقداسة كلها إنما تقوم بأن نظل متحدين اتحاداً وثيقاً بيسوع المسيح الذى يقودنا فى حبه البنوى لأبيه ويدخلنا فى قلبه ويدرجنا بنفسه المضطرمة حباً لكى نحب به وفيه ومعه .. ولكى نتقدس ونتطهر أيضاً به وفيه وإليه .

ماهية التدين

إذا أردنا أن نلمس أثر الحياة الروحية فى قضية العفة فلابد أن نعرف التدين. الدين معناه قيام رابطة ما ، ومن الممكن تعريفه بأنه محاولة للتغلب على العزلة وإلى تحرير الأنا من انعزالها ، وإلى تحقيق الاتصال الروحى الحميم ، وماهيته الخاصة تربطه بسر الوجود وبالوجود نفسه .. غير أن الله هو وحده القادر على قهر العزلة ، والعلو والامتلاء والغاية من الوجود لا تتحقق جميعاً إلا فى الله .

إن الدين قد يكون عقبة فى سبيل الاتصال بالله عندما يصبح الدين مجرد ظاهرة اجتماعية موضوعية .

إن الانتصار على العزلة يتطلب أكثر من مجرد الاعتناق الصورى للإيمان المسيحى أو الانضمام إلى عضوية شكلية للكنيسة . إنه يتطلب أكثر من مجرد العلو

السطحى .. سوف يبقى الحب الصادق والعشرة والعلاقة الشخصية مع المسيح هى الوسيلة الفعالة الوحيدة للعلو على العزلة .

إن المشكلة التى يعانى منها بعض شباب الكنيسة فى أيامنا هذه هى أنهم يتصلون بالكنيسة ويقتربون منها ويعيشون فى رحابها سنين طويلة ، ولكن نسبة كبيرة منهم لا يحدث فيهم ما تكلم عنه بولس الرسول فى وضوح مسمياً إياه تعيير الشكل بتجديد الذهن . بدون فاعلية التجديد الداخلى يظل الإنسان فى عزلة ، يشعر فى أعماقه أنه لم يجد حلاً لمشكلته الداخلية .

يحق لبرجسون إذاً أن ينقد جماعة المتدينين الشكليين الذين وصف أخلاقهم بالأخلاق المنغلقة والتى تستند فى تكوينها إلى الضغوط الاجتماعية والخلقية الخارجية .

وأن يؤكد عمق التدين وسلامته فى الأخلاق المنفتحة التى تتفجر فى داخل الإنسان بفعل التلامس مع البطل فى اختبار داخلى واستجابة لنداء حى ترسله القوة المحركة والمثال الحى الذى لابد من أن يُحتذى ، وعند برجسون أن يسوع هو المثال ، كما أنه أيضاً يرى الأخلاق المسيحية الباطنية أنها أحسن تعبير عن الأخلاق المنفتحة .

لذلك يلزم أن ننبه إلى ضرورة اختبار نوع التدين .. هل هو مجرد التجاء إلى الدين بسبب ما يعانيه الفرد من مزيد من قلق وصراع وإحساس بالإثم وخاصة فيما يتعلق بالموضوعات الجنسية ؟ أم هو تدين من النوع الاجتماعى بحيث تصبح العضوية الكنسية هى مجرد حضور اجتماعات وقداسات وممارسة ألوان من النشاط الخارجى دون أن تمس هذه صميم الحياة الداخلية .

أم هو من النوع المنغلق الذى يستريح إليه أصحاب النفسيات غير السوية ، ويجدون فى التمسك بالحرفيات تغطية لانحراف نفوسهم كالكتبة والفريسيين المرائيين ؟! .

أم هو نوع من تأكيد الأنا عن طريق طلب الكرامات والمراكز وذيوع الصيت كما كان يفعل أولئك الذين يرغبون المشى بالطيالسة ويحبون التحيات فى الأسواق والمجالس الأولى فى المجامع والمتكآت الأولى فى الولائم (لو ٢٠ : ٤٦) .

يلزم إذاً مراجعة نوع التدين السائد لأنه إن لم يكن تديننا فعالاً يجدد القلب والفكر ويصل إلى مفرق النفس والروح ، فباطل كل تعبنا لأننا نكون كمن يبنى على الرمال أو يحرث فوق المياه ..

ماهو المنهج الروحى السليم إذاً ؟

الدعوة

لابد لمن يريد أن يحيا عفيفاً أن يتعارف أولاً على الذى دعاه لحياة العفة . كيف نقبل الدعوة دون أن نتعرف على الداعى ؟ كيف نجاهد فى قضية دون أن نثق فى أمانة مَن دعانا ؟ كيف نطلب أن نلبس ثياب العرس إن لم يكن قد عمل فينا صوت يدعونا للوليمة !!

بداية الطريق إذاً تعارف على المسيح الذى هو الطريق والحق والحياة وقوام الطريق هو احتفاظ بالكنز ، وتجديد للقيام ، وتمسك بخلاص الرب العجيب .

الجهاد

كل جهاد للحصول على العفة فى حد ذاتها ، دون أن يكون المسيح شخصياً هو الألف والياء للحياة كلها ، جهاد باطل . كل جهاد للحصول على العفة ، بدون طلب نعمة المسيح الفائقة جهاد باطل لأن المسيح وحده هو الحياة .

كل حياة خالية من الجهاد الروحى نهايتها الفشل ، لأن الحياة الروحية جهاد ونضال ينزعنا كل لحظة عن أنفسنا ويلقينا فى الأمانة لإرادة الله .

لابد من الجهاد لكى نتجاوز أنفسنا ونتسامى فوق ذواتنا . إن البركة لا تأتى إلا بعد جهاد . بركة الملاك ليعقوب لم ينلها إلا بعد ليلة كاملة من الجهاد والعراك .

في كل مرة ننمو في الشركة الباطنية مع الله ينمو فينا الإنسان الجديد الذى على صورة الله في القداسة والحق ، ويموت الإنسان العتيق بحواسه المظلمة رغباته وأعماله الميتة .

يسوع هو عريس نفوسنا ، ونحن مخطوبون له .. علينا أن نحفظ ثيابنا من نس لئلا نلام عندما نظهر أمامه .. طوبى لأولئك الذين حفظوا ثيابهم بيضاء غسلوها في دم الخروف .

يسوع هو موضوع فرحنا ونحن سائرون به وإليه ، وعلينا أن نطلب العفة ن أجله ونقتنيها باقتناء الروح النارى الذى سبق أن غسلنا بالمعمودية ، ثم سكن نا بالمسحة المقدسة ..

الحب المتدفق نحو المسيح هو الضمان الوحيد لحل قضية العفة بل هو غاية حياة كلها ، لأنه إذا كان الحب هو الباعث الذى عمل على إيجاد البشر فلا غرو يكون الحب أيضاً هو الباعث الذى يحكم رغبتهم في الرجوع إلى الله . وهنا خذ الحب صورة دائرية أشبه ما تكون بالدورة فإن ما صدر عن الحب لابد من أن ى غايته وكماله في هذا الحب وما يحدد درجة كمال الموجودات المتناهية إنما هو ى قدرتها على المشاركة في هذا الحب الإلهى .

إذا كان التلامس مع يسوع هو بداية الطريق فإن الجهاد للتمسك به هو وضوع السير والمعاناة طيلة الطريق ..

والذى يكون يسوع بداية جهاده ونهاية سعيه لابد أن يقتنى العفة ، لأنه حيثما جد يسوع توجد القداسة .

لاة

للصلاة دور إيجابى في قضية العفة لأنها ترفع القلب إلى فوق . الصلاة يت كلمات تقال ولا طقوساً تؤدى ، إنها شركة بين القلب والله ، داود عاشها فقال أنا فصلاة "، ولما فقد هذه الحياة يوماً سقط في الخطيئة !!

الصلاة حوار فيها نسأل وهو يجيب . فيها نشكو وهو يتعطف ويتحنن ، فيها نعرض معاناتنا فى اقتناء العفة وهو يشير علينا بما يريح قلوبنا ويهدى نفوسنا ويقدس أجسادنا فتشبع النفس فرحاً وسلاماً وتهليلاً .. إنها تكفيه وتعزيه فلا يجد نفسه فى حاجة إلى شئ .

الصلاة حصن للمجاهدين . إنها تسقط حصون الشر وأسلحته الملتهبة . إنها قادرة أن تبطل شغب الجسم وحرارة الجسد . إنها تغلق وتترك حارساً إلهياً على الباب حتى تلهج النفس شاكرة " سبحى إلهك .. لأنه قوى مغاليق أبوابك .. وجعل تخومك فى سلام " .

الذين يتلامسون مع المسيح فى الصلاة وتنسكب النعمة بغنى فى قلوبهم فى تيار الشركة بين الرأس والأعضاء ، يختبرون حياة العفة والقداسة تنحدر عليهم فى سر إلهى ، تماماً كما ينزل الطيب الكائن على الرأس على لحية هرون النازلة على جيب قميصه ومثل ندى حرمون المنحدر على جبل صهيون لأن هناك أمر الرب بالبركة والحياة إلى الأبد .

الذين يلجئون للصلاة فقط عندما تهاجمهم حروب الشهوة لا تجديهم الصلاة كثيراً ، لأنهم يطلبون قوتها لأنفسهم . أما الذين يلجأون إليها فى كل حين إنما يطلبون فاعليتها لتوطيد شركة الحب مع الرب .

قوة الكلمة

الكلمة لها فاعلية عظمى فى تقديس الروح . الكلمة تلدنا ولادة جديدة إذ تقدس مشاعرنا وتطهر أفكارنا ، وإذ بنا نصير خليقة جديدة فى المسيح يسوع .. الكلمة عندما تصبح لنا خبراً ساراً حاضراً متجدداً يكون لها الفاعلية . الكلمة لها أعماقها وكل من يتأملها يأخذ بقدر صبره واحتماله وتغصبه وتقديم الوقت فدية للتأمل والتمعن وسبر أغوار الكلمة .

لعل السبب فى أن الكثيرين لا يفيدون من الكتاب المقدس فى حل مشكلات العفة هو أنهم لا يلجأون إليه إلا عندما تهاجمهم حروب الجنس .. المسيحى الحقيقى يصرخ فى الصلاة

والله يجيب فى الكتاب المقدس ، والمؤمن المطيع يسرع فينفذ فى حياته العملية الوصية ، شاهداً للحق .. وهنا تكمل الدائرة الروحية (الصلاة ـ الكلمة ـ الطاعة) .

ليس الإنجيل لاهوتياً أو موعظة ، إنه فعل حاضر كما يقول أحد الآباء .

وليس من الضرورى أن نجد فيه كلاماً مباشراً عن العفة فى كل مرة نفتح السفر الإلهى ، ولكن الأمر المحتم أننا نجد شبعاً وتغذية فى كلامه المحيى . إن لمسة من لمسات الله لقلوبنا عندما نستمع فى طاعة لوصاياه تجعلنا نقول مع تلميذى عمواس " ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا إذ كان يكلمنا فى الطريق ويوضح لنا الكتب " (لو ٢٤ : ٣٢) .

إن تذوق حلاوة الكلمة يجعل الاشتعال بشهوة الجسد مرارة فى حلقنا . إن تعزيات الروح تجعل تلذذات الجسد جهالة وهلاكاً ولسعات أفاعى وحيات مهلكة .

يجب أن نكون فى موقف صلاة أثناء قراءتنا للكتاب . لنطلب منه هذه الطلبة " يارب علمنى وصاياك " وعندما يعلن الله لنا الوصية لنشكره ولنقل : " مستعد قلبى يا الله .مستعد قلبى " . إن طاعة المؤمن للكلمة وأنفتاحه لها حل لمشكلة العزلة وقضاء على شهوة الجسد .

سر التوبة :

الخطيئة تظل تلح على الإنسان كعبء ثقيل يحملها ضميره ، وكعقرب يظل يلسع سماً حتى يتخلص الإنسان منه بالتوبة والاعتراف .

لذلك فإن سر التوبة هو غسل وتطهير وإلقاء للأحمال الثقيلة التى ينوء بها الكاهل البشرى الضعيف .

الفكر أو الفعل الجنسى يتبع مبدأ أجبار التكرار حتى يصير عادة ، والمسيحى يكسر هذا المبدأ بالتجدد فى سر التوبة حيث يختبر الحياة الجديدة كأنه خارج من حميم المعمودية أول مرة . إن التوبة معمودية ثانية .

وإذا كان بعض الشباب لا يفيد من سر التوبة فى هذه الأيام فقد يرجع ذلك إما إلى عدم فهم السر وممارسته بطريقة شكلية خوفاً من عذاب الضمير أو نار جهنم . أو لعدم وجود آباء اعتراف مختبرين كثيرين يواجهون مشكلات الشباب وخاصة ما يتعلق منها بالجنس والجسد.

كانت الكنيسة فى القديم لا تصرح لأحد من القسوس أن يتقبل الاعترافات إلا بعد يكون قد قضى سنين طويلة فى الكهنوت والخبرة الروحية فصار شيخاً محنكاً قادراً على قيادة النفوس .

قيادة النفس فى سر التوبة تحتاج من الكاهن إلى الهام خاص . إلى إرشاد من الروح . حقيقة إن الكاهن يلزمه أن يتعرف على معطيات علم النفس والتربية ، ويلزمه أن يل بتاريخ المعترف وظروفه وأحواله الجسمية والنفسية والدراسية والعائلية .

ولكن هذا كله بمثابة الهامش ، أما متن الموضوع كله فهو الإلهام والصوت الإلهى الداخلى .

إن وجد آباء ، وجد أبناء .

الإفخارستيا :

الجسد المقدس والدم الكريم يعطى غفراناً للخطايا وحياة أبدية لكل من يتناول منه نحن فى الإفخارستيا نشترك مع الله فى موته وقيامته ، والإنسان الجديد الذى فينا يتغذى على المن السماوى والخبز النازل من السماء .

إنه يعطينا الحياة التى تغلب نواميس الطبيعة . إنه الحياة الفائقة للطبيعة . إنه خبز سماوى وحياة أبدية .

إن سر الأفخارستيا هو العصارة الآتية من الكرمة إلى الأغصان لتحييها وتقويها وتشددها وتثمرها وتخصبها وتنميها . أشعياء مست فمه الجمرة الإلهية من على المذبح فطهر . وأما نحن فتدخل أحشاءنا هذه النار المقدسة لتطهرنا من كل دنس الجسد والروح ، ولكى تلهب فينا مشاعر الحب والغيرة والسهر وأنتظار مجيئ الرب فى يقظة نفس وأمانة قلب .

بعض الشباب لا يفيد من الأفخارستيا لأنه يلجأ إليه عندما تحاربه الشهوة الجنسية فقط. إنه لا يدرى أنه يتقدم إلى المائدة المقدسة بدون استحقاق . ذلك لأنه لا يقدم حياته بذلاً وعطاء، ولكنه يطلب لأناه شيئاً ولذاته موضوعاً وراحة شكلية .

والصوم حقاً علاج لمشكلة نهم البطن وتلذذ الحنجرة كما يقول الآباء . والرسول يقول: "كل من يجاهد يضبط نفسه فى كل شئ " (١ كو ٩ : ٢٥) . وقد سبق أن أشرنا إلى العلاقة الكبيرة بين الأكل والجنس .

ولكن يلزمنا أن ننتبه إلى أن اعتلال الجسد وهزاله كثيراً ما يكون مثيراً للشهوة . فقد وجد أن الارهاق من الصوم الشديد يثير الجهاز العصبى تماما كالإدمان على الأطعمة الدسمة

ثم أن القديس يوحنا الدرجى يؤكد فى كتابه سلم السماء " إن الصوم وحده ليس علاج النجاسة لأنه وجد سقماء غاية فى السقم وصائمين صوماً شديداً ولكنهم متدنسون بهذه القتالات " . ويضع مبدأ رائعاً لحياة العفة فيقول : " الطاهر هو من قابل عشقاً بعشق " . فلا شك أن الأساس فى حياة العفة هو الحب لشخص المسيح . لذلك يلزم إن صمنا ألا نكون عابسين (مت ٦ : ١٦) ، بل ندرك أن " الصوم فعل محبة بالدرجة الأولى وجزءاً لا يتجزأ من اختبار الصليب ومدخلا حسياً إليه ، بالدرجة الأولى وجزءاً لا يتجزأ من اختبار الصليب ومدخلا حسياً إليه ، وإننا حين نرهق أجسامنا بالصوم نهدف إلى أن نرهق الذات ، وإذا بلغنا إلى إرهاق الذات بتذليل الجسد نكون قد اقتربنا فى الواقع من هلاك الذات ولو جزئياً . نحن نصوم لا لنأخذ شيئاً لأننا أخذنا المسيح ، ولا لنعطى شيئاً لأن عطاءنا مهما بلغ ولو إلى حد الموت فإنه لا ينفع أن يرفع حتى ولا خطيئة واحدة .. نحن نصوم ونقدم أجسادنا ودماءنا كذبيحة مظهرها التعب وجوهرها قبول الموت بالنية لنحسب أهلا أن نتحد سراً فى جسد المسيح ودمه " .

إن قصة خروج الأنبا أنطونيوس من وحدته بعد عشر سنين وهو فى صحة معتدلة ، توضح فضيلة الحكمة والإفراز التى كانت له .

لذلك يلزم تصحيح أخطاء شائعة بين الشباب أهمها فصل الصوم عن الحب ، ومحاولة استخدام الصوم الشديد للتغلب على مشكلات العفة دون ارشاد وتوجيه روحى سليم ، والنظر إلى الطعام على أنه شهوة ، وللجسد على أنه نجاسة ، مع أن " الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله سيبيد هذا وتلك " (١ كو٦ : ١٣) " وكل شئ طاهر للطاهرين " (تيطس ١ : ١٥) .

لنتحرز لأنفسنا لئلا تثقل قلوبنا فى خمار وسكر (لو٢١ : ٣٤) ولنصم لا لكى ننال من الصوم مكسباً لحياة العفة ، ولكن ليكن صومنا تعبيراً عن العفة والحب اللذين يعملان فينا .

وبتعبير مختصر : لنصم لا لكى ننال منه فائدة لذواتنا .. وإنما ليكون صومنا ذبيحة معبرة عن ذبيحة حياتنا ، مقدمة فى ذبيحة الرب المقبولة .

المرشد الروحى

المسيحية تلمذة . والرب يسوع تلمذ جماعة الرسل ، وهؤلاء سلموا الإيمان للكنيسة عبر العصور والأجيال فى سيرة القديسين والمعلمين الروحيين .

وإن كان الشباب يشكو من أزمة في المجال الروحى فهى الافتقار إلى المرشدين الروحيين المختبرين القادرين على أن يسلموا للنفوس ما تسلموه من الرب .. وستظل هذه الأزمة شديدة إلى أن يتكرس كثير من النفوس المحبة للمسيح مضحية بمغريات العالم ومتتلمذة إلى الآباء الذين أثبتت سيرتهم وخبراتهم أنهم يسيرون على الدرب .

إن وجدت مرشداً روحياً حازماً منفتحاً فقد وجدت كنزاً نادراً .

إن وجدت أب اعتراف ملهماً بالروح فقد وقفت أرجلك عند ديار أورشليم .

الشعور الدينى عند المراهق

يختلف الشعور الدينى عند المراهق عنه عند الطفل اختلافاً جذرياً فهو عند الطفل تسليمى إذ يتقبل كل الحقائق الإيمانية والتوجيهات الدينية دون مناقشة تذكر ، ولكن فى سن المراهقة ينمو اتجاه **التشكك والنقد** كما ذكرنا ، فكثيراً ما يتردد المراهق فى قبول بعض المعتقدات الدينية ومن ثم تختلف العملية التعليمية لفصول المرحلة الثانوية عنها فى المرحلتين السابقتين إذ يجب أن تتجه إلى المناقشة والتفاهم وإعطاء فرص لتعبير المراهقين عن آرائهم ووجهات نظرهم حتى تكون الإفادة من الدروس مجدية .

والسمة الثانية من سمات الشعور الدينى عند المراهق هى ما نسميه **بالناموسية** فكثيراً ما يصطبغ تدين المراهق بالاهتمام بالممارسات والطقوس والعبادة الشكلية دون بذل جهد ليكون لهذه الممارسات فعلها فى الحياة الوجدانية والعقلية . فليس لدى المراهق مانع أن

يقرأ المزامير ويضرب مطانيات كثيرة ويرتل ألحان عدة ، ولكنه يصطدم بالدين عندما يـواه يطلب منه تغييراً فى عاداته الباطنية أو تنازلاً عن أشياء يحبها ويعتز بها .. ولما كان الدافـع الجنسي هو أقوى الدوافع فى مرحلة المراهقة لذا تحتل حالة المراهق الجنسية أهمية كبـيرة فى تدينه : فهو إن سقط يلجأ إلى الممارسات الدينية ليتخلص من تأنيب الضمير ، ويـود أن يجد أشياء عملية يعملها تريح ضميره . فليس عنده مانع من أن يستمر فى خطيئة تسبب لـه لذة ويستمر فى دفع نقود كثيرة للكنيسة أو ضرب مطانيات كثيرة العدد لو أنه اطمئن أن هذه الحسنات تذهبن السيئات !

وهذه هى السمة الثالثة من تدين بعض المراهقين مما يسمى **بالسطحية** ــ فكثيراً مـا يُخدع المربون عندما يرون المراهق مندفعاً إلى الجو الدينى ، ويظنون أن هذا الاندفاع نتيجة توبة فعلية داخلية ولكنها فى كثير من الأحيان تكون يقظة عاطفية ودفعة انفعالية مصاحبـة للدافع الجنسى ، ومن أجل هذا تدقق الكنيسة فى رهبنة المراهقين لأنهم فى هــذه المرحلـة يميلون إلى المثل العليا (مرحلة الرومانسية) دون أن تكون إرادتهم قد انعقدت فعلاً علـى التضحية العملية فى سبيل تحقيق المثل فى حياتهم ، ويبدو الأمر خطيراً فى تسرع كثير مـن فروع الخدمة فى إعطاء المراهقين خدمات دينية دون أن يكونوا قد تذوقوا حلاوة عمل النعمة فى حياتهم ، ودون أن يكونوا قد تمتعوا بإشراقة الروح فى قلوبهم ، ودون أن يكونـوا قـد استقروا فى نفسياتهم وقبلوا الخدمة الدينية عن اقتناع وحب عميق ، لا بدافع حب الظـهور والرغبة فى شغل أوقات الفراغ .

والخطير في الموضوع أن المراهق الذى يدعى من الناس ليكون معلماً وهو فى زمان التوبة يغلق أمامه باب التوبة فى أحيان كثيرة ويضحى خلاصه صعباً ، ومسئولية خلاصـه عليه وعلى من دعاه دعوة خاطئة وقطف الثمرة فى زمان عدم نضجها .

نخلص من دراستنا للشعور الدينى عند المراهق بأهمية تأكيد التوبة كفعل مستمر فـى حياته حتى يتخلص من حالة السقوط السريع فى الخطايـا الجنسـية ، ويـدرك بنوتـه لله ، ويتلامس قلبه مع الحب الإلهى ويشرق فى قلبه نور الحق .

وممارسة سر الاعتراف عملية تأتى نتيجة لتحقيق التوبة والندم والإحساس بمحبة الله والعزم على السير فى الطريق الروحانى حتى لا تتحول عملية الاعتراف إلى ممارسة شكلية ويصير باب التوبة نفسه غير ذى فعل فى حياة المراهق بسبب التعجل وإفهامه أن التوبة هى مجرد اعتراف وترديد كلمات أمام أب الاعتراف .

لابد أن يكون أب الاعتراف يقظاً صاحياً قادراً بنعمة الله على أن يلد أولاداً فى الرب ، فإذا جاءه مراهق لم يبدأ التوبة ، عليه أن يوجهه إلى هذا .

والذى بدأ يشجعه على المسير ، والذى سار بخطى يسنده فى الطريق بتوجيهات مناسبة لشخصيته وعمل النعمة فيها .

يا لخطورة الجو الدينى الذى فيه آباء الاعتراف غير فاهمين رسالتهم !! إن أعظم عملية تحدث فى حياة المراهق وتضمن سلامة تدينه هو خروجه من دائرة ذاته ، والأنانية إلى دائرة الحب الإلهى وفيه يتذوق حلاوة العشرة الإلهية وجمال الشركة مع الله وخدمة الناس الذين هم أحباؤه .

وهذه العملية تحدث إذا وجد خادم أو أب قد اختبر هذه الحياة فإن المراهق مستعد أن يتتلمذ له حتى يعبر من النرجسية أو عبادة الذات إلى الحياة مع المصلوب ناكراً نفسه ، وحاملاً صليبه ، ومستعداً للموت من أجله كل حين .

ويجب أن نوجه نظر المربين إلى أن الأندية والوسط الاجتماعى الراقى مجال رائع لتكوين الصداقات وامتصاص الخبرات الروحية فيه .

ولكن ليس هو الطريق لتوبة المراهق ، فالطريق للتوبة هو الكلمة الإلهية والدموع والجلوس عند أقدام المخلص والمثابرة على الاعتراف بندم وثقة فى محبة الله .

اتجاهات منهج هذه المرحلة

محور المنهج : التوبة والجهاد والرجاء

الهدف : المسيح وحده هو الذى يضمن لنا حياة منتصرة ناجحة .

الاتجاهات المطلوبة فى هذه المرحلة :

أ ــ بالنسبة لله

اعتباره الصديق المخلص والمرشد الذى لا يخطئ والذى يمنح سلاماً وقت كل ضيق وتجربة (إيمان) الطويل الروح الكثير الرحمة والجزيل التحنن (رجاء) التفانى فى حبه (محبة) .

ب ــ بالنسبة للكنيسة

تقديس العبادة الجمهورية والمواظبة عليها ــ تقديس وسائط النعمة والخلاص لحياة الشاب وممارستها ــ ارتباط الشاب بالخدمة الكنسية واندماجه فى طقوسها ــ خدمة الكنيسة بمواهبه والولاء لها ــ النظر إلى الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة جمعاء على أنها كنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية .

ج ــ بالنسبة للأسرة

تحمل المعاملة السيئة التى تصدر أحياناً واعتبارها تداريب من الله لنا لنمونا الروحى تقدير موقف الوالدين والأخوة وعدم إرهاقهم بالطلبات المادية ــ تقدير رغبة الوالدين فى أن يحرص على الاستذكار ، واعتبار هذه الرغبة غير متضاربة مع رغباته ــ السعى نحو خدمة أفراد الأسرة وإظهار مشاعره الحسنة لكل فرد وخاصة الصغار والضعفاء ــ عدم الاقتداء بالأخوة أو الأقارب إذا انحرف سلوكهم ــ تركيز الاعجاب بالبطولة فى المثل العليا الروحية.

د ــ بالنسبة للمجتمع :

١ــ اعتبار المجتمع ميداناً ضرورياً لتطبيق المبادئ المسيحية فيه .

٢ــ الشركة والالتصاق بالرب يسوع تعطى للفرد القدرة على الإفراز والتمييز بين مبادئ المسيح .

٣ــ تقدير الاختلاف عن أهل العالم مهما أدى هذا إلى تغيرات من غير المؤمنين .

٤ــ الصداقة للجميع ، ولكن الرفقة الدائمة للصديق المؤمن الذى يفيد فى الحياة الروحية.

٥- الحياة الروحية تعالج كافة المشكلات الأجتماعية التى تعترض سلوكنا .

٦ـ الأفلام والمسرحيات والكتب والمجلات والإذاعات ليست شراً فى حد ذاتها ، ولكن ما أكثر العثرات التى تسببها .

٧- الإباحية والإلحاد والمادية المنتشرة فى العالم ، مردها الانهيار الروحى . أما الوسيلة الوحيدة لمقاومة هذه التيارات فهى التمسك بالإيمان والعبادة .

٨- المهنة والعمل والتخصص يجب أن يتدخل الله تدخلاً واضحاً فى اختيارها وفى المواهب المعطاة من السماء .

٩- الجسم والمال والوقت ليست أشياء تحارب بل هى نعم تستغل لتمجيد الله ، وإنما الشئ الذى يحارب هو شهوة النفس لاستغلال هذه الأمور استغلالاً منحرفاً .

١٠ـ النقد الهدام للأشخاص والموضوعات التى لا تتفق والمسيحية بينما العمل المنتج الصامت بإنكار الذات هو من مظاهر الحياة الروحية العلمية .

ألوان النشاط اللازمة :

١ـ المداومة على الاستعارة من المكتبة .

٢ـ تلخيص بعض الكتب الروحية وعرضها على أعضاء الفصل .

٣ـ ممارسة تداريب روحية للتوبة والجهاد والنمو بتوجيه مرشد روحى للتأكد من سلامة هذه الممارسة .

٤ـ القيام ببعض أعمال الرحمة كالخدمة فى الملاجئ والمستوصفات الخيرية ومكاتب الخدمة الاجتماعية ، بشرط عدم الاستغراق فى ذلك على حساب حياته الروحية .

٥ـ الاشتراك فى رحلات إلى الأماكن الخلوية والروحية للتأمل الهادئ .

٦ـ الاشتراك فى ندوات لدراسة المشكلات الشخصية الهامة على أن تكون الإجابة على الأسئلة الجنسية بأسلوب روحى علمى خال من التكلف والوعظ ، وأن يجيب عليها فى حرص وفى جدية .

٧ ـ تبادل الزيارات للكنائس ومدارس التربية الكنسية فى المناطق البعيدة .

٨ ـ الانتظام فى الاعتراف على أب واحد يختاره بنفسه بتوجيه من الخادم .

٩ ـ دراسة الكتاب المقدس دارسة منظمة وتسجيل التأملات الروحية .

الوحدات

١ ــ وحدة التوبــة .

٢ ــ وحدة الجــهاد .

٣ ــ وحدة الرجــاء .

٤ ــ وحدة محبــة الله .

٥ ــ وحدة الحياة الاجتماعية الناجحة (المبــادئ المســيحية الرئيســية) .

٦ ــ وحدة الحياة العائلية الناجحــة (الجنــس) .

٧ ــ وحدة جمال الأرثوذكسية وقوتها فى حياتنـــا (العقيــدة) .

ملاحظة

فى هذه المرحلة دروس سبق ذكرهـــا مــرة أو مرتيــن فــى المراحــل الســابقة ، ولكن زاوية هذه المرحلة تختلف تمامـــاً عــن ســابقتيها . إذ أن معالجــة دروس الكتــاب المقدس فى هذه المرحلة تنصـــب مباشــرة علــى التوبــة والإحســاس بعمــل النعمــة ، وعمل الروح فى النفس لتجديد السيرة وتجديــد العــهود مــع الله ، وهــذا هــو المســتوى الوحيد الذى يناسب طالب المرحلة الثانوية الذى تتبعـــه الخطيــة ، ويحتــاج إلــى دروس تشجعه على التوبة والنهوض والاقــتراب إلــى الله .

٥ ــ مرحلة البلوغ

تتسم هذه المرحلة بتناقض النمو الجســمى عــن معدلــه فــى مرحلــة المراهقــة ، وتأخذ التغيرات التى حدثت فى المراهقة فى الاســتكمال والاســتمرار . أمــا الانفعــالات الجنسية فلا تزال متدفقة نحو الجنس الآخــر ، كمــا أن الميــل إلــى العــدوان ومهاجمــة السلطة والتمرد على الوالدين وانتقادهم فى أتفــه الأشــياء يســتمر فــى هــذه المرحلــة ، ويرغب البالغ فى تكوين صداقه مــع أحــد الراشــدين النــابغين الذيــن يعطفــون علــى الشباب ويفهمون وسائل حلول مشكلاتهم . وفى هذه المرحلــة تظــهر التيــارات الفكريــة العنيفة مثل الإلحاد ، ويغذى هـــذا الاتجــاه النضــج الفكــرى والإطــلاع علــى الكتــب

والآراء الهدامة والميل نحو الاستقلال وحب الظهور عن طريق التمايز عن الآخرين .

وفى إطار النمو الإجتماعى يزداد الشعور بالنضج والاستقلال والتحرر من التبعية لسلطة المنزل إذ يميل البالغ إلى السير وراء منظمات اجتماعية أخرى مثل الأندية والجمعيات والاتحادات الرياضية والسياسية والجماعات الدينية المختلفة . كما يميل إلى تغيير أصدقائه عندما يدخل الجامعة ويفضل إختيارهم ممن هم أفضل منه فى الصفات التى يقدرها والمواهب التى يعجب بها ، كما يرحب بالمجتمعات المختلفة وألوان النشاط الاجتماعى الذى يشترك فيه الجنسان . وتقدم الجامعة والمهنة مجالات كثيرة لتحقيق هذه الميول .

التربية الدينية فى مرحلة البلوغ

إن أنسب مرحلة للتلمذة الروحية هى هذه الفترة إذ يكون البالغ قد ودع المراهقة بما فيها من تيارات متعارضة واستقبل حياة فيها نضج عقلى واستقرار انفعالى إلى حد كبير ، ومن ثم فإن قدرة البالغ على تشرب المبادئ الروحية وتعقلها تتسع فى هذه المرحلة اتساعا واضحا . وإذا كانت هذه هى مرحلة التلمذة فهى بالضرورة مرحلة الاحتياج إلى الأبوة والإرشاد الروحى ، فأية كنيسة أو جمعية تخلو من رائد روحى وأب محب متسع الأفق قوى الشخصية لا يمكنها أن تتلمذ شبانا للحياة الروحية . ولعل سر إخفاق كثير من الشبان ورجوعهم عن الطريق الروحى بعد انتهاء المرحلة الثانوية هو عجزهم من اكتشاف مرشد روحى يعينهم على السير واستكمال الطريق .. وكل هيئة تتمتع بوجود آباء روحيين تحدث فيها ظاهرة تجمع الشباب حول هؤلاء الآباء ليستلموا منهم الشعلة ويتعرفوا على أيديهم معالم الطريق ويسيروا معهم فى دروب ومسالك الآباء القديسين المنتصرين .

وفى هذه المرحلة يستطيع الشاب أن يستلم الإيمان المسيحى بقلبه وعقله معا إذ يكون قادراً فى هذه الفترة على استيعاب الأصول الإيمانية وتفهمها تفهما سليماً .

وفى هذه المرحلة أيضا يحتاج الشاب إلى من يقف بجانبه إزاء مشكلاته العاطفية ، ويوضح له المفاهيم الصحيحة للحب والقيم المسيحية للزواج وعمل النعمة فى الشخصية ووسائل ضبط النفس والتحكم فى الدوافع الباطنية .

وإذا كان موضوع التربية الجنسية من أهم الموضوعات التى تتصل بهذه المرحلة وسابقتها فإننا نعد القارئ أن نفرد لها بحثاً مستقلاً إن شاء الله ، ولكن أحسن تلقين للمعلومات الجنسية هو التلقين الفردى ، إذ أن الموضوع الجنسى موضوع شخصى ، والتحدث عن دقائق هذا الوضوع فى أحاديث علنية من أخطر ما يكون إذ أنه ينشئ عند الفرد نوعاً من الاستهتار ويقلل فى نفسيته نوع الرهبة التى أوجدها الله بالطبيعة فينا لحفظ قدسية هذه الأمور كعلاقة بين الله والإنسان . كذلك فإن تلقين المعلومات على مجموعة متفاوتة فى الإدراك الجنسى ينشئ حتما عثرات ، وخصوصاً من الأسئلة التى يلقيها البعض عن الامور الشاذة والسلبية فى الأمور الجنسية ، ويكون البعض الآخر خالى الذهن عنها فينشغل بها وربما بل غالباً ما يعثر بها هو أيضا وإنما إعطاء المحاضرات والكلمات العاملة بغير أسئلة يعتبر تمهيداً لطيفاً للتلقين الفردى وإجابة الأسئلة على انفراد .

ويجب أن يُلقن الشاب الفرق بين التجربة والخطية . فالتجربة مجرد حرب ندخل فيها فإما ننتصر وبذلك تكون التجربة قد قادتنا إلى الفضيلة ، وإما ننهزم فنخطئ ونكون فى هذه الحالة ملومين إذ أن فى صنع الخطية خضوعاً بالإرادة عن تعمد لذلك فإن عليها عقاباً .

ويجب أن يلقن الشاب أن العفة الكاملة قبل الزواج ممكنة ولا أضرار تنشأ عن ذلك قط ، طالما هو لا ينشغل بها ، وطالما كانت له أعماله أو دروسه أو هواياته الخاصة التى يهبها الجزء الأعظم من نشاطه العقلى والجسدى معاً .

وعلى المرشد الروحى أن يوجه طاقة الشاب نحو الاهتمام بالعمل اليومى ، والهوايات البريئة والأندية التى تحت إشراف دينى والاندماج الخير فى المجمع

للخدمة العامة والتدقيق فى حضور اجتماعات الصلاة واستعمال صلاة المزامير والتدقيق فى معاملة الجنس الآخر وتنمية الاتجاهات السليمة إزاء الغريزة والجسد والجنس .

٦ ــ مرحلة النضج وبدء الرجولة (من سن ١٩ ــ ٢٥)

محور المنهج :

التوبة والثبات والنمو فى النعمة .

الهدف :

تأكيد عملية التوبة فى المرحلة السابقة .

الاتجاهات العامة للمنهج :

١ ــ التأكد من المصالحة مع الله .

٢ ــ تحسس عمل النعمة فى القلب والشعور بثمار الروح .

٣ ــ تفهم الوزنات التى وهبت له من الله ومعرفة كيفية استثمارها لخدمة الله مع التحمس لذلك .

بالنسبة للكنيسة

١ ــ مفاهيم محددة واضحة عن عضويته فى الكنيسة .

٢ ــ تعمق فى رسالة المسيحية الأرثوذكسية وخصوصاً بالنسبة لغير المسيحيين (روحياً ولاهوتياً وتاريخياً وعالمياً) .

٣ ــ ضرورة الإسهام فى خدمة الكنيسة على أسس سليمة كنتيجة حتمية لعضويته فى جسد المسيح ونموه الروحى (إن لم يعط فلا يأخذ) .

٤ ــ ارتباط الشاب بالخدمة الكنسية وإدماجه فى طقوسها والاستعداد الدائم بقبول دعوة الله .

٥ ــ التمكن من معرفة سبب الرجاء الذى فيه والرد على الهرطقات والبدع الحالية .

بالنسبة للأسرة

١ ــ الاستعداد لحمل بعض أعباء الأسرة عن الوالدين .

٢ ــ تقدير الحياة العائلية كزوج وكأب .

٣ ــ السعى فى إدخال الجو الكنسى للأسرة .

بالنسبة للمجتمع

٤ ــ فهم وتقدير حكم المسيحية على التيارات الفكرية والاجتماعية .

٥ ــ التطبيق العملى لوصايا السيد المسيح ففى وسط جيل شرير وملتوى (الرشوة ــ الزنا) .

٦ ــ تقدير قيمة تنظيم الوقت وبالأخص بالنسبة للجهاد الروحى .

٧ ــ تدعيم مبدأ ضرورة تمجيد الله فى كل عمل ومهنة .

٨ ــ الشجاعة فى الشهادة للمسيح خاصة بين غير المسيحيين بحكمة وأسلوب مسيحى .

٩ ــ الخدمة العامة والقلب المتسع للتعاون مع الجميع علامة رئيسية من صفات الشخصية المسيحية .

١٠ ــ الوطنية والتجنيد يؤديهما المسيحى بفرح روحى ورضى وبروح " الميل الثانى " لا عن جبر واضطرار .

١١ ــ المهنة والعمل والتخصص يجب أن يتدخل الله تدخلا واضحاً فى اختيارها وفق المواهب المعطاة من السماء (مرحلة الانتقال من الحياة الدراسية إلى الحياة العملية وتكوين أسرة .. المال .. العشور.. الصدقة) .

ويهمنا أن نتوسع قليلاً فى علاج بعض مشكلات البالغين فيما يلى :

أولا : الإلحاد

يعتبر الإلحاد مظهراً من مظاهر مشكلة ازدواج الشخصية .. هذه المشكلة التى ترجع إلى أن يكون للفرد شخصيتان .. شخصية حقيقية واقعية غير راض

عنها ، وشخصية يتخذها ستاراً أمام الناس يغطى بــها الأولــى ، وقــد تبــدو فــى حلــة الإنسان المتكبر أو الإنسان المنطــوى أو الإنســان الملحــد .. ويــرى البعــض أن أهــم أسباب الإلحاد هــى :

١ ـ خطية سرية مستترة

كثيراً ما تؤنبه وتجعل ضميره كالسياط المستعرة فــلا يجـد وسـيلة لإخمـاد هـذه النيران إلا بمحاولة إقناع نفسه بعدم وجود إله أو ســلطة علويــة حتــى يصبــح الضمـير أو الرقيب (أو الإباء الأعلى) فى نظره لا لزوم لــه ويعطــى فرصــة للغرائــز والدوافـع البدائية (الهو) أن تنطلق ، ويمارس نشاطه دون أدنـــى معارضــة . ولكــن فــى الواقـع أن الضمير لا يموت لأنه صوت الله فى الإنسان فــهو وإن ظــل خافتــاً إلا أنــه موجـود يثور فى أحيان كثيرة ويظهر فى حالات مثل حــالات الضعــف أو التجربــة أو المــرض أو ظهور عاهة أو الاحتياج المادى أو تباعد النــاس والأصدقــاء عــن شــخص ونكـران الجميل .. وتحتاج يقظــة الضمــير فــى هــذه الحــالات إلــى إنســان مختــبر روحـى يستخدمها حتى تبنى نفسية الفرد من جديد ويعــود لرشــده ويخلــع حلــة الإلحــاد التـى غطت سقطاته وضعفاتــه .

ولعلاج هذا السبب من أسباب المشكلة يجب ملاحظــة مــا يلــى :

أ ــ تعويد الفتيان على التوبة والندم والاعتراف لغسل النفــس مــن الخطيئــة ، لأن مـن يكتم خطاياه لا ينجح ، وبذلك يتخلص من ثقلها علـــى نفســه .

ب ــ تعويد الفتيان والشبان على استشارة الكبار المتقدميـــن فــى الحيــاة الروحيــة فـى نواحى ضعفاتهم حتى لا يقفوا وحدهــم فــى الميــدان "الذيــن بــلا مرشــد كــأوراق الشجر يســقطون" .

ج ــ عدم تأنيب أى شاب أخطأ أو عثر تأنيباً قاســياً يفقــده الأمــل بــل يجــب توبيخـه بمحبة وإيصاله سريعاً إلى أب اعتراف واسع فى الخبرة وحـــار فـــى الـــروح .

ـ معالجة مشكلات الشباب الجنسية وتعميم المنهج الإيجابى والسلبى ، العلاجى والوقائى ، الذى ذكر آنفاً ، لتخليص الشباب من الزنا والشذوذ الجنسى والعادة السرية والأفكار الشريرة وتقوية الحياة الروحية وإيجاد فرص كثيرة لحلقات الصلاة ودرس الكتاب والصداقات الطاهرة والهوايات وكل ما يشغل بال الشباب بما هو طاهر ومقدس .

ـ وأما السبب الثانى للإلحاد فهو تجربة خطيرة تواجهها بعدم إيمان

ويحدث هذا فى أحيان كثيرة عندما يتعرض الشاب ، ولم يتثبت إيمانه بعد ، ى تجربة عنيفة مثل وفاة أحد والديه أو أحد أقربائه آلى أحد أصدقائه أو مرشده محبوب لديه أو أزمة اقتصادية عنيفة تمر بالمنزل أو أى كارثة لها أثر كبير فى ياته .

يبدأ إيمان الفرد يتزعزع حتى يأخذ فى الانهيار خاصة إذا وجد مشجعاً على ك من جماعة غير المؤمنين ، أو إذا قرأ كتاباً يؤكد له شكوكه من ناحية الله ، وإذا يجد شخصاً مسيحياً تقياً يقف بجانبه فى هذه التجربة ، يعزيه ويسليه ويشدد مانه ويكلمه بكلمة الخلاص .

وعلاج هذا السبب يتلخص فى أن تكشف التجربة التى مر بها وسقط فيها ، تى نتأكد أنها السبب فعلا ، وإذا ما تأكدنا فعلينا أن نصادقه ونكسب محبته ونحدثه ن رجال الإيمان ورجال التجارب ونكلمه فى النواحى الإيجابية الإيمانية بكثرة ثم رج على موضوعه ونقلب معه صفحة تاريخ حياته ، حتى إذا ما جاء ذكر تجربة القاسية فعلينا هنا أن نأخذ بيده ونجعله يصلى من أجل أن يعطيه الله القوة احتمالها ، والصلاة عنصر هام وفعال فى علاج المشكلة ، وإذا ما أظهر اعتراضا لينا أن نصبر ونواظب على الصلاة من أجله حتى يتحنن الله عليه ، ويجذبه إليه يعرفه ذاته ، وكثرة الالتفات حوله وإشعاره بأنه ليس وحيداً فى كفاحه ومحاولة بطه باجتماعات روحية تناسبه ، هذه كلها وسائل نافعة لإعادة بنيان نفسه .

٣ ــ أما السبب الثالث فهو الرغبة فى المناقشة والكلام

وهذه الرغبة تحمل وراءها رغبات أخرى كالرغبة فى الظهور والسيطرة والميل إلى الشهرة على مبدأ (خالف تُعرف) والميل إلى تغطية ناحية ضعف أو نقص سواء فى الناحية الجسمية أو العقلية أو النفسية .

ومن المهم جداً معرفة ما وراء الستار حتى يمكن علاجه ، فإذا كان الأمر رغبة فى الظهور والسيطرة ، فمن الممكن للخادم أن يكسب صداقته عن طريق إشباع هذه الرغبة حتى يدخل إلى أعماق نفسه ، وهنا يمكنه أن يعالج مرضه ، وإذا كان الأمر ميلا لتغطيه ضعف معين فمهمة المعالج أن يساعده على أن ينتصر على هذا الضعف فلا يذكره له ، ولا يسمح لأحد أن يعيره به ، ويبدأ فى بث الثقة فيه أنه شخص منتج يمكنه أن يخرج عن حد الكلام إلى حد العمل ويوكل إليه مسئولية تشبع فيه رغباته ويتعهده بالمنهج الروحى ، حتى إذا ما اطمأن إلى ارتباطه بالأجواء الروحية يهتم مرشده الروحى بتدريبه على إنكار الذات والصمت والتواضع والوداعة وعدم الإدانة والتدقيق ، وهذه الأدوية الروحية كفيلة بمعالجة الإشكال .

ويهمنا أن نذكر فيما يلى بعض الاتجاهات العامة فى خدمة الملحدين :

- ❖ تجنب المناقشة العلمية المنطقية ، وإن كان يجب أن تكون مزوداً بذخيرة وفيرة من هذه المادة .
- ❖ أهتم بأن تحب الملحد وتعرفه المسيح عن طريق هذا الحب وتفهمه أن هذا الحب قطرة من حب المسيح لنا .
- ❖ اهتم بألا تعظ الملحد أو تناقشه بحماس أو تعصب فكرى حتى لا نفقد صداقته ، بل كن رزيناً لتكسب احترامه .
- ❖ اهتم بأن تقدم له هدايا خاصة من الكتب الروحية والاجتماعية التى تعالج مشكلاته النفسية ، وعليك بأن تشترك معه فى هواياته ومشروعاته الاجتماعية إن أمكن ذلك .

- اهتم بأن تساعده مادياً إن كان فقيراً أو محتاجاً ، بين لـه أن هـذا قطـرة مـن عنايـة الله بنا .
- اهتم بأن تبعده عن أصدقاء السوء ولتسيج حوله بصداقـات قويـة لتكسـبه للمسـيح .
- الصلاة باستمرار من أجل هدايته سلاح قوى لا غنى عنـه علـى الإطـلاق .

مشكلة الإباحية

تنتشر بين الشبان مبادىء الإباحية الهدامـة ، وتنـادى بـأن التعبـير فـى مسلكنا عن رغباتنا ودوافعنا الغريزية أمر طبيعـى يتنفـى مـع الكبـت والضغـط والحرمـان ، وأنه لا داعى إطلاقاً لهذا الحرمـان أو ذلـك الكبـت .. والواقـع أن الديـن المسـيحى لا ينادى بالكبت والحرمان ، ولكنه ينادى بالسمو والإعـلاء ، وأن تصـب الغرائـز نشـاطا فى مجارى سامية تتفق والفضيلة والخلق الطيـب والمثـل العليـا .

ولعل أهم الأسباب التى تجعل الشبان يميلون إلى هـذه المبـادئ هـى أنـهم كثـيراً ما يسقطون فى خطايا جنسية ويُغلبـون بسـقطات شـهوانية فـلا يجـدون مـبرراً لـهذه وتلك إلا فى هذه المدرسة التهدمية . وليس لدينا رد علمـى مفعـم علمـى أصحـاب هـذه المبادئ أفضل مما كتبه ج . ا . هـادفيلد فـى كتابـه علـم النفـس والأخـلاق إذ يـرى استحالة الإباحية كمثل أعلى للأسـباب الآتيـة :

١ ـ استحالة الإباحية من الوجهـة الاجتماعيـة .

٢ ـ فساد هذا المبدأ من وجهة الطـب النفسـى .

٣ ـ مخالفة الإباحية للمبدأ البيولوجـى الطبيعـى .

أولاً : استحالة الإباحية من الوجهة الاجتماعية

يرد هافيلد على أولئك الذين ينادون بالإباحيـة الجنسـية فيقـول : "ولكـن إذا كـان هذا المبدأ صالحاً بالنسبة إلى الغرائز الجنسـية فلمـاذا لا يكـون صالحـاً بالنسـبة إلـى الغرائز الأخرى . هذا الجندى لا تكاد تنفجر القنبلـة الأولـى حتـى يتخلـى عـن مكانـه ويهرب ويحاكم أمام مجلس عسكرى فيحتـج بـالغريزة الطبيعيـة . وهـذا رجـل آخـر يضيق بالزحام فيكظم غضبه ثم يتذكر فجأة دعـوة أصحـاب مذهـب الإباحيـة فيضـرب

أقرب عابر طريق ليتخفف من غريزة المقاتلة ويتشدق بالقول "لقد منحنا غرائزنا لنستعملها لا لنكبتها" .

"ثم هذا اللص المعروف الذى وجد فى مصرف ليلا يجب أن يُعفى من كل ملام ، ويتلقى اعتذار مدير المصرف على اعتبار أنه كان يدرب غرائز حب الاستطلاع والتملق عنده .. ما أعجب مثل هذا العالم الذى نعيش فيه إذن " .

ثانيا : فساد مبدأ الإباحية من وجهة الطب النفسى

يقول هادفيلد "أن هذه النصيحة أن اذهب وعبر عن غرائزك مثلها مثل النصيحة القديمة التى كان ينصح بها علماء التحليل النفسى لكل فتاة عصبية بأن كل ما تحتاجه هو أن تتزوج اللهم أن الأولى أكثر حماقة من الثانية . فما عرفت قط فى تجربتى العقلية أن مرضاً عصبياً واحداً شفى بالزواج ولا من باب أولى بالإباحية الجنسية ، ولكنى عرفت بالخبرة الشخصية أمراضاً عصبية كثيرة استفحلت بالزواج، والسبب السيكولوجى لإخفاق الإباحية واضح . فإذا كان ثمة كبت سيكولوجى فإن الانفعال الغريزى يكون مرتبا بعقدة ، ومجرد التعبير بالمسلك عن غريزة لا يعنى أن العقدة قد أطلقت سيكولوجياً .

إن التعبير عن الغريزة لا يكون صواباً إلا إذا اتفق مع العواطف السائدة . أما إذا كان بطريقة لا تتفق معها فقد يحدث لذة ولكنه لا يحث سروراً ولا يؤدى إلى سعادة ، ومن ثم يكون غير مرض للفرد .

ثالثاً : مخالفة الإباحية للمبدأ البيولوجى الطبيعى

قد يتحداك أحد الإباحيين فيقول : ولماذا الإهتمام بالحاسة الخلقية ؟

إن الخلقية مفروضة من الخارج وهى نسبية فلا يجب الخضوع لها ، ولكن الناموس الذى يرى أنه أفضل النواميس هو القانون الطبيعى . ومن المؤكد أن الإباحية تتناقض مع القانون الطبيعى إذ أن القوانين الخلقية هى فى الواقع تقرير

القوانين البيولوجيـة العليـا ، ونسـتطيع أن نوضـح الارتبـاط الوثيـق بيـن القوانيـن البيولوجية والمبادئ الخلقية بمثالين أثنيـن همـا :

١ ــ قانون العطـف .

٢ ــ قانون الأمانة الزوجيـة .

أما عن قانون العطف فهناك من رمـوا المسـيحية بأنـها عاطفيـة مائعـة لأنـها دعت إلى رعاية المريض والعاجز والضعيـف وشـجعت بذلـك مبـدأ مخالفـاً للقـانون البيولوجى جد المخالفة وذلك هو مبدأ العطـف ، فلمـاذا نقيـم المستشـفيات والملاجـئ ؟ إنهم يرون أن هتلر كان محقا فى إبادة العجزة والمرضـى . ولكـن المتـأمل قليـلاً يجـد أن الذى يجعلنا نعطف على الشيوخ والمرضى إنما هو غريـزة الأمومـة . وقـد بـرزت هذه الغريزة إلى الوجود استجابة لحاجة محدودة هى رعاية النسـل مـا دام عـاجزاً عـن رعاية نفسه ، وبهذه الوسيلة كان الصغار مـن أى نـوع ينمـون حتـى يبلغـوا درجـات القوة والفحولة ، وبغير هذه الرعاية كان الصغار يتعرضـون للخطـر والمـوت ، ولـهذا كانت غريزة الأمومة ضرورية لبقاء الجنس . ولكن الطبيعـة تميـل إلـى المبالغـة فـى الغرائز التى لا غنى عنها لبلوغ غاياتـها مثـل غريـزة الأمومـة والغريـزة الجنسـية . فائض الغريزة الجنسية يذهـب إلـى الفـن والموسـيقى وسـائر الـهوايات ، وفـائض غريزة الأمومة التى أريد بها فى الأصل المحافظة علـى النسـل يتصـل بكـل مـا هـو ضعيف لا حول لـه .

إذن مبدأ العطف فى الواقع ما هو إلا امتداد لنشـاط غريـزة بيولوجيـة ، ونخـرج من هذا بنتيجة هامة وهى أننا قبل أن نقتل المرضى يجـب أن نخلـق غريـزة الأمومـة.

أما فيما يتعلق بقانون الأمانة الزوجية ، فأنصار الإباحيـة الجنسـية والحـب الحـر يقيمون دعواهم على حجة أنهم يتصرفون بما تقتضيه الطبيعـة ، وهـم يذكروننـا دائمـا أن الإنسان حيوان مـزواج ، ويسـتهزئون بالخليقـة الجنسـية ، والأمانـة الزوجيـة ، ويعتبرونها من مخلفات العصور الوسطى ، ولكن البـاحث المدقـق يجـد أن مـن ألـزم

الضرورات فى الدرجات الأولى من التطور إنسال أعداد كبيرة النوع لأن نسـ
كبيرة من هذه الأعداد كان مقضياً عليها بالفناء ، وكلما ارتقينا فى التطور زاد
غريزة الأمومة قوة ونماء وقل عدد النسل الضرورى لكل أم .

على أن هذه الغاية أمكن إدراكها بنجاح أعظم واقتصاد أكبر بنمو حياة الأسر
الذى ضمن حماية الأم فى أثناء فترة الإنسال ، ولأجل تدعيم حياة الأسر
والمحافظة عليها تطورت غرائز الإحادية الزوجية ، وحق لنا أن نقول إن الإنسا
حيوان أحادى الزوج .

هذا بالإضافة إلى أن مبدأ الأحادية الزوجية يتفق مع التطور الجنسى فم
المعروف أن نزعات التعدد الزوجى تكون مصاحبة للاندفاعات تجاه الجنس الآخـ
فيما بين سن ١٦ ، ١٨ ثم تظهر بعد ذلك نزعات الأحادية الزوجية ، وهكذا نر
أن مشكلة الحب الحر والأمانة الزوجيه ليست مسألة صراع بين الطبيعـ
والمواصفات الخلقة بل أن الصراع الحقيقى هو بين درجة أقدم فى التطور ودرجـ
أحدث من طور التعدد الزوجى وطور الأحادية . فالرجل الذى يحيا حياة تعد
زوجى لا يحيا وفقاً للطبيعة كما يتخيل ، وإنما هو قد عجز عن مسايرة الطبيعة .

مشكلة الحب والغزل

من أهم المشكلات التى تواجه الشباب من ١٦ إلى ٢٠ الميل إلى المداعبـ
والغزل وإيجاد ما يسمى بعلاقة الحب مع الجنس الآخر ، والشاب هنا يميل إلى فتا
تكون ذات سمات جسمية جميلة ويبدأ فى مداعبتها . وكثيراً ما تؤدى هذه المداعبة
وهذا الغزل إلى علاقات قد تصل إلى حد أن يهرب بعض الشباب من بيوتهم لأجل
أن يتزوجوا رغم أنف الوالدين ، ونحن نريد أن نلقى بعض الأضواء على هذ
المشكلة إضافة إلى ما ذكرناه فى ردود المشكلة السابقة .

- إن حياة الشاب الانفعالية فى هذه المرحلة لم تستقر بعد ، فاختياره شريكة حياته
فى هذه الفترة كثيراً ما يكون مدفوعاً بعوامل حسية جسمية شهوية بعيدة عن

الميول النفسية المستقرة . هذا بصرف النظر عن عدم قدرته الاجتماعية والاقتصادية على الزواج فى هذه السن .

❖ إن انشغال الشاب بصداقة فتاة ، وانشغال الفتاة بصداقة شاب كثيراً ما يؤدى فى هذه المرحلة وهى مرحلة التحصيل الدراسى القوى إلى فشل دراسى محقق .

❖ ثبت أنه ليس فى هذا المجال ما يسمى بالحب العذرى فما من شك فى أن العوامل الجسمية الغريزية تلعب دوراً كبيراً فى هذه العلاقة ، وإنشغال الفكر بهذه العلاقة وعدم قدرة تحقيق الإشباع الانفعالى السليم الذى يحققه الزواج يؤدى إما إلى ممارسة العادة السرية أو القلق والتبرم والتمرد على الأسرة ، أو الفشل الدراسى كما ذكرواً .

❖ كثيراً ما يدعى بعض الشبان أن تعلقهم بالفتيات هذه المرحلة يكسبهم عادات واتجاهات سليمة مثل احترام الجنس الآخر وصيانة النفس من الزنا أو الشذوذ الجنسى ، وكذا الأناقة وحسن الهندام والسعادة والشعور بوجود رفيق مخلص يأنس إليه فى سائر الظروف . والرد على هذا أن كل هذه الاتجاهات يمكن اكتسابها إذا درب الفرد نفسه على ذلك وإذا أندمج فى مؤسسات وهيئات اجتماعية دون أن يكون له علاقة حب بفتاة معينة ، ويجب أن نشير إلى أنه كثيراً ما تسبب هذه العلاقات الجنسية مشكلات عائلية معقدة .

❖ كثير من الشبان لم يكونوا صداقات مع فتيات وعاشوا فى فترة الزواج على أحسن ما يكون الحال ، بل أن فترة الخطوبة فى الكنيسة فى الواقع هى فترة الحب الروحى النفسى التى يختبر فيها الشاب شريكة حياته ، ويتفاهم معها على بنيان كنيسة المسيح فى منزلهما .

❖ ليس معنى هذا أننا ننصح الشاب إلا يكلم قريباته وأن يقاطع الجنس الآخر ، وهكذا بالنسبة للفتاة . ولكن الذى ننصح به أن المرحلة من سن ١٦ إلى ٢٠ مرحلة لا تصلح لتعيين شريكة الحياة نفسياً واجتماعياً واقتصادياً ، وعلى ذلك

يترك هذا الأمر للمرحلة التالية ، كما أننا نشير إلى اختبار كثير من الشبان طلبوا إرشاد الله فى اختيار الزوجة ، وتدخل الله بشكل واضح ، وكانت زيجاتهم موفقة سعيدة .

- إذا ما أكتشف أحد الآباء وجود علاقة بين ابنه مثلا وإحدى قريباته أو جيرانه فالعلاج أن يقنع الشاب بعدم جدوى هذه العلاقة وأن هدف هذه العلاقة هو الزواج الذى لن يتحقق إلا بعد مدة ، كما يحسن استخدام أسلوب حكيم فى هذه المعالجة حتى لا يتعنت الشاب وتتعقد المشكلة . كما أن إقناع الفتاة بأن صيتها وتقاليد أسرتها لا توافق على ظهور مثل هذه العلاقة كثيراً ما يحل المشكلة .

ولكن الطريق الوحيد للتخلص من العلاقة العاطفية بين الشاب والفتاة هو أن ينشغل قلب كل واحد منهما بمحبة المسيح ، لأن هذه المحبة هى وحدها القادرة على أن تملأ الفراغ النفسي والتعطش الوجداني ، وهى وحدها القادرة على أن تعطى النفس قدرة وتحكما وضبطاً للعاطفة ، وهى وحدها القادرة على أن تسمو بهذه العاطفة لتكون كل علاقة إنسانية حباً ، وليس شهوة وأنانية . وفى كنف هذه الحياة الروحانية يرشد الروح الشاب إلى من يختارها الله له كى تشترك معه فى تكوين حياة أسرية طاهرة .

معالم التربية الجنسية السليمة

أولا : الطفولة وتنقية اللاشعور

نعرف أنه بفاعلية سر المعمودية يولد الإنسان الولادة الثانية الجديدة أى الولادة الروحية كقول رب المجد : "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح" (يو ٣ : ٥ ـ ٦) وأنه بنعمة الميرون المقدس يصبح الإنسان هيكلاً للروح الله كقول القديس بولس الرسول : "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل الروح القدس" (اكو ٦ : ١٩) .

فكيف نصون هذا الهيكل مقدساً ؟ بمعنى آخر كيف نحفظ باطننـــا طـاهراً نقيـاً ؟

ولكى نوضح الخلفية النفســية لقــاء البــاطن يلــزم أن نســأل : مــا هــو بــاطن الإنسان ؟ أهو فقط أفكاره الداخلية التى تظهر آثارهـــا فـــى ســلوكه الخـــارجى ؟ الواقــع إن الباطن أكثر شمولا من كونه مجرد فكــر داخلــى .

هنا نذكر أن الحيـــاة الشـعورية بكــل مظاهرهـــا "الإدراك والوجـدان والــنزوع" تتحرك فى ثلاث منـــاطق :

- منطقة الشعور وتشمل المواضيع الأساسية التى يوجه الإنســـان انتباهــه إليــها .
- منطقة هامش الشـــعور وتحـــوى الموضوعـــات الأقــل وضوحـــا . فمثـــلاً إذا كنــت تســتذكر فـــى حجرتـــك بـــالمنزل . فـــالدرس ، وهـــو موضوعـــك الأساســـى ، أو الرئيسى، يكون فى منطقة الشعور . أما صوت سيارة فـــى الريـــق مثــلا فإنـــه يكـــون فى هامش الشـــعور .

فإذا أتينا إلى المنطقـــة الثالثـــة : وهـــى منطقـــة اللاشـــعور وجدنـــا أنـــها تشـــتمل الخبرات والذكريات التى رسبت منـــذ الطفولـــة ، بوجـــه خـــاص ، والتـــى لا نحـــب أن نظهرها إلى منطقة الشعور فنكبتها لا إراديا . هذا الكبت يـــؤدى عـــادة إلـــى مـــا يســميه علماء النفس "العقد النفســـية" .

وقد شبه علماء النفس عقل الإنسان بمـــاء جـــار : فمنطقـــة الشـــعور هـــى ســـطح الماء الظاهرى ، ومنطقة اللاشعور هى أعماق هذا المـــاء ، بمـــا تحتويـــه مـــن صخـــور وطحالب وزواحف . أما شبه الشعور فهى المنطقـــة التـــى بينـــهما .

وفى اللاشعور ، وهو البـــاطن العميـــق للإنســـان ، تكمـــن المواقـــف والذكريـــات والخبرات المؤلمة ، كما تكمـــن المخـــاوف والصـــور المفزعـــة ، والكثـــير منـــها ربمـــا يتحول إلى محركات لسلوكنا دون أن ندرى كنهـــه بـــالضبط . وباللغـــة الروحيـــة تكمـــن أيضا الخطايا المحبوبة لدينا التى ربما نشتهى عملها ولكـــن وجودنـــا فـــى مجتمـــع معيـــن

يحول بيننا وبين عملها . وقد نعملها إذا انتفى هذا القيد عنا ، كما لو ذهبنا إلى مجتمع آخر مثلا .

وفى اللاشعور أيضا تكمن مشاعر الفشل والحرمان والنقص وصور العلاقات والمواقف التى مرت علينا ، لا سيما تلك التى بين والدينا وهى تكون أكثر ثبوتا كلما حدثت فى مرحلة الطفولة المبكرة .

وقد ذكرنا حالة الشاب الذى كانت أسرته تخيفه من الكلام مع الجنس الآخر فنشأ وعنده "عقدة" إزاء أية فتاة حتى أنه كان يشعر بالخجل الشديد إذا طرق أصدقاؤه موضوعاً ذكروا فيه شيئاً عن الفتاة أو المرأة . بل أنه كان يرتبك إذا حدثته أية فتاة ، وما هذا السلوك إلا نتيجة ما كمن فى اللاشعور من مخاوف إزاء الجنس زرعت فيه منذ الطفولة .

والطفولة هدية الله للإنسانية فيجب أن ننتهزها ، ونستفيد من خصائصها ، كسعة الخيال ، والاستعداد للاستهواء والتأثير ، وللاستجابة للإيحاءات المختلفة . لنحشد فى منطقة اللاشعور عند الطفل حتى سن السادسة صور المحبة والفضيلة والأمل من وحى سيرة الرب يسوع والآباء القديسين ، وأعمال الملائكة ، وطقوس الكنيسة وهى مليئة بالأفكار والاتجاهات التربوية المتجددة فى أعيادها ، وألحانها ، وأيقوناتها ، وشموعها ، وبخورها ، وقرابينها ، وأنوارها ، ومباهجها ، كما فى زفة الصليب ودورة أيقونة القيامة ، وحفل الشعانين ، وكذلك فى آلامها كما فى أسبوع الآلام . ونلاحظ أن هذه الطقوس تتميز بأن الأسرة تستطيع أن تنقلها إلى المنزل ، لكن هذه الطقوس ليست لها قيمة فى ذاتها إلا إذا ارتبطت بالممارسة الروحية وبالسلوك المسيحى الحقيقى الذى يبرز معانيها الكامنة ويكشف عن مضمونها العميق ، فوضع أيقونة للعذراء فى المنزل ، وإيقاد القنديل أمامها عمل مبارك ولا شك ، فإذا اجتمعت الأسرة أمام هذه الأيقونة للصلاة أصبحت ، للأيقونة وظيفة روحية وهو عمل مبارك أيضا ، ولكن يبقى بعد ذلك أن تسلك الأسرة بروح الصلاة

فيتبادل أعضاؤها الحب والخدمة ، حينئذ تصبح الأيقونة مظهراً لمضمون روحى هو تنفيذ وصية المحبة وما الصلاة والأيقونة سوى التعبير الظاهر لتطبيق هذه الوصية . فإذا نشأ أطفالنا فى هذا الجو تشبعوا لاشعوريا ، ودون أن نبذل جهداً كبيراً معهم ، بالصور القدسية ، وبذرت فى أعماقهم بذور الحب ، حب الجميع بلا تعصب . وحب العبادة ، وإكرام القديسين ، مع الربط ، لاشعوريا أيضاً ، بين هذه كلها وما عليه الأسرة من تعاطف وترابط . ومما لاشك فيه أن زيارة الأب الكاهن للأسرة ورؤية أطفالها له وهو يصلى ، ويبارك ، ويقدس ، تؤكد ما بدأته الأسرة ، وتدعم القيم التى تعيشها وتوجه أطفالها إليها ..

بالإضافة إلى هذا ، نذكر أن المسيحية تحيط الطفل بجو الاستقرار العائلى حيث أنها لا تسمح بالطلاق أو بتعدد الزوجات فتحقق له الشعور بالأمان والحب والعطف والتقدير والحرية ، وتزرع فيه العادات الروحية بما يتفق مع سنه وإدراكه. فيتقبل نفسه ، من خلال نظرة الأسرة له وتعاملها معه بهذا الأسلوب مما يكون أساساً نفسياً قوياً للسلوك المرغوب فيه بعيداً عن مشاعر الذنب والنقص والفشل . كذلك من هذه الوسائل والعوامل جميعاً ، نضمن أن تتكون للطفل خلفية روحية واقعية ، تماماً كالمظلة الواقعية بلغة الحروب المعاصرة ، يمكن أن تقوم عليها ، مع تطور النمو ، قيم حب الله والكنيسة ، وما يصدر عنهما من وصايا . وأنا لا أدعى أن حشد اللاشعور بهذه الصور والأفكار كاف وحده بتكوين الشاب الطاهر . ولكننى أقول إن لهذه الصور والأفكار تأثيرها فيما بعد لأنها تغرس فى مرحلة التقبل والاستقبال ، وفى فترة التأثر بالإيحاء والاستهواء . وعلى الكنيسة والمدرسة والأسرة أن تتابع وتتعهد بعد ذلك ، وأعتقد أننى فى غنى عن التكرار بأن الأسرة المسيحية ، التى أحبت الله والفضيلة ، كفيلة بأن تجنب أطفالهم من الاتجاهات الخاطئة إزاء الجنس ، منذ الصغر ، وأن تحيطهم بالقدوة الفاضلة ، مصلية من أجلهم أن يحفظوا ويصونوا صورة الله المقدسة فى داخلهم . والكنيسة

مسئولة ولاشك عن توجيه الأسرة والأخذ بيد الوالدين فى تدعيم القيم المسيحية داخل نفوس الأطفال لينشأوا مهيئين لفترة شباب طاهرة ، يتفرغون خلالها لتثبيت ما تلقوه فى مرحلة "الطفولة" من روحيات ، لا للمعاناة من عقد واضطرابات تسبب لهم ولاشك الكثير من الضيق والارتباك .

ثانيا : الصبوة وأسس التربية الجنسية المستنيرة

ومن سن السابعة حتى الحادية عشرة تبدأ مرحلة "الاجتماعية" فيصبح للصبى أصدقاء يلعب معهم ، ويرافقهم إلى المدرسة ، وينسى معهم بعض أنانيته إذ بمشاركته لهم ، ومشاركتهم له ، يخرج عن ذاته إلى مجتمع أوسع ، ومفروض أن الأسرة تضع بذور حب الآخرين والاهتمام بهم ، فى نفوس أطفالهم منذ الطفولة المبكرة أى منذ سن السنتين ، فلهذا أكبر الأهمية فى غرس عادة احترام الغير ، واعتبار مشاعره وكرامته ، والمبالاة لحريته وملكيته .

وهذه هى جذور الولاء الاجتماعى ، أى للشعور بالقيم الاجتماعية وأهميتها ودورها فى قيام المجتمع الناجح المترابط .

وفى هذه المرحلة يبدأ تطلع الطفل إلى الطبيعة المحيطة به بكل مظاهرها من فلك وسماء ، وبحار وأشجار وإلى مختلف الكائنات التى تعيش بها وتتحرك فيها ، فينزع إلى الاستطلاع الذى يأخذ شكل العديد من الأسئلة . وهذه فرصة المربى الثمينة لإشباع هذا الاستطلاع بالإجابات الحكيمة المدروسة فى غير ملل ، ولابد أن ستتضمن أسئلة الطفل استفساراً عن سر الوجود ، وطريقة المجىء إلى الدنيا ، وهنا يمكن بالتوجيه المستنير أن يحصل الطفل على المعلومات الجنسية المناسبة إدراكه بلا كذب أو خوف أو مواربة . ونلاحظ أن من خصائص الطفل فى هذه المرحلة حبه للحيوانات والطيور ، وميله الشديد إلى مصادقتها والعناية بها ، بإطعامها وتنظيفها والجلوس إليها للتعرف على خصائصها وطباعها وطريقة معيشتها ، ويمكن للمربى أن يجعل من هذا الميل وسيلة لتعريفه بحقيقة وجود الذكر والأنثى ،

وحقيقة التكاثر والتناسل ، ليس فى الحيوان والطير فقط ، بل وفى النبات أيضاً ، فسيتقبلها الطفل بلا انفعال ، سيتقبلها تقبلاً بريئاً ، من مصدر نقى هو الأسرة ، وسيفتح هذا باب السؤال عن الإنسان فنربط تدريجياً بين هذه الحقائق الطبيعية وبين عمل الله فى خليقته ، وهكذا نضع أساس تقديس الفكر إزاء حقيقة لا داع للهرب منها لأنها جزء من صميم حياتنا ، ووظيفة حيوية لها أهميتها وخطورتها ، وبدلا من أن نسلك سلوك النعامة فنتجاهلها ونترك أولادنا يحصلون على معلوماتهم عنها من مصادر غير نقية ، من الأفضل أن نبدأ بها مبكرين فى أسلوب علمى روحى مستفيدين مما أودعه الله فى الطفل من ميل للكشف عن أسرار الطبيعة فى سمائها وأرضها ومياهها وطيورها وزواحفها وحيواناتها . وكيف يمكن لأى أب أو أم أن يعتذرا وقد منحهما الله طفلاً بريئاً خالياً من الشعور بالشهوة الجنسية لفترة لا تقل عن عشر سنوات ؟ أو أليست هذه حكمة إلهية ذات مقصد لا يخفى على الحكماء هو أن نهيىء أولادنا تهيئة طاهرة لحياتهم المقبلة ونملأ عقولهم الباطنة "أى لاشعورهم" بالصور والأفكار والخواطر الصحيحة حتى تكون قاعدة لحياة ناجحة فيما يلى من مراحل نموهم ؟ .

ولا عذر لأحد بكيف أبدأ ، ومتى ، وماذا أقول ، فوسائل الإعلام بمختلف أنواعها من مطبوعات وإذاعة وصحف بل وكتب العلوم والأحياء المدرسية تزدحم بالمعلومات المستفيضة والدراسات الوافية لهذه الموضوعات . والمهم ليس فى مجرد إعطاء المعلومات ، وإنما فى شعور الطمأنينة الذى يقترن بها والذى يكتسب منه الطفل شعوراً طبيعياً إزاء الجنس ، مقترناً بشعور احترامه وتقديسه لعمل الله فى خليقته بأنواعها المختلفة ، ولما فيها من جمال وبركة ، وتقدير منا لإنسانيته وإنسانية غيره ، صغر أم كبر ، وضرورة محافظته على عفتها وطهارتها .

ويؤكد هذا التوقير والتقديس سلوك والديه وعلاقة الحب والاحترام المتبادلة بينهما ، ومظاهر الحب العميق النابع من الوالديه والأمومة مما يعطى لمفهوم

الجنس لديه معناه الواسع الشامل . وبدلا من أن يستمع إلى هذا أو ذاك ، ويكون سلبياً ى موقفه ، يتحول إلى الإيجابية فيصحح ويفيد وببنى ، وبالتالى يشعر بقيمته وإنسانيته انعكاسا لما تلقاه عن والديه ، وانطباعا لجوه الأسرى والعلاقات السائدة فيه

وما نقوله للأسرة نقوله لخدام التربية الكنيسة ومدرسى الدين ، فيما لهم من تأثير على تلاميذهم يمكنهم توجيههم توجيها مستنيراً فى هذه الأمور .

ثالثاً : المراهقة والإعداد للحياة الطاهرة الثابتة

بعد مرحلة الصبوة ، أو الغلومة ، ويمكن أيضا تسميتها الطفولة المتأخرة ، التى يعيشها الصبى مع الطبيعة ، كما رأينا ، مستطلعا مظاهرها ، باحثاً عن بعض غوامضها بما يوجهه من أسئلة واستفسارات لمن حوله يعود فى مرحلتى المراهقة والبلوغ أى ما بين سن ١٢ ، ١٨ إلى نفسه يتفهمها ويتعمقها يريد أن يصل إلى أغوارها البعيدة فى ضوء التغيرات الجديدة التى حدثت له .

ولذلك كثيراً ما يخلو إليها فتحمله ويحملها على سحابة الأحلام لينطلقا بعيداً بعيداً فى الكون الفسيح إلى عالم المستقبل والحب والأمل العريض الذى بلا حدود .

ونجد هذا فى طبيعة تفكير الشباب يسجلونه فى مذكراتهم ، فيقول أحدهم : "وأسئلة عقلية أخرى كانت تراودنى : من أنا ؟ لمن أنتمى ؟ ما القيم التى أؤمن بها؟ ماذا يمكننى أن أفعل ؟ ما قيمتى لنفسي وللآخرين ؟ ما نواحى قوتى وضعفى ؟ ولا أجد إجابة لهذه الأسئلة إلا فى الخيال والاستغراق فى أحلام اليقظة ، والنتيجة كثرة العزلة والانفراد والسرحان فى وسائل الحصول على المال ، ومصادر القوة ، والحب ، والزواج" .

+ ويقول آخر "عندما بلغت الخامسة عشرة من عمرى كنت أنظر إلى الأشياء ولا أدعها تمر مرور الكرام بل أسأل نفسي دائما لماذا خلقت ؟ أو لماذا وجدت على

هذه الصورة ؟ .. وكان تفكيرى دائما يتعثر لأشياء رأيتها فى هذا السن دون أن أستطيع تفسيرها" .

ويقول ثالث "كنت أفكر وأطيل التفكير فى أمور كانت آنذاك عظيمة براقة بالنسبة إلى . كنت أسأل لم خلقنا ؟ وما الداعى لخلقنا بهذا الشكل ؟ وما نفع الحياة التى يليها الموت ؟ إلى غير ذلك من هذه الأسئلة الميتافيزيقية لا نهاية لها .

وكنت دائماً أحاول أن أتقمص شخصية الرجل الهم فأنفرد لوحدى مدعياً تفكير مع تقمص لشخصية الإنسان الغرق فى التفكير والمشاكل لا لشىء إلا أطرح على نفسى هالة من القداسة والاحترام .

ثم كثيراً ما أطرح على نفسى هذا السؤال ، هل هناك خير لمجرد الخير ، وشر لمجرد الشر ؟ وهل يوجد حد فاصل بين الاثنين؟ وما هذا الحد ؟ وإن لم يكن هناك حد ما فما الذى يحدد إلى أى جانب ينتمى هذا الفعل أو ذاك ؟ بمعنى آخر إن كل فعل قد ينتمى إلى جانب الخير أو إلى جانب الشر ولكن ما هو المعيار الذى يحدد ذلك ؟ هل هو تحكمى أو نسبى ؟ أى هل نحن الذين حددناه أم أننا قسناه بالمقارنة إلى عمل أخر ؟ وأخيراً كنت أصل إلى أنه ليس هناك شيئاً مطلقاً على الإطلاق ... إذ أن أى شئ فى الوجود وجوده نسبى بنسبته لشىء آخر ، وهذا الوجود كله .. كنت أتساءل عن ماهيتى أنا .. فقد كانت ذاتى هى السر المستعصى الذى لا زال مستعصياً علىّ من أنا ولم خلقت ؟ وهل كان ضروريا أن أخلق ؟ ولماذا أتعرف تصرفا دون الآخر ، وما الداعى إلى ذلك ؟ ولم خلقت على دين معين ؟ ولم لم نخلق جميعاً على دين واحد ؟ وظاهرة التعصب لم توجد ؟ لماذا لا تكون البشرية مرنة أكثر ومنطقية بتفكيرها ؟ أما آخر سؤال كنت أجد الحرج إن تحدثت به مع شخص آخر فهو هل الإنسان مسير أم مخير ؟ ولماذا النار والجنة ؟ ما سرهما ؟ ولماذا يغيب عنا ..؟ كانت هذه الفكرة تأخذ جل وقتى وكان تفكيرى كله يتجه حول إيجاد نهاية لهذا التفكير .. كنت كمن وضع فى غرفة مظلمة لا

يدرى ماذا يفعل إن أخطأ : هل هو المسئول عن خطئه أم أن الظلام المطبق فى الغرفة هو الذى حدا به إلى هذا الخطأ ؟ إذ لو كان ثمة نور فى هذه الغرفة لتعرف على كل ما يحيط به وتجنب بعض الخطأ الذى سببه هذا الظلام .. ولم أجد فى النهاية خيراً من أن أعتقد بخالق الكون ببساطة ، وبخضوعنا له طالما نحن عباده . "إنتهى كلام الشاب" .

وواضح من هذه الأمثلة كيف يقوم الشباب فى هذه المرحلة بعمليه عقلية على جانب كبير من العمق إذ أنها عملية تأمل دقيقة لنفس ، وما انتقل إليها من خبرات فى المراحل السابقة ، مقترنة بعملية أخرى لا تقل عنها أهمية وهى تقييم هذه الخبرات . والنفاذ منها إلى الحكم على وضع الإنسان ككل داخل هذا الكون ، ومحاولة استعماق سلوكه وأفعاله والرغبة فى معرفة أصولها وأسبابها ونتائجها . ولا يقف هذا التأمل والاستعماق عند حد الوجود فى هذا العالم وإنما يعبره إلى العالم الآخر فيفكر الشاب فى المصير الأبدى ومدى صحته ، ويسأل نفسه كثيراً ، وتبلغ به الحيرة كل مبلغ ، بل ويأخذ به القلق أحياناً خاصة إذا لم يجد المرشد الموجه الذى يقنعه .

ولا يقف تفكير الشاب ، بطبيعة الحال ، عند حد الأمور العقلية ، ولكنه يفكر ولاشك فى الأمور الجنسية ، فى الحب والزواج والعلاقات مع الجنس الآخر ، وكما أنه تساءل هل الإنسان مسير أم مخير هكذا يتساءل أيضا ما المقصود بالنجاسة ؟ وما معنى الشهوة ؟ وهل الحب خطأ ، وإذا كان خطأ فلماذا وجدت عاطفته ؟ ولماذا خلقنا ذكراً وأنثى ؟ وما دام إشباع الشهوة كما يوافق عليه الدين والمجتمع لا يتحقق إلا بالزواج ، فلماذا نحس بها قبل الزواج بمدة طويلة ؟ . أسئلة كثيرة تقلقه ولاشك ، وتعوزه الإجابة عنها بالتفصيل والإسهاب ليقتنع ويؤمن .. ولعلها تتبلور فى محاولة تكوين علاقات مع الجنس الآخر . والواقع أن الشاب ، لاسيما فى الآونة الحاضرة ، يجب أن يكون على مستوى المسئولية . إن هذا التعلق إذا وضع تحت بصيرة

مستنيرة عاقلة لظهر سؤال واضح ، وماذا بعد ؟ ولنا في الحالة الآتية مثال واضح يؤكد أهمية توفر هذه البصيرة :

يقول الشاب صاحب هذه الحالة : "وأذكر أنني كنت منهمكا في المذاكرة ، وبعد فترة من الوقت قمت استنشق نسيم الهواء وقت الغروب ونظرت من النافذة فرأيت فتاة تجاوزت الرابعة عشرة تنظر إلى وابتسامتها العريضة على شفتيها ، ثم لحظات وأحضرت قطتها الجميلة وأخذت تداعبها وتحتضنها لتلهب مشاعرى .

وقتها أخذت أفكر شارد المشاعر : هل ابتسم واستجيب لابتسامتها ؟ وماذا بعد ؟ هل أسير فى الطريق من إعجاب إلى حب أم أقف ساكناً غارقا فى تفكيرى ؟

وما هى إلا لحظة حتى كنت قد وصلت إلى الحل فقد اتضحت أمامى معالم الطريق .

ما هى هذه المعالم ؟ إن أمامى هدفاً كبيراً لابد أن يتحقق . لقد تحملت مسئولية تحقيقه . ولم أدع فرصة لضياع هذا الهدف .

الهدف هو مستقبلى .. فتركت الفتاة تداعب قطتها ودخلت إلى غرفتى لأكمل السير فى الطريق .. لقد كنت أكبر إخوتى فوضعت فى ضميرى أن أكون عند ثقة والدى بى .. وكانت أسرتى وحدة واحدة ، كل يشارك فى خدمتها ، فقد كان كل فرد يؤدى الواجب الذى عليه ، ويشعر أن أى شيء يلحق بأى فرد فى الأسرة فكأنه لحق به "انتهت مذكرات الشاب" .

وهكذا كان تعقل هذا الشاب ، وتقديره لظروف أسرته ، ووزنه لمسئولياته ، ونظرته البعيدة للمستقبل ، سبباً فى تجنبه علاقة لا يدرى عواقبها ، فلطالما طرحت كثيرين صرعى .

والواقع أن اهتمامنا بمراحل النمو السابقة للمراهقة ، كما رأينا فى الفصول السابقة سيسهل على أبنائنا ، فى مرحلتى المراهقة والبلوغ ، مواجهة أنفسهم ، وسيجنبهم بالتالى عناءاً كبيراً . إن صداقتهم مع والديهم ، وحبهم للكنيسة ، وامتلاء

عقولهم بصور الفضيلة ، ومواقف التعاطف والسلام ، سيمكنهم لاشك من التحكم فى انطلاق أفكارهم من ناحية ، وفى انفعالهم بالشهوة ، وهو انفعال طبيعى ، من ناحية أخرى ، حتى يعبروا هذه المرحلة بسلام . وللأسرة دورها الكبير ولاشك فى هذا العبور .

يقول أحد الشباب "وبالرغم من انفتاح طريق اللهو أمامى كانت هناك الأشياء التى تمنعنى وتنهانى عن الوقوع فى المعاصى والخواض فى الشهوات . كانت هذه الأشياء هى القيم الخلقية التى ربيت عليها ، والتى نشأت عليها ، وكان هناك ضمير قوى الصوت ، صدى صوته يملأ جوانحى فلا أنام إلا إذا كنت فى وفاق بينى وبينه" .

وواضح من هذه المذكرة أن صاحبها يملك ضميراً مدققاً لاشك أن للأسرة دوراً كبيراً فى تكوينه ، ومما زاد من تدقيق هذا الضمير أن هذا الشاب كانت له أخوات فتيات ، يقوم هو عن شعوره إزاء هن : "كنت أخشى عليهن من لفحه الهواء فكانت هذه الصورة تمنعنى من الوقوع فى أخطاء أكبر منى" . ولعله بهذا المبدأ يطبق عملياً وصية الرب يسوع "ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضا بهم هكذا" .

وهذا شاب آخر يقول : "كان لى من وزاعى الدينى والخلقى عاصم يمنعنى من أن أرتكب أى خطأ .. وكان والدى يراقبنى عن بعد . وحين كنت أخطىء كان يوجهنى إلى الطريق السليم دون أن يمس كرامتى أو يجرح شعورى ، ودون أن أشعر بالامتهان حتى فى سن المراهقة بالرغم مما فيها من تغيرات . وعلى هذا شعرت بكيانى وسط الأسرة .

وفى سن المراهقة بالذات كان والدى ، لسبب أو للآخر ، يجعلنى نائباً عنه فى جميع أمور أسرتنا ، ويبدو أنه كان يريدنى أن ازداد ثقة بنفسى وبشخصيتى وهكذا كانت معاملته مع إخوتى . ولذلك فإنه من أهم العوامل التى تساعد الشاب

على أن يخرج من محنته هى ثقته بوالديه وثقة والديه بـه ، بشرط أن لا تكون حرية الابن زائدة عن الحد" "إنتهى كلام الشاب" .

ولا يحتاج هذا الكلام إلى تعليق فنحن هنا أمام أسرة حكيمة كان لمعاملتها أكبر الأثر فى إشعار أبنائها ، وهم بعد صغار ، بكرامتهم كما نمت فيهم الوازع الدينى والخلقى ، فكان اجتيازهم لمصاعب المراهقة هيناً سوياً .

وهذه الحالة ثالثة لكنها تضم موقفاً أكثر تفصيلاً .. يقول صاحبها : "أثناء وجودى بأحد المصايف مع العائلة تعرفت إلى إحدى الفتيات التى كانت تسكن إلى جوارنا فكنت أذهب معها للنزهة على الشاطئ مساء حتى أوشكت أن أغير من أخلاقى الطيبة . لولا أن وصل الخبر إلى أمى التى نقلته بدورها إلى أبى الذى كنت أعمل له ألف حساب .

وقد ظننت أنه يثور فى وجهى وأنه سيعود بنا من المصيف بمجرد سماعه هذا النبأ ولكنى فوجئت بموقف إنسانى تربوى لن أنساه منه طالما جيت .

فقد أخذنى والدى بعيداً عن الأعين الفضولية التى كانت تترقب ثورته ، وأخذ فى مصارحتى حتى جعلنى أعترف له أنا الخائف منه !! ثم أخذ ينصحنى ويرشدنى إلى الطريق الصواب .

وقد أثبت أنه على فهم بمشاعر الشباب ، وهذا ما شعرت به أثناء حديثه معى، وكان أن اعتدت على مصارحته بكل مشاكلى سواء كانت صغيرة أو كبيرة ، لأننى لم أزل قليل الخبرة بالنسبة له ، ولأنه كان خير من يسدى إلى النصح .. لذلك فأنا أرى أن فترة المراهقة مرت عندى بسلام وبدون أى نوع من أنواع الانحرافات الشاذة ، أى أنها كانت مراهقة سوية لم أتعرض فيها لمشاكل كثيرة أو معقدة .

والشاب يعترف هنا أن لوالده أكبر الفضل فى توجيهه بمواقفه التربوية السديدة ، وطريقته الحكيمة فى الحديث إليه منفردين بعيداً عن "الأعين الفضولية" حتى لا

يحرجه ، وبذلك عبر مرحلة المراهقة دون مشاكل لأنه اعتاد أن يصارح والده بما يقابله من صعوبات ، فيعطيه والده فيها الرأى السديد الحكيم .

ولقد أجرى بعض الباحثين دراسة من واقع مذكرات الشباب وتمكن من حصر الكثير من العوامل التى تؤدى بالمراهقين إلى التغلب على مصاعب هذه المرحلة ، وقد لخصها فى :

- ❖ المعاملة الأسرية المعقولة بالجمع بين الحزم والرفق .
- ❖ إتاحة قسط واف عن الحرية والتقدير للمراهق .
- ❖ الاختلاط بالجنس الآخر عائلياً فى جو من الاحترام والقدسية .
- ❖ تشجيعه على ممارسه هواياته .
- ❖ موقف الآباء كموجهين .
- ❖ انتقاء الأصدقاء .
- ❖ كفاية المصروف اليومى .
- ❖ إشراك الشاب فى مجالات الخدمة الدينية والرياضية والاجتماعية .
- ❖ وضوح قدوة الوالدين واستقرار العلاقات الأسرية .

هذا من الناحيتين النفسية والاجتماعية ، فماذا عن الناحية الروحية ؟ لقد ذكرنا أن المسيحية تستهدف تكوين الإنسان الجديد ، وبينا كيف أن هذا الإنسان الجديد يولد الولادة الروحية ، فيتسلح بالنعمة ، ويبقى أن تعمل الأسرة والكنيسة ، والشاب نفسه ، على صون هذه النعمة والنمو فيها وبها . ولعل من أهم مظاهر النمو فى النعمة تدريب الإرادة على الحياة الفاضلة . يقول القديس بولس "تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه . أعرف أن أتضع وأعرف أيضا أن أستفضل . فى كل شئ قد تدربت أن أشبع وأن أجوع وأن استفضل وأن أنقص . أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقويني" (فيلبى ٤ : ١٢ ، ١٣) وبتوجه هذا القديس المختبر إلى تلميذه تيموثاوس

بنصيحة هى نصيحة لكل شاب : " فتقوَّ أنت يا إبنى بالنعمة التى فى المسيح يسوع" (٢تى ٢ : ١) .

إن عمل النعمة فى حياة الشاب الطاهر عمل معجزى فهو ينقله عن مستوى الإيمان إلى مستوى القديسين والشهداء . فليس الاستشهاد هو تقديم المؤمن نفسه للموت فقط ، ولكنه طاعة الوصية والفناء فيها ، وقطع الطريق على كل شر وشبه شر ، وهذا يتطلب جهاداً ، وصلباً للأهواء ، وتسامياً بالانفعالات لترتقى إلى المستوى اللائق ببنوتنا لله . وهكذا فى احتمالنا وصبرنا وصلبنا لأهوائنا كقول القديس بولس : "الذين هم للمسيح يسوع قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" فإننا نقدم أعضاءنا آلات بر لله لتثمر فى المسيح الذى حررنا من سلطان الخطيئة والشيطان . وهذا هو إيماننا ، أن الذين معنا أكثر من الذين علينا ، وأن أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون ، وأنه حتى لو سقطنا ، فبالنعمة التى فينا سرعان ما نقوم ونتابع الجهاد ، لأن رئيس هذا العالم حتى لو أتى فإنه ليس له فينا شئ .

لقد وهُب لنا لأجل المسيح لا أن نؤمن به فقط بل أن نتألم أيضاً لأجله ، فمن أجله نمات طول النهار ، ولا يعنى هذا أننا نفنى ، إنما نجاهد "لأنه لا يكلل أحد إن لم يجاهد قانونياً" .

نجاهد حتى لا نخطئ . فالمولود من الله لا يخطئ ولا يقدر إبليس أن يسمه ، نجاهد لكى ننتصر فانتصارنا علامة اكتمال حبنا للمسيح الذى نحبه لأنه أحبنا أولا . نجاهد لأننا إن أخطأنا فكأننا نصلب ابن الله ثانية ، وكيف يهون علينا أن نصلبه ؟ نجاهد لأننا فى النهاية سنصل إلى الملكوت كما يقول يوحنا الرائى "من يغلب فسأجعله عموداً فى هيكل إلهى" .

لذلك اتسم الجهاد المسيحى بالهرب من الخطيئة ، ليس عن خوف ولكن عن قوة . فمواجهة الخطيئة إشباع لقوى الفطرة فينا . وهذا هو الاستسلام للخطية . أما

تجنبها والهرب منها فهو علامة الحب الحقيقى للمسيح ، وسمة الجهاد الروحى ، والقوة التى يتصف بها أولاد الله الحقيقيون .

ولو تأملنا سيرة يوسف الصديق لوجدناه قد هرب من الخطيئة التى لما طاردته فى شخص زوجة فوطيفار "ترك ثوبه فى يدها وهرب وخرج إلى خارج" (تك ٣٩ : ١٢) لأن الخطيئة خاطئة جداً ، وأجرتها موت . ولذلك ينصح القديس بولس تلميذه الشاب تيموثاوس قائلاً : "أما الشهوات الشبابية فأهرب منها" (٢تى ٢ : ٢٢) لكنه لا يقف به عند حد الهرب ، فالهرب هو الأسلوب السلبى إنما يكمل توجيهه إيجابياً فيقول "واتبع البر والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقى" لأنه كما قال ربنا له المجد ، "طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله" .

إن الإرادة الإنسانية فى المسح تتحول إلى قوة غالبة ، وإلا لما طلب منا الرب أن نكون كاملين ، وأن نكون نوراً للأخرين .

وكما أنه أمرنا بالكمال هكذا أعطانا النعمة التى تقوينا على تحقيق هذا الكمال.. يقول القديس بولس "أنا ما أنا ولكن نعمة الله التى معى" كما يقول : "شكراً لله الذى يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح" وقد تمم الرب بفدائه أن نتحرر من سيطرة أجسادنا وأهوائنا فيقول لنا : "إن حرركم الابن فبالحقيقة تصيرون أحراراً" . أما القديس بولس فقد كشف عن التطبيق العملى لهذه الحرية حين قال "كل الاشياء تحل لى .. لكن لا يتسلط على شئ" (١كو ٦ : ١٢) .

بقى بعد ذلك سؤال يطرح نفسه ، وماذا عن الشاب الذى لا يجد هذه العوامل المشجعة ؟ إننا لمثل هذا الشاب بالذات نكتب هذا الكتاب لعله يستطيع من خلال ما فيه من دراسة أن يواجه نفسه وينتقى مرشداً صديقاً يصارحه ، وأبا روحيا يوجهه ويصلى من أجله . والظروف ، أى ظروف ، مهما استطالت مدتها ، غير دائمة ، فلابد أن تتغير ، ومع ذلك فيمكن للشاب أن يستعين باخوته من أصدقاء وخدام

التربية الكنسية على إحاطته ببيئة جديدة يعيد فيها تشكيل شخصيته وتدريب نفسه على الفضيلة بالصلاة ، والصوم ، والتوبة الصادقة ، وقراءة الكتاب المقدس ، والكتب الروحية ، مع شغل وقت الفراغ ، والانطلاق إلى بعض أنواع الرياضة والهوايات ، والدراسات الجادة ، والاتجاه إلى خدمة بعض العائلات المعوزة ، فالعمل النافع يؤدى بالشاب إلى زيادة احترامه لنفسه وتجنبه لمواطن الزلل وأصدقاء السوء .

ولقد وجد الكثيرون من الشباب فى صداقة الأب الكاهن ، واخوة التربية الكنسية ، بديلا ناجحاً لما قد فشلوا فيه فى محيط أسراتهم ومدارسهم ، كما وجدوا فى لقائهم مع المسيح نقطة بدء جديدة لحياتهم فنسوا الماضى بأخطائه وضعفه وانحرافاته ، وخطوا لأنفسهم خطاً جديداً بكل ما تحمل الكلمة من معنى .

مسئولية الأسرة والكنيسة إزاء منهج روحى تربوى

١ ـ فى مرحلة الطفولة

١ ـ يلزم أن يشبع الطفل بطفولته ، يستكمل كل بناء لنفسه ، يعيش فى جو مليىء بدفء الحب ، يشعر أنه محبوب من جميع أعضاء الأسرة . لأن هذه الذخيرة التى تمتلئ بها نفسه هى التى ستجعله قادراً يوماً من الأيام أن يعطى ويبذل دون أحساس بجوع أو حرمان عاطفى .

٢ ـ يلزم أن يجد من الوالدين قدوة فى علاقات الحب بين بعضهما بعضاً . لأن الحب يقتدى ويمتص ويحتذى ، وليس موضوعاً للوعظ أو التلقين . فالوالدان اللذان يحبان بعضهما ويحبان أولادهما حبا صادقاً هم أكثر الناس قدرة على تسليم حياة الحب الصادق للأجيال الآتية من نسلهم .

٣ ـ يلزم عدم تخويف الطفل من الأمور الجنسية ، وخاصة فى مراحله الأولى من العمر ، حيث أن عقدة الاشمئزاز والتقزز من الجنس تهدد نمو الإنسان عندما تنشأ فى السنين الخمس الأولى من العمر . لهذا فإن مسئولية الأم ، خاصة ،

مسئولية كبيرة إزاء تنمية اتجاه البساطة والنقاوة والوقار ، إزاء كل ما هو جنسي وتناسلي .

٤ ـ يلزم أيضا عدم التفريق بين الذكر والأنثى في مراحل الطفولة حتى لا يتربى عند أحدهم عقدة الاستعلاء والتدلل ، وعند الآخر عقدة النقص والكراهية .. إن المعاملة الثابتة المتزنة من أهم الأسس التى تقوم عليها التربية النفسية الجنسية السليمة .

٥ ـ ويلزم أيضا إبعاد الطفل فى سنيه الأولى وخاصة ابتداء من السنة الثانية أو الثالثة عن مضجع الزوجية ، حيث أن كثيراً من الخوف اللاشعورى عند بعض الشباب وجد أنه مترسب من مشاهدة العملية الجنسية فى الطفولة الأولى ، واعتبرت عندهم عملا عدوانياً كريها وكبتت فى اللاشعور وأثمرت كراهية لكل ما هو جنسي .

٦ ـ ويلزم أيضا الإجابة عن الأسئلة التى يبديها الطفل فى مراحله الأولى عن الأمور الجنسية والعلاقة بين الرجل والمرأة بأسلوب هادئ طاهر يتسم بالصراحة العاقل وعدم الكذب أو اللف ، مع استخدام الألفاظ شبه العلمية حتى لا ترتبط الأمور الجنسية عنده بالقبح والقذارة . إن المنزل قادر أن يمسح كل تأثيرات الانطباعات السيئة التى يحملها الطفل من المدرسة والبيئة المحلية .

٧ ـ وكذلك يحسن بالمنزل ومدارس التربية الكنسية أن تحكى للطفل قصصاً كثيرة ومتنوعة عن الحب والوفاء الذى ربط أزواجا مع زوجاتهم سنين طويلة حتى ترتبط خبرة الزواج والعلاقات الزوجية بالوفاء والحب الطاهر والأمانة والمودة. وليس من المنطق أن تهاون مع الطفل أو مع المراهق إذا لجأ فى بعض تصرفاته إلى أساليب الغش والخداع والكذب سواء فى ألعابه أو فى تأدية واجباته المدرسية ثم نطالبه فيما بعد أن يكون وفياً مخلصاً فى عمله أو فى حياته الزوجية ، فإن الاتجاه نحو الوفاء أو نحو الغدر والخيانة من الاتجاهات

العامة التى تصبغ الشخصية بصبغتها الشاملة . فإذا كان أسلوب الشخص فى حياته هو الوفاء بالوعد والإخلاص فى العمل فمن المحتمل جداً أن يكون وفياً مخلصاً فى جميع أمور حياته وأن يبدى هذا الاتجاه الذى يميز الشخصية المتكاملة .. والحياة الزوجية عمل جدى متصل الحلقات لا يمكن الشروع فيه ومواصلة السعى بنجاح ما لم تكن الشخصية متسقة تصرفاتها ، متكاملة فى دوافعها وأهدافها ، متصفة بالوفاء والإخلاص .. فالزواج هو امتداد طبيعى لحياة سابقة واختبار لنوع تربية عاشها الإنسان فى بيته قبل أن يغادره إلى منزل الزوجية .

٢ ـ فى فترة المراهقة والبلوغ الجنسى

وبالرغم من أن عملية التربية عملية مستمرة إلا أن مرحلة المراهقة والبلوغ الجنسى بالذات تحتاج إلى عناية وإشراف وتوجيه من المربين والمرشدين .

ويمكننا أن نلخص مسئولية الأسرة والكنيسة لهذه المرحلة فيما يلى :

١ ـ أن نساعد المراهق على النضوج فى وثبته الروحية التى هى طبيعته فى هذا السن . نشجعه على أن يتلامس مع الرب يسوع تلامساً اختبارياً حقيقياً ، ونساعده على أن يكتسب حياة دينية عميقة بقراء الإنجيل والصلاة والاعتراف والتناول وممارسة أعمال المحبة والبذل .

٢ ـ أن نساعده على التخلص من التركز حول الذات إلى الوضع الباذل حتى إذا ما تخلص من النرجسية تمكن أن يعرف الفارق الجذرى بين الحب الحقيقى والعشق الكاذب والاضطراب الشهوانى والتخطيط العاطفى .

٣ ـ أن نساعده على أن ترتكز حياته على المحبة ، ومن خلال فضيلة المحبة تنبع الطهارة والعفة ونقاوة القلب وصفاء الذهن وقداسة الأعضاء والهيكل الجسمى . يلزمه أن يعى الفارق الشديد بين العفة المستنيرة وبين الكبت المضر أو الفريسية المريضة التى تحمل بين طياتها اهتماماً شديداً مريضاً بالجنس .

٤ ـ أن نهيئ له فرص الجلسات الفردية والتوجيه الشخصى وخاصة أمام الأب الكاهن فى الاعتراف حيث تستطيع الكنيسة من خلال سر الاعتراف تقديم التوجيه الصحيح والإرشاد المناسب والإجابة السليمة لكل سؤال وحيرة وموقف يريد أن يعرف له حلا أو إجابة أو تبيانا .

٥ ـ ألا يتحول الوالدان إلى جهاز سرى يراقب كل تصرفاته أو أوراقه فى مكتبه . لأن مثل هذا التصرف يفقد الشاب ثقته فى نفسه أو يجعله ثائراً على السلطة المنزلية .. إن العطف الوالدى مع شئ من الحزم إذا لزم الأمر أفضل بكثير من الطرق البوليسية المنفرة .. إذا استطاع الوالد أو إذا استطاعت الأم أو إذا استطاع خادم التربية الكنسية أن يكون مرشدا عطوفا نصوحا للشباب فإنه سيلجأ إليه عند أى أزمة ، وسيطيع توجيهاته الهادئة المقنعة المليئة بإحساس العطف والمشاركة والحنو وتقدير الموقف .

٦ ـ ولكن فى نفس الوقت يلزم للوالدين أن يكونا صاحيين ، فليس من المعقول أن توجد فى المنزل خادمة شابة فى بيت به شبان أو مراهقون ، أو خادماً بالغاً مع شابات أو مراهقات .. إن حرباً شديدة مثل هذه يلزم أن نجنب المنزل تجاربها مهما كان الجو متدينا .

٧ ـ وإذا شعر الوالدان أن ابنهما أو ابنتهما قد بدأ ينجذب إلى أحد الأقارب أو الأصدقاء من الجنس الآخر فلا يسرعان إلى أسلوب المقاطعة والتهديد . كما لا يهملان هذا الموضوع نهائياً ، وإنما يلزم معالجته بهدوء وصبر وإقناع . إن توضيح معنى الحب للمراهقين وشروطه كما أوضحها هذا الكتاب وإبراز خطورة الارتباط العاطفى قبل استكمال النضج النفسى والجسمى والروحى وشغل أوقات المراهق بما هو مفيد ومسر ، سواء من ناحية الهوايات أو الرياضة أو الخدمة مع ضرورة الصلاة من أجله حتى يعبر به الرب أزمة المراهقة بسلام .. كل هذه الوسائط لازمة للتربية فى هذه المرحلة .

٨ ــ وعندما يصل الشاب أو الفتاة إلى مرحلة الجامعة يستقبله الجو الجامعى المختلط وهو مجال جديد بخبراته والتزاماته .. لهذا يلزم التوجيه وخاصة من الكنيسة ومدارس التربية الكنسية عن كيفية التعامل والتفاعل وحدود وأبعاد الاتصالات وخاصة مع الجنس الآخر وعندما يبلغنا الشاب المجابه بواحدة من زميلاته نشرح له أن هذا الموضوع سابق لأوانه لأنها هى لا تستطيع أن تلتزم به قبل استكمال مرحلتها الجامعية ، وهو أيضا لا يستطيع أن يلتزم بها إلا بعد التأكد من تمام نضجه العاطفى ، كما أن الإعجاب الخارجى هذا كثيراً ما يحمل نوعاً من الرومانسية والخيالية ، وعلى الكنيسة أن تسحبه من هذه التجربة بهدوء ، منتظراً فى عفة وصبر ، مجىء الساعة المناسبة للتقدم إلى شريكه حياته فى حرية ونضج ووعى وبذل والتزام مسيحى سليم .

٩ ــ ويحسن بنا أن نشير أيضا إلى أن مجالات أسر الشباب الجامعى الدينية التى انتشرت كثيراً فى هذه الأيام تحتاج إلى إشراف روحى ومراقبه وتوجيه دقيق حتى لا تتحول إلى مجالات للتعارف والصداقات التى تتحول بمرور الأيام إلى صداقات عاطفية تجرح عفة الطرفين وتسيىء إلى الجو الدينى الذى يلزم أن يتصف بالصفاء الكامل . ونحن ننصح الشبان والشابات المتدينات ألا ينزلقن فى تيار القلة المستهترة بالقيم الروحية المعجبة بغرور هذا العالم والدون جوانية الكاذبة . وليحافظ كل واحد منهم على سره الروحى والعاطفى ، وعفته ، وملئه الداخلى ، حتى لا ينكشف هذا كله إلا لمن أعطاه الرب له شريك حياة ورفيق جهاد فى حياة زوجية مقدسة مباركة .

وفى ختام معالجتنا للتربية الدينية خلال مراحل النمو نجمل الاتجاهات الهامة التى أبرزتها الدراسة فيما يلى :

١ ــ أساس التربية الدينية الأسرة ، وبدون أسرة مسيحية يصعب تربية الناشئة تربية دينية سليمة ، فإن قدوة الوالدين حجر الزاوية فى النمو الروحى .

٢ ـ أسلوب معاملة الآباء والمدرسين لأبنائهم يجب أن يكون أسلوب المعاملة الثابتة المتزنة ، ويقصد به المعاملة التى تتسم بطابع المساواة وبطابع الاستقرار والثبوت والاتزان وحسن التفاهم ، خالية من التدليل ومن القسوة والعنف والتخويف ، ومن التذبذب بين الصرامة والتدليل .

٣ ـ إن الأسرة مسئولة عن مرحلة الطفولة ، بينما المرشد والأب الروحى مسئول عن المراهق والبالغ ، لأن الشاب يحترم السلطة الخارجية ويعطى ظهره غالباً للسلطة المنزلية .

٤ ـ إن المرشد الروحى يجب أن يتسم بالعطف والحب ، وكذا بقوة الشخصية وسمة الأفق والقدرة على الإحساس بمشكلات الآخرين .

٥ ـ تستخدم فترة الطفولة لوضع أسس الإيمان ، بينما فترة المراهقة والبلوغ تحتاج إلى اختبار التوبة المستمرة والشركة مع الله بالروح حتى نضمن سلامة بنيان الإيمان وعدم انحرافه .

٦ ـ إن العناية بشخصية الناشئ يجب أن تكون متكاملة فلا نهتم بنموه الروحى ونهمل بقية جوانب الشخصية لأن الشخصية كل متكامل ، وكل جانب يؤثر على الآخر تأثيراً بالغاً .

ومن ثم يجب العناية بالنمو الجسمى والنفسى والمعرفى والاجتماعى بجانب الاهتمام بالنمو الروحى ، مقتدين بالرب يسوع الذى كان يتقدم فى الحكمة (النمو العقلى) والقامة (النمو الجسمى) والنعمة (النمو النفسى) عند الله (النمو الروحى) والناس (النمو الاجتماعى) (لو ٢ : ٥٢) .

الفصل الخامس

الشخصية الإنسانية وعمل النعمـــة فيـــها

١ ـــ مكونات الشـــخصية

٢ ـــ انماط الشخصية وعمل النعمـــة فيـــها.

٣ ـــ عمل النعمة فى مواهـــب الشـــخصية.

٤ ـــ الشخصية والتكيف الاجتمــــاعى.

انحرافات الايمـــان.

الفصل الخامس

الشخصية الإنسانية وعمل النعمة فيها

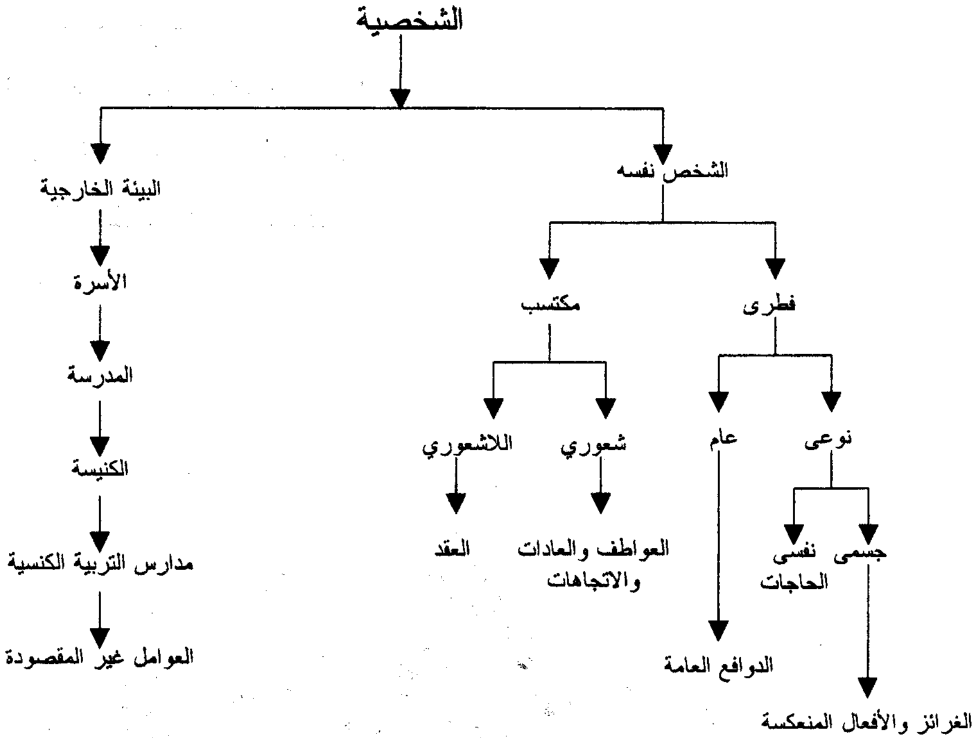

الشخصية الإنسانية وعمل النعمة فيها

تتناول هذه الدراسة أربعة جوانب رئيسـيـة هــى :

١ ــ مكونات الشخصية ، وعمل النعمـــة فيــها .

٢ ــ طراز الشخصية ، وأثر الحياة الروحيـــة فيــها .

٣ ــ مواهب الشخصية ، وعمل النعمـــة فيــها .

٤ ــ تكيف الشخصية الاجتماعى ، ودور الحيـــاة الروحيـــة فيــه .

الجانب الأول يتناول تحليلاً لمكوناتها بينما يبين الجانبان الثانى والثالث الفارق بين شخصية وأخرى ، ومدى هذا التمايز ودور الحياة الروحية فيه . أما الجانب الرابع فيعالج تفاعل الشخصية مع المجتمع وأثر التربية فيه .

١ ـ مكونات الشخصية ، وعمل النعمة فيها

لقد بينت دراسات علم النفس أن الشخصية الإنسانية نتاج قوى كثيرة ، بعضها يرثة الفرد وتسمى العوامل الفطرية ، والبعض الآخر يكتسبه فى حياته الاجتماعية وتعرف بالعوامل المكتسبة ، وهذه ذات شقين أحدهما يتصل بالفرد نفسه ، والآخر يتصل بتأثير البيئة الخارجية .

فى إطار ما يرثه الإنسان نعالج الغرائز والحاجات النفسية والدوافع العامة ، وفى ميدان ما يكتسبه الإنسان نعالج العادات والاتجاهات ثم العقد ومظاهر الصراع النفسى .

ويمكن أن يكون الرسم التالى توضيحاً للكلام السابق عن مكونات الشخصية .

الغرائز

عرف ماكدوجال ، أحد العلماء ، الغرائز بأنها استعدادات عصبية نفسية تجعل صاحبها يتجه إلى مؤثرات خاصة من نوع خاص ، ويدركها إدراكاً حسياً وينفعل عند إدراكها بانفعال خاص ويسلك نحوها سلوكاً خاصاً .

ولنأخذ لذلك مثلاً : غريزة البحث عن الطعام ، فهذه فى رأى ماكدوجال استعداد عصبى نفسى يجعل صاحبها يدرك أنه جائع وفى حاجة إلى الطعام ، وينفعل انفعالا معينا عندما يشتم رائحته مثلا ثم يسلك سلوكا خاصا بأن يتجه إليه لتناول ما يحتاجه منه .

وقد وضع ماكدوجال قائمة بثمانى عشرة غريزة ، أهمها غريزة الوالديه وانفعالها الحنو ، وغريزة الاستطلاع وانفعالها التعجب ، وغريزة المقاتلة وانفعالها الغضب ، والبحث عن الطعام وانفعالها الجوع ، والنفور وانفعالها الاشمئزاز ،

والغريزة الجنسية وانفعالها الشهوة ، وغريزة السيطرة وانفعالها الزهو ، والغريزة الاجتماعية والبحث عن الراحة والنوم والتنقل .

والذى يميز الغريزة عن غيرها من القوى المؤثرة عموميتها . فهى توجد فى جميع أفراد الجنس البشرى مهما اختلفت ظروف الإنسان فى الجنس والثقافة والسن، كما أنها ثابتة لا تضيع بتأثير مؤثرات خارجية وتظل مستمرة فى حياة الإنسان لأنها تحقق غرضاً حيوياً فى حياته بمعنى أنه لا يمكن تجاهلها وإهمالها أو إسقاطها من النشاط الإنسانى كما أنها فطرية لا تتأثر فى وجودها بالبيئة ومؤثراتها .

التربية وتوجيه الغريزة

يرى رجال التربية أن الغرائز هى أساس النشاط الإنسانى ، فيلزم استخدامها فى العملية التربوية بمعنى أن كل عملية تعليمية يجب أن ترتبط بدافع أولى يضمن به المربون نجاح وحيوية هذه العملية .

لذلك حرص المربون أن تفيد طرق التدريس من النزعات الفطرية كاللعب والاستطلاع والحل والتركيب والجمع والادخار والميل للمخاطرة والغريزة الاجتماعية والميل للسيطرة فى تكوين شخصيات الأولاد ودفع الخبرات فى طريقهم ليتفاعلوا معها فينموا النمو المطلوب .

وفى سبيل تطويع الغرائز استخدم المربون منهجين هما : الإعلاء والإبدال .

ويقصد بالإعلاء التعبير عن الطاقة الغريزية بأسلوب يتفق والمجتمع فمثلا غريزة السيطرة تشبع فى مجالس الأسر وقيادات النشاط ، وغريزة المقاتلة تشبع فى المسابقات الرياضية العنيفة وهكذا ، أما الإبدال فهو العمل على تحويل مجرى الغريزة وتيارها إلى نشاط آخر والتقليل من المثيرات الخارجية التى تثيره ، واستثارة ميول أخرى لشغل الوقت كما يحدث فى الغريزة الجنسية التى يمكن توجيهها إلى الميول الرياضية والموسيقية والعالمية واستثارتها لإشباع الطاقة الحيوية فى الهوايات وألوان النشاط .

عمل النعمة فى الغرائز

يرى بعض علماء النفس أن للغريزة ثلاثة مظاهر هى : الإدراك ، والوجدان، والنزوع .

وللنعمة تأثير كبير أكثر عمقا وبعدا من جهود المربين إزاء إعلاء الغرائز وتوجيهها والتسامى بها ، فموسى الأسود الذى كان شرهاً فى تناول الطعام صار رجل أصوام ، وشاول المتكبر المحب للسيطرة صار إناء مختاراً للخدمة والاتضاع. وشبان وشابات كثيرات يمتلئن بالشبوبية والغريزة الوالدية والجنسية وقادتهم النعمة إلى البتولية والرهبنة .

ما أعجب عمل النعمة فى غرائز الإنسان

الإنسان عندما يتعرف على المخلص يتقدس فكره فيعرف الحق الذى فى كل غريزة ، وتستضيء عينه الروحية فيدرك المغزى السامى الذى من أجله خلق الله الغريزة فى الجسد ، الذى هو هيكل الروح القدس . فالبحث عن الطعام هدفه البقاء والقدرة على الحياة ، فلا يؤخذ من الأكل إلا ما يحتاجه الجسد لأداء وظيفته ، وهدف الجنس فى الإنسان استمرار النوع وامتداد ملكوت الله بنمو الكنيسة وإيجاد مؤمنين جدد بالتناسل . فلا استخدام للغريزة إلا فى إطار هذا الهدف المقدس .

وتعمل النعمة فى الجانب الوجدانى كنار ذات فعلين فهى تصلب الميل الحيوانى وتلهب الوجدان الروحانى فى حب لله والفضيلة حتى يكون كل ما يُعمل إنما يمارس من أجل محبة الله ، كما يقول بولس الرسول "الذى يأكل فللرب يأكل .. ان عشنا فللرب نعيش" وهذا الوجدان المسيحى يقدس كل غريزة ويمسحها بمسحة إلهية فلا تتجه بعد إلى العدوان والكراهية والحقد والأنانية والقتل والحسد ولكن إلى كل ما هو للبنيان للنفس وللآخرين أيضا .. أما عمل النعمة فى السلوك فهو ثمرة عمل الحق فى الفكر الإنسانى إذ صار للمسيحى المتجدد بالنعمة فكر المسيح وصار ينظر إلى الغريزة كما ينظر إليها خالقها ، ومن ثم أصبح له وجدان طاهر ، وصار كل شئ طاهراً للطاهرين كما يقول الكتاب .. إن كل أداء وسلوك وممارسة للمؤمن

إنما تعمل بتوجيه من الروح وبذلك تصير الطاقة الغريزية هي المركبة التي يقودها روح الله ويسوقها رئيس خلاصنا في موكب نصرته ، حتى أن كل ما في الإنسان الباطن يستطيع أن يقول : أحيا لا أنا بل المسيح يحيا في .

وهذا النمط من الحياة نلحظه واضحاً نلحظه واضحاً في حياة رجال الله الروحيين كيف أنهم يطوعون ميولهم وانفعالاتهم لتحقيق رسالتهم حتى أنها تستغرق عقولهم وتملك وجدانهم وتوجه كافة نواحي سلوكهم . ومن أعظم الأمثلة على ذلك سيرة بولس الرسول الذي كان فكره في الكرازة ، وعواطفه نحو خلاص الأنفس ، وجهده وطاقته للتبشير والخدمة .

لذلك نستطيع أن نقول إن عمل النعمة في الغريزة عمل إلهي باطني يعمله روح الله طالما الإنسان قد سلم حياته النفسية بما فيها من غرائز وميول كي يكون للرب مركز القيادة فيها .. المسيح عندما يدخل قلب الإنسان لا يكون في حاجة إلى الجهد العنيف الذي يبذله المربون لتوجيه الغرائز . هو يتلمها ويقدسها ويوجهها ويشير بروحه القدوس على الإنسان صاحبها أن يسلك إزاء كل موقف بتصرف معين . فالمسحة التي لنا تعلمنا كل شيء وتذكرنا بكل ما قاله الرب ، كما تهبنا هذه المسحة إمكانيات فوق الطبيعة البشرية بها نحيا لا كما يحيا المولودون من الجسد بل المولودين من الله ولادة روحية جديدة .

ولنستعرض الآن بعض الغرائز لنبين أثر المسيحية في تهذيبها والارتقاء بها.

والأمثلة التي سندرسها الآن توضح عمل الروح القدس في الإنسان الباطن وتأثيره في تغيير اتجاهات السلوك والارتقاء بها .

حيث أن التغلب على الغرائز وإمكان توجيهها توجيها سليما بناء ، طوال مراحل الحياة ، لا يكفيه ذكاء العقل ، ولا قوة الضمير ، وإنما لابد من قوة إلهية يلمسها الإنسان في حياته ويشعر بفاعليتها في تهذيبه والارتقاء به .

ولنأخذ غريزة البحث عن الطعام . إنها الحافز الأول ولاشك للبحث عن عمل أى البحث عن الرزق وللمنافسة فى هذا السبيل .

فإذا امتددنا معها فى محيط الأمم والشعوب وجدنا هذه المنافسة تتحول إلى حروب على البلاد التى توجد بها المواد الخام ، ومواطن الثروة على مختلف أنواعها . هذه المنافسة تؤدى فى أغلب الأحيان إلى قيام الحروب وحدوث الخراب واشتعال سير الغلاء فضلا عن تغذية نوازع المقاتلة والانتقام بين الشعوب . وانتظار كل منها للفرصة المواتية للثأر . وأقرب مثال الحربان الأولى والثانية : سنة ١٩١٤ ، وسنة ١٩٣٩ : فالثانية ولاشك بدأتها ألمانيا للأخذ بثأرها من الحلفاء الذين انتصروا عليها فى الحرب الأولى والسبب هو النزاع على مناطق النفوذ . ومن خلال هذه المنافسات والمنازعات نشأت فكرة الاستعمار بأشكاله المختلفة . فكانت وبالاً على الإنسان والإنسانية . ولو أخذ الأفراد، والشعوب بمبدأ المسيحية فى تهذيب هذه الغريزة لما عرف القلق سبيلاً إلى نفوسهم ولا استبدلوا المقاتلة والحرب بالمحبة والسلام وهى ألف باء المسيحية . يقول رب المجد "لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون" (مت ٦ : ٢٥) ، وإذ يريد أن يبعد عنا القلق يوجه أنظارنا إلى طيور السماء "فهى لا تزرع ولا تحصد .. وابوكم الآب السماوى يقوتها" .

ثم ينتهى بنا إلى أننا يجب ألا نرتبك فلا نهتم "قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس " لأن "أباكم السماوى يعلم انكم تحتاجون الى هذه كلها" فهنا حل واضح لمشكلة البحث عن الطعام . حل للمشكلة فى حياة الفرد ، ألا يقلق ولا يضطرب أو يرتبك بل "يلقى كل همه على الله فهو يعتنى به" ولا يعود يهتم فيما للغد لأن "اليوم يكفيه شره" ولكن ليس معنى هذا أن الوصية المسيحية تدعو إلى الاستسلام والكسل والتواكل ، فالقديس بولس يعلن أن "من لا يشتغل لا يأكل" ، وفى الكثير من المواقف كان يعلن "أنه حفظ نفسه غير ثقيل على المؤمنين"

(راجع ٢كو ١١ : ٩) ولما ودع كهنة أفسس قال لهم "حاجاتى وحاجات الذين معى خدمتها هاتان اليدان" (أع ٢٠ : ٣٤) ، بل كثيراً ما أوصى القديس بولس أن الأغنياء والقادرين يجب أن يتعبوا "لتعضيد الضعفاء" (أع ٢٠ : ٣٥) ، فالمسيحية إذن تحث على العمل والكد والجهاد فى سبيل الرزق ، ولم يتخل عن هذه العادة القديس بولس رسول الأمم وأحد معلمى المسيحية الكبار فهو كسيده ، قدم نفسه فى رسالة خير قدوة لذلك . وإنما المسيحية تدعو إلى عدم القلق ، وإلى الاتكال على بركة الله وتدبيره فهو الإله الخالق والمعتنى بنا ، ولاشك أن الفرد يعكس تفكيره هذا على حياة الجماعة التى يحيا فيها ، فلو انتقل هذا الإيمان إلى كل فرد لعاشت الشعوب فى محبة وتعاون ، ولتبادلت مع بعضها البعض السلع والخيرات المختلفة ، بدلا من الطمع والتكالب الذى هو نتيجة القلق والخوف من الجوع أو الفناء مما يؤدى حتماً إلى الحروب والدمار .

ومثال آخر ، الغضب . والغضب من أقرب الإنفعالات إلى الإنسان حتى أن الكتاب المقدس قال "اغضبوا ولا تخطئوا" والغضب هو انفعال غريزة المقاتلة . ولو تركت هذه الغريزة على فطرتها لتحول المجتمع الإنسانى إلى غابة يتصارع فيها الناس . بل إن المجتمع وقت الحروب ، ليتحول فعلا إلى غابة حيث يقتل الناس بعضهم بعضاً ويفنون بعضهم بعضاً . فماذا كان موقف المسيحية إزء هذه الغريزة القوية ! يقول رب المجد "لا تقاموا الشر" إن أخطا إليك أخوك اذهب وعاتبه . إن سمع منك فقد ربحت أخاك ، فهنا إيحاء بعدم مقاومة الشر ، وبأن يكون ربح أخى هو هدفى حتى ولو غضب منى . وهنا قمة التخلى عن الذاتية ، والتفكير فيما للغير أولا . وجاء الحديث عن الميل الثانى مؤكداً لمبدأ التسامح "من سخرك ميلا فسر معه اثنين" ، "ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضا" . وجاء آباء الكنيسة يؤكدون هذا المبدأ المسيحى الأساسى فالقديس بولس يقول " لا يغلبنك الشر" ، "أعطوا مكاناً للغضب" "ولا تنتقموا لأنفسكم" بل "إن جاع عدوك فأطعمه وإن عطش فأسقه" . أما

القديس يعقوب فيقول "ليكن كل إنسان مسرعاً فى الاستماع مبطئاً فى التكلم مبطئاً فى الغضب" لأن "غضب الإنسان لا يصنع بر الله" وهكذا تزدحم الكتب المقدسة بالوصية التى توحى بعدم مقاومة الشر ، وبالتأنى فى الانفعال ، والغضب ، وبعدم مقابلة الشر بالشر ، بل على العكس مقابلته بالخير . وهكذا بلاشك تهذيب ممتاز لغريزة المقاتلة ، ولانفعال الغضب ، وتوجيه للإنسان أن يستبدل شعور الانتقام بشعور التسامح . ولم تقف المسيحية عند حد الوصية بل قدم رب المجد نفسه مثالاً رائعاً للتسامح والحب فقد غفر لصالبيه خطيئتهم ، وكذلك فعل استفانوس حين قال "يارب لا تقم لهم هذه الخطية " ولا عجب أن يقول ذلك ففى محبته واحتماله لأوجاع الرجم فى سبيل المسيح رأى السماء مفتوحة وابن الإنسان جالساً عن يمين العظمة (راجع اع ٧ : ٥٤ ـ ٦٠) .

لكن ليس معنى هذا أن تضيع حقوقنا باسم التسامح وروح الميل الثانى ، فالمسيحية لا تمنعنا من المطالبة بحقوقنا ، وإنما بالطرق المشروعة ، وفى العلاقات الفردية توصينا المسيحية بأن نعاتب من يخطى إلينا ، وإذا لم يسمع منا نقول لآخرين لنصحه أو ردعه ، وبعد ذلك نقول للكنيسة . فإذا لم يرعو بعد هذا كله فلا مناص من الالتجاء للقوانين فهذه لم تقم عبثاً وإنما لمحاسبة الظالمين ووضع حد لظلمهم . وإنما المسيحية توصينا أن نكون على استعداد دائماً للمسالمة والتسامح فلا نلجأ إلى التشهير أو التآمر ، وكذلك فى العلاقات الدولية لا تمنعنا المسيحية كمواطنين بل تأمرنا بالدفاع عن وطننا .

أما الغريزة الجنسية وانفعالها الشهوة فتوليها المسيحية الاهتمام الجدير بها ، باعتبارها الوسيلة التى يساهم بها الإنسان مع الله فى عملية الخلق .

يقول القديس يعقوب "إن الشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتاً" . ويقول القديس يوحنا الحبيب "لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد ، وشهوة العيون ، وتعظم المعيشة .. والعالم يمضى وشهوته وأما الذى يصنع مشيئة الله

فيثبت إلى الأبد" . ويقول القديس بولس "أنتم هياكل الله وروح الله يسكن فيكم" إلى غير ذلك من الآيات التى ترينا نتيجة الخطيئة من ناحية .. إنها الموت ، وأن الجانب المقابل مباشرة لشهوة الجسد ، وشهوة العيون ، هو صنع مشيئة الله ، وأننا يجب أن نتجنب الخطيئة لأننا صرنا مسكناً للروح القدس بعد نوالنا سر الميرون الطاهر . ثم يواجه القديس بولس المشكلة بصراحة حين يقول "ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح ؟" أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية ؟ حاشا ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح ؟" (١كو ٦ : ١٥ و ١٦) ثم يوحى إلينا فى قوة أن "اهربوا من الزنا" لأن "جسدكم هو هيكل للروح القدس" (ع١٨ و ١٩) "فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله" (ع ٢٠) .

وهذه الوصايا كلها تأكيد للتوجيه الإلهى الذى قاله رب المجد إن كل من ينظر ليشتهى فقد ارتكب الخطيئة (راجع متى ٥ : ٢٧) .

فالمسيحية هنا تصل إلى جذور الخطيئة قبل أن تتحول النظرة إلى تصور ، إلى شهوة ، إلى زنا . وواضح أن هذه بالضبط هى عناصر السلوك الغريزى ، الإدراك الذى يتم عن طريق الحواس ، والوجدان وهو انفعال الشهوة ، ثم النزوع وهو ارتكاب الفعل . والمسيحية فى توجيهها لنا تضع لنا فى شخص مخلصنا ، أروع مثل ، وقديسو الكنيسة نماذج للانتصار على الخطية ، وتوجيه كل طاقات الجسم والعقل والروح توجيهاً مقدساً .

وإلى جانب ذلك تسلحنا المسيحية بنعمة الإيمان بالقدرة على الغلبة والنصرة حين ترقى بنا مع القديس بولس إلى نظرة الإيمان الكامل "أستطيع كل شىء فى المسيح يسوع الذى يقوينى" . فإذا أضفنا هذه التعاليم كلها إلى تعليمها لنا أيضا عن التعفف والقناعة فى الطعام واحتياجات الجسد، وإلى وصيتها لنا بالصوم والتدرب على قمع الجسد ، أمكننا أن نتأكد بعمق الفلسفة المسيحية واتساع وسائلها للتغلب على الخطيئة .

واضح من هذه الأمثلة كيف تعمل المسيحية ، فعلا لا قولا ، على تهذيب الغريزة والارتقاء بها من فطرتها وحيوانيتها إلى الجانب المضىء النافع ، ولعلنا نستطيع تشبيه الإنسان الذى يفهم هذا التوجيه ويعمل به بأنه كجسم معتم . لكنه إذا واجه النور استضاء وأضاء . هكذا نحن إذا أسلمنا غرائزنا وقوانا إلى القوة المحيية المنيرة القادرة أن تحكمنا للخلاص ، استنترنا وأنرنا . وما يصدق على الثلاث غرائز التى ذكرناها ينطبق على بقية الغرائز والنزعات فكلها يمكن أن تتقدس وترتقى فى الوصية المقدسة والنعمة الممنوحة لنا من خلالها .

وما يقال عن الغرائز ، يقال عن الحاجات النفسية التى يعرفها بعض العلماء بأنها الدوافع النفسية النظرية وهى التى تعالج النواحى السيكولوجية بينما تعالج الغرائز الجوانب البيولوجية الخاصة بالإنسان .

وقد أورد علماء النفس قوائم نذكر منها :

١ ـ الحاجة إلى الأمن .

٢ ـ الحاجة إلى المحبة والعطف .

٣ ـ الحاجة إلى التقدير .

٤ ـ الحاجة إلى النجاح .

٥ ـ الحاجة إلى الحرية .

٦ ـ الحاجة إلى السلطة الضابطة .

وقبل أن ندرس موقف المسيحية من هذه الحاجات ، نحب أن نذكر أن هذه الحاجات ، دوافع فطرية ، تنشط وتؤثر منذ بواكير الطفولة . ولكى نجنب الطفل عوامل الانحراف والشذوذ يجب أن نشبعها بالوسائل السوية ، والعبرة بنوع الجو الاجتماعى الذى يعيش فيه الطفل ، وروح المعاملة السائدة بين أفراد الأسرة ، والتى يمتصها الطفل ، دون أن يشعر ، فتكمن فى عقله الباطن وتصبح مع الوقت هى محركات سلوكه . فالطفل المحروم من التقدير مثلا ينشأ ضعيف الثقة فى نفسه ،

يخشى المواقف الجديدة ، وقد يتوقع الفشل دائما فى أى عمل يقوم به . وكذلك المحروم من الحرية ، الذى تحسب عليه حركاته وسكناته ، ويكبت نشاطه ، ينشأ عصبى المزاج ، سريع الانفعال ، وهكذا . والواقع أن دور البيت فى إشباع هذه الحاجات وتوجيهها التوجيه السليم دور خطير ، لأنه البيئة الاجتماعية الأولى التى يتفتح الطفل على كل من فيها ، ويمتص روح العلاقات السائدة بين أفرادها ، ولأن طفولته تتميز بالضعف والمرونة فإنه يبدو عاجزاً فيتقبل كل ما يصله ، خيراً كان أم شراً ، حقاً كان أم باطلاً ، فكيف أفادت المسيحية الطفل فى هذه الفترة ؟ .

أفادته بأن هيأت له جواً ، يُفترض أن يكون روحياً ، تسود فيه علاقات المحبة والود ، ومفروض ألا تسمع فيه سوى كلمات البركة وعبارات السلام ، فضلا عن أنها أشعرت الكبار الأقوياء بقيمة الطفل الصغير . ولاشك أن هذا التعليم قد حمل ضمناً معنى معاملته بالعطف والمحبة . وبالإجمال أن يشعر الكبار أن طفلهم هذا هو منحة ونعمة من الله ، وأنهم ملزمون بتوجيهه التوجيه السليم الذى يجعل منه ابنا لله ووارثا للملكوت .

أما إذا كبر الطفل ، وزادت مسئولياته ، فإن المسيحية تقدم لحاجاته هذه شبعاً بطريقة أخرى .

إنها تطلب منه ألا يضع اهتمامه فى حاجات الجسد النفسية هذه ، بل عليه أن يطلب ملكوت الله وبره . وتعلم المسيحية أن الجرى وراء العالم كالجرى وراء الآبار المشققة التى لا تضبط ماء ، وأن يسوع وحده هو ينبوع الماء الذى كل من يشرب منه يرتوى وتشبع حاجاته ، بل ويفيض على الآخرين أنهار مياه حية فرحا وسلاما وتعزية ومحبة وطمأنينة واستقراراً .

أى نمو للإنسان دون السعى لبلوغ قامته ملء قامة المسيح هو دوران حول النفس وامتداد ضئيل للغاية لأنه محدود بحدود الزمان والمكان .

المسيحية تشبع النفس أمنا وطمأنينة إلى درجة تفوق العقل البشرى لأن السلام المعطى من الله للنفس التى أسكنته داخلها يحفظها فى المسيح يسوع ويمنع عنها تسرب هموم الحياة والآم هذا الزمان ، وتعيش النفس فى دائرة السلام الإلهى والطمأنينة والفرح الذى لا ينطق به والمجيد . والصورة الرائعة لإبراز ما نقوله هى السلام الذى ملأ معلمنا بطرس فى السجن وبولس وسيلا عندما قيدا وألقيا فى السجن .

والحياة الروحانية تشبع الحاجة للمحبة لأن الله محبة ، والله عندما يسكن فى القلب يملأه حباً للآخرين وبالتالى تصير محبوبة أيضا منهم إلا أن المحبة المسيحية تختلف عن محبة أهل العالم فى أنها باذلة لا تطلب ما لنفسها ولا تنتظر عوضاً عما تقدمه ، وحياة الرب يسوع مثال لما فى القلب من محبة شديدة للآخرين كما أن معلمنا بولس الذى اقتدى بسيده امتلأ قلبه حباً فقال من يعثر وأنا لا ألتهب ؟ .

أما الكنائس التى أسسها فقد أحبته وشهد الكتاب لمحبة المؤمنين له فى كل مكان .

والحاجة للحرية تظل غير مشبعة حتى تتلامس النفس مع الله ، مصدر الحرية الحقيقية . وفى هذا يقول الكتاب إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً. ونوع الحرية المعطاة للنفس من النعمة ليس كالحرية السياسية أو الاقتصادية أو الفكرية التى يهبها العالم تحت شروط إجبارية ولكنها حرية للنفس من النفس ذاتها فلا تعود الذات تستعبد الإنسان بل يحيا الإنسان الذى فى المسيح فوق كل ما يستعبده أو كما يقول القديس أوغسطينوس إن المسيحى يصبح فوق العالم فتتحرر النفس من الموت والخطيئة والخوف والحزن . أما إذا حرمت من الحريات الأرضية رغم إرادتها فهذه نفاية عندها من أجل ما كسبته من خلاص وحرية مجد أولاد الله ، وأبلغ صورة ومصداق لما نقول موقف بولس الرسول ، وهو مقيد بسلاسل أمام فيلكس الوالى ، كما بين لنا كاتب سفر الأعمال كيف أن فيلكس كان يرتعش خوفاً

بينما بولس المقيد كان يعظ ويوبخ ويعطى من الحرية التى تملأ نفسه انطلاقا من كل ما يستعبد أهل العالم .

أما الحاجة للتقدير فهى فى حياة أولاد الله تشبع على مستوى إلهى سواء تحققت فى مستوى اجتماعى أو لم تتحقق .

أى شرف أعظم للإنسان من أن يكون ابنا لله ووريثاً لملكوته وشريكاً فى ميراث القديسين ؟! لذلك لا يهم المسيحية المظهر الخارجى لأنه عرض زائل فالوظيفة والمركز والمكانة والسلطة أمور مفيدة يمكن استخدامها لمجد الله ولكنها ليست هى مصدر التقدير للنفس المتجددة . إن إسكافى تقى عند الكنيسة أعظم من وزير بعيد عن الله .

أما ما يخص الحاجة للسلطة الضابطة لهذه نلحظها واضحة فى الطفولة التى لا تستطيع أن تنمو إلا بالقيادة والتوجيه وإن انعدمت هذه انحرف النمو . والكبار أيضا فى حاجة إلى إشباع هذه الرغبة ، ومن أجلها وجدت القوانين ورجال الحكم والمسئولون والقادة .

والمسيحية تحترم السلطة والرئاسات الضابطة ولكنها أيضا تسمو لتحقق للنفس ما يرغب المربون تحقيقه ويصعب عليهم الوصول إليه بالطرق البشرية ، وهو أن يكون الدافع لاحترام السلطة من الداخل لا من الخارج ، أى أن يكون الضابط ذاتياً لا مرتبطاً بالظروف والقوانين والسلطة .

والنعمة قادرة على أن تعمل هذا فى النفس . والنفس التى تحكمت فى ذاتها أفضل من تلك التى تحكم مدينة ، كما يرى سليمان الحكيم أن " مالك روحه خير ممن يأخذ (ام ١٦: ٣٢) .

بقى أمامنا معالجة حاجتين : هما الحاجة إلى النجاح والحاجة إلى الجدة .. أما النجاح فهذا ما عبر عنه يوحنا الحبيب "أروم أن تكون ناجحا .. كما أن نفسك ناجحة" فالمسيحية لا تقف عند حد النجاح فى الحياة الروحانية ولكنها تطلب منا أن نكون ناجحين فى كل ميدان من ميادين الحياة ، لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل

روح القوة والمحبة والنصح كما يقول الرسول .. ولكن النجاح الذى تطلبه المسيحية يختلف عما يطلبه أهل العالم لأن المعايير تختلف . فمعايير المسيحية الحب والخدمة والقداسة والأمانة بينما معايير العالم المال والشهرة والمركز . المسيحية لا تكره المال والصيت والمركز ولكن على ألا تكون هذه الأبنية مقامة على أشلاء الفضيلة والتقوى لأنه "ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟" . لذا فالنجاح فى المسيحية مشروط بنجاح فى الوسيلة والغاية معاً . وإن تعذر على الإنسان أن يحقق ما يطلبه فى حياته العملية فهو لا يعثر ولا يهلك لأنه يثق أن الله يقود حياته وأن كل الاشياء تعمل معاً للخير الذين يحبونه ، وتبقى الحاجة إلى النجاح مشبعة لأنه يشعر أنه يؤدى دوره فى الحياة بأمانة ، وهذا هو النجاح أمام الله لأن الأمين فى القليل هنا سينال أمانة الكثير فى السماء .

والحاجة إلى الجدة مرجعها الطبيعة الجسدية التى لا تستقر على حال واحد ، فهى تحب التغيير وتسأم من البقاء على حال واحد ومن أجل ذلك وجدت وسائل التسلية والترويح كما حرص الإنسان على تغيير المناظر التى يراها يومياً هذا فى البعد الخارجى . أما فى الداخل فالنفس ترغب فى ألا تقف عند حد بل تسعى إلى النمو والتغير ، وهنا يقدم الرب يسوع خلاصه العجيب الذى يجدد الداخل كله ويأخذ به من مجد إلى مجد كما من الرب الروح . وعندما تشبع النفس من التجديد الداخلى لا تسأم من الثبوت الخارجى . فبولس لم يمل من السجن سنتين وأكثر ، والراهب لا يسأم من النظر للجبل والرمال التى يحيا فيها طيلة حياته طالما الداخل ينمو ويتجدد كل يوم .

هذه عجالة سريعة عن عمل النعمة فى النفس ودور الحياة الروحانية فى إشباع الحاجات النفسية ، وهذا الإشباع يحدث تلقائياً دون مراقبة من الإنسان لنفسه، وإنما هو ثمرة طبيعية للحياة مع الله .

الميول والدوافع الفطرية العامة ودور المسيحية فيها

يرى ماكدوجال وهو العالم الإنجليزى الذى درس موضوع الغرائز أن هناك دوافع فطرية عامة تتعلق بالإنسان فى علاقته مع الآخرين ، وهى ليست مكتسبة لأنه يولد بها وهى لا تختص به وحده ولأنها تعالج حياته مع الناس .

وأهم هذه الدوافع هى

١ ــ القابلية للاستهواء والتقليد والتأثر بآراء الآخرين .

٢ ــ الميل للمشاركة الوجدانية .

أما عن الاستهواء وهو ما يعرف بالاستعداد لقبل فكرة من آخر مع عدم استيفاء الأسباب المنطقية الكامنة لذلك فنلاحظها فى التأثر بما يقال ويرى وسائل الإعلام المختلفة كالمذياع والتليفزيون والجرائد وما يذكره الكبار للصغار بأية وسيلة من الوسائل . وللمسيحية توجيه لهذا الميل إذ تطلب من المسيحى ألا تستهويه آراء ومبادئ العالم مهما قيلت من كبار أو كتبت فى مطبوعات ، ويحدث هذا عندما يستهوى المسيحى بالإنجيل وأخبار القديسين . والكنيسة تستخدم هذا الميل فى المنهج التربوى بأن تعلم الناشئة العقيدة وأصول الإيمان فى الطفولة المبكرة حيث يكون هذا الميل شديداً .

أما التقليد فالكتاب ينبهنا ألا نقلد أهل العالم فى تصرفاتهم الشريرة بل بالحرى نوبخها ، بينما الرسول بولس يطلب منا أن نقتدى به كما هو بالمسيح . ولكن ليس المقصود بتقليد القديسين أن ننتحل شخصياتهم ونلبسها فوق شخصياتنا فنحيا فى فشل لأننا لا نستطيع أن نكون مثلهم تماماً ، لأننا نختلف بالضرورة وفق مبدأ الفروق الفردية المعروف فى التربية ، كما أننا نعيش متغربين عن شخصياتنا الموهوبة من الله ، وكل ما نحتاج أن نقلده هو طريق الأخذ من النعمة والاتجاهات المباركة فى الحياة بما يتفق وطراز الشخصية التى لنا ، وكلما نضج المسيحى يكون تقليده للرب مباشرة لأنه مكتوب ، تاركاً لنا مثالا لكى نتبع خطواته .

أما المشاركة الوجدانية فهى تبدو واضحة فى المجتمعات الإنسانية فى أحزانها وأفراحها ، فى ضيقها وسرورها . فالإنسان حريص أن يشارك أخاه فى مشاعره . ونجد الرب يسوع مثالا راقياً للمشاركة الوجدانية للبشرية فى قانا الجليل فرحاً ، وعند قبر لعازر باكياً . وهذا ما يطلبه منا الرسول قائلاً "فرحاً مع الفرحين وبكاء مع الباكين" . على أن المشاركة الوجدانية فى حياة المسيحى تتعمق أكثر فلا تفرح فقط لأفراح الناس وتحزن لما يحزنهم ولكنها تمتد إلى الداخل فتحزن أحياناً مع المؤمنين لما يبعد الناس عن الله ويلهيهم بالخطيئة ، وتفرح مع ملائكة الله عندما يتوب خاطئ واحد ويعود إلى حظيرة الراعى الأمين .

إن المشاركة الوجدانية فى الحياة المسيحية ليست مظهرية وقتية ولكنها عميقة بعمق اتحاد الإنسان فى الله لأن الله العامل فى إنسانيتنا هو الذى يعطى لهذه المشاركة أبعاداً عظيمة فى طولها وعرضها وعمقها وعلوها .

العواطف والعادات والاتجاهات

كل الدوافع التى تحدثنا عنها سابقاً فطرية يرثها الفرد ولا يكتسبها بالخبرة والمران والتعليم ، ولكن الإنسان كما ذكرنا يعدل من دوافعه النظرية ويكون منها دوافع أكثر رقياً وسمواً ، وهذه هى التى يسميها علماء النفس العواطف والعادات والاتجاهات .

ولنتكلم الآن عن العواطف وأثر الحياة الروحية فى تهذيبها وترقيتها ، وتنحصر الدراسة فى هذا فى :

معنى العاطفة .. أنواع العواطف .. كيف تتكون العاطفة .. عمل النعمة فى العواطف البشرية .. بين العاطفة والسعادة الحقة .

معنى العاطفة

هى استعداد نفسى ينشأ عن تركيز مجموعة من الانفعالات بطريقة شعورية واعية نحو موضوع معين .. والفرق بين العاطفة والانفعال إذن هو أن العاطفة

مجموعة من انفعالات كثيرة وأن العاطفة لا يولد بها الإنسان ولكن يكتسبها في حياته ، وهي تتكون بالتدريج وتنتظم في تركيب لم يكن موجوداً من قبل ، وتكتسب دائماً قدراً من الانسجام .. وللعواطف دور هام في الشخصية فالطفل لا يستطيع أن يعيش دون عاطفة الحب نحو والديه ، والإنسان البالغ لا يصير للحياة معنى عنده دون عواطفه نحو الله والناس والمثل العليا .

أنواع العواطف

هناك عواطف تدور حول موضوعات مادية مثل حب الطفل لأمه . وهناك عواطف تدور حول موضوعات مادية جمعية مثل حب الطفل لعائلته أو مدرسته ، وهناك عواطف تدور حول موضوعات معنوية مجردة مثل حب الفرد للأمانة أو الصدق أو التضحية .

كيف تتكون العاطفة

نضرب أمثلة حتى يمكن عن طريقها أن نعرف كيف تتكون العاطفة . هب أن هناك مدرساً أخذ يثير في نفسية التلاميذ الخوف ، ثم أنار فيهم انفعالات الغضب ، ثم حرص على أن يحرمهم من الحاجة إلى النجاح والتقدير والطمأنينة ، وأنار فيهم أيضاً المقاتلة . يحدث أن جميع هذه الانفعالات تتجمع وتتبلور حوله شخصية هذا المدرس ، ويسمى الدافع المكتسب عند التلاميذ عاطفة الكراهية نحو المدرس فيفرح هؤلاء التلاميذ عندما يصيب هذا المدرس مكروه ، ويحزنون عندما ينال هذا المعلم ترقية مثلا .

والفرق بين العاطفة والانفعال هنا أن سلوك التلاميذ صار فيه فرح وحزن إزاء موضوعات مختلفة ليست على المستوى الغريزى ، ولكن على مستوى العاطفة ، لأن إصابة فرد مكروه غريزياً يسبب عند الإنسان ضيقاً وألماً ولكن سلوك التلاميذ تعدل نحو هذا الموضوع وفق مستوى العاطفة التي كونوها نحو المدرس . وبالمثل تركز انفعالات العطف والحنو وإشباع غريزة الطعام والحاجات

لى الطمأنينة والأمن عند الطفل نحو أمه . فمثل هذا العاطفة أن الأم قد تضرب طفلها ، والاستجابة الغريزية المتوقعة أن الطفل يردد العدوان ويقاوم بأية طريقة . ولكن الذى يحدث أن الطفل يعتذر ويبكى ويقبل أمه طالباً رضاها ، وهذا التعديل فى السلوك ناتج من العاطفة التى كونها الطفل نحو أمه .

ومما يجدر ذكره أن أول عاطفة تتكون هى عاطفة الحب نحو الأم وتلبها العواطف الأخرى مثل عاطفة الحب نحو الأب والاخوة والأسرة والمدرسة ، والوطن . الخ .

العاطفة السائدة

عندما يتكامل نمو الفرد نفسياً وجسمياً وعقلياً تتكون عنده عاطفة رئيسية ، تكون بمثابة العاطفة السائدة والقائدة لجميع العواطف الأخرى . وقد تكون هذه العاطفة من نوع سوى أو من نوع منحرف . وهذه أمثلة لكل نوع . الغنى الغبى فى الكتاب المقدس مثال على الشخصية التى تجمعت عواطفها نحو عاطفة حب المال ، ذلك لأن محبة المال قد صارت الاتجاه العميق الرئيسى والهدف الأساسى الذى تجمع حوله كل العواطف وينبع منه كل نشاط .

وبولس الرسول مثال على الشخصية التى تجمعت عواطفها نحو الخدمة وبذل الذات من أجل محبة الله . فحياته شعارها " من يعثر وأنا لا أعثر . لكى أعيش لا لنفسي ولكن للذى مات لأجلى وقام . ويل لى إن كنت لا أبشر . إن عشت فللرب أعيش . "

هذه كلها من كلمات بولس الرسول كأدلة على نمط الحياة التى عاشها وكان محور هذه الحياة الخدمة والكرازة . وللتربية دور كبير فى تكوين هذه العاطفة الرئيسية الهامة ، ذلك لأن الطفل يكون عواطفه التى تنبع منها العاطفة السائدة ثم تسود على كل عاطفة أخرى من الحياة المنزلية والمدرسية والكنسية والاجتماعية . وتتدخل عوامل التكرار والتقليد والإيحاء والاستهواء فى تماسك العاطفة السائدة

وتدعيمها ، ولذا نستطيع أن نشير إلى الدور الخطير الذى يلعبه الآباء والمعلمون والمربون عامة إزاء شخصية الناشئ .

عمل النعمة فى العاطفة الإنسانية

إلا أنه يجب أن نشير إلى أن الله لم يتركنا نكون عواطفنا على مستوى بشرى ، وتتحكم فينا هذه العواطف وتستعبدنا كما يحدث عند أهل العالم ، ولكن أولاد الله يعمل الروح القدس فيهم عملا سرياً إلهياً بحيث أنه يقدس موضوعات ومراكز ومحاور عواطفهم ، وبالتالى تنبثق العاطفة السائدة طاهرة سوية متجهة إلى ما هو حق وجليل وطاهر وصيته حسن . ولو فرضنا أن الإنسان عند بعده عن الله وزيغانه عن طريق الخلاص قد تكونت عواطفه على مستوى منحرف فإن مثل هذا الإنسان عندما يتلامس مع الحق يحدث فى حياته تغيير جذرى ، وتسيطر النعمة على الإنسان الباطن بحب وفرح شديد ، وتتغير العواطف بمقدار هذا الحب والفرح حتى أن شخصيات من شدة فرحها بالخلاص تغيرت عواطفها إلى حد النقيض تماماً كما سمعنا فى قصة خلاص زكا المحب للمال . وإذا كان هذا هو عمل النعمة فما هو دور المربى ؟ .

كلما تربى الطفل فى أحضان حياة مسيحية نقية ، تكونت عواطفه على مستوى سوى راق وكلما كانت الفرصة سانحة أمامه لتكوين عاطفته السائدة نحو مثل أعلى . لهذا يلزم أن نعمل على توجيه عواطف الطفل نحو محبة الآخرين ، كما يلزم أن يكون المربون قدوة صالحة فى حياتهم حتى يمتص منهم اتجاهاتهم وتبنى عواطفه على مستويات شبيهة بمستويات معلميه . هذا بالإضافة إلى أن قصص البطولة فى الكتاب المقدس وألوان النشاط الروحى الذى يحياه الطفل فى الكنيسة والأسرة قادرة على أن تصقل وتهذب وتوجه بنيانه النفسى ، وبعض الناس يقفون بعواطفهم عند حد حب ذواتهم والتمركز حولها ، والبعض الآخر يقف عند حد حبهم لعائلاتهم ، والبعض الآخر عند حب قومهم . على أن البعض ينشغل بحب

الإنسانية كلها ، وفى محبة المسيح الفائقة المعرفة وصل حب الإنسان إلى أعلى قمته .

بين العاطفة والسعادة الحقة

كل فرد فى هذه الحياة يميل إلى أن يكون سعيداً ويهرب من كل من يسبب له شقاءاً . والسعادة تعلو عن اللذة كثيراً . فهناك سعداء لم يتلذذوا بانفعالات غرائزهم كآبائنا الرسل والقديسين والرهبان والنساك والسواح . هؤلاء جميعاً عاشوا سعداء ولم تكن اللذة من معايير حياتهم .

فالسعادة تتحقق للإنسان عندما يشبع العاطفة السائدة إذا كانت هذه العاطفة غيرية وليست ذاتية أنانية .

فزكا قبل تعارفه على المخلص لم يكن سعيداً وإنما متلذذاً بجمع المال ، ولكن لما حدث الخلاص فى قلبه وصارت عاطفته السائدة حب الله ، وخدمة البشرية حدثت له سعادة عظيمة حققها ببذله نصف أمواله للمساكين وإرجاع أضعاف ما سلبه من الناس .

فاللذة تعبير عن الغرائز الفردية المتمركزة حول الذات بينما السعادة هى تحقيق للذات فى البذل .

لذلك سعيد للغاية هو من يموت لأجل رسالة تملكت قلبه والمسيحية تحقق السعادة للمؤمن بأن تنقل حياته من الاهتمام بأمور العالم ليكون شاهداً للحق ، مستعداً للموت من أجل الحبيب الذى دعاه من الظلمة إلى النور . ومنهج التربية الدينية يجب أن يهدف إلى هذا الاتجاه أن تتبنى نفوس المؤمنين على الحب والبذل والتكريس .

وستظل صورة آبائنا الشهداء الذين قدموا ذواتهم للاستشهاد فرحين مثالا حياً للسعادة التى تملك قلب الإنسان عندما يبذل ذاته لأجل المثل الأعلى الحى الذى يحياه ويهدف إليه .

سعيدة للغاية تلك النفس التى تحيـا للآخريـن لأن فـى بذلـها تحقيقـاً لحياتـها إن كان البذل أميناً غير هادف لغرض ذاتى . وسعيد الإنسـان الـذى يحيـا أميناً فـى أداء واجبه الإنسانى دون انتظار لمكافأة من رئيـس أو آخـر .

العادات والتربية الدينية

كل إنسان يسلك فى كثير من الأحيان وفـق عـادات معينـة تحكمـت فيـه حتـى أصبحت لديه بمثابة الطبيعة الثانيـة . ونحـن نريـد أن نتعمـق فـى دراسـتنا للعـادات لنعرف ما هى العادة ؟ وما أنواعـها ؟ وأثـر الحيـاة الروحانيـة فـى عـادات الإنسـان المختلفة ودور التربية إزاء العادات كدوافـع سـلوكية .

العادة

المقصود بالعادة نمط معين من السـلوك المكتسـب الـذى تعلمـه الإنسـان أثنـاء حياته وفقاً للظروف المختلفة التى يعيش فيها ، وتتثبـت العـادة حـول موضـوع معيـن وتتكون بالتكرار حتى تأخذ من الفرد أقل جهد وأسرع وقـت . وكلمـا كـانت تحقـق لـه غاية حيوية ، وكلما ارتبطت بغريزة أو دافع سلوكى هـام كـانت أكـثر عمقـاً ودمويـة فعادة التدخين أكثر عمقاً عند الإنسان من عادة ارتداء الملابـس دون نظـام علـى سـبيل المثال .

أنواع العادات

إذا كنا قد سبق أن ذكرنا أن النشاط الإنسانى قد حللـه بعـض علمـاء النفـس إلـى إدراك ووجدان ونزوع ، فمن الممكـن تطبيـق هـذا التصنيـف علـى العـادات فنقـول عادات فكرية وعادات وجدانية وعـادات حركيـة .

أما العادات الفكرية فمنـها عـادة التفكـير الحـر السـليم المنطقـى الخـالى مـن التعصب والأنانية والانفعاليـة والاندفـاع أو عـادة التفكـير المركـز غـير المـوزع أو المشتت . ومن أهم العادات الوجدانية عـادة إنكـار الـذات وضبـط الانفعـال والمحبـة

والحقد والحسد والكراهية وأما العادات الحركية فهى التى تعالج الجلوس والوقوف والمشى والمخاطبة والكلام والنشاط .

أثر الروحانية فى العادات الإنسانية

العادة تتكون بالقبول والرضا لفكر أو عاطفة أو نزوع معين ثم يكرر هذا الفكر أو العمل ، ويقترن هذا التكرار برضا وقبول عند النفس . وكلما ارتبطت العادة بغريزة أو دافع نفسى فطرى ازدادت قوة ، عمقاً كما ذكرنا ، وتعمل التربية على اقتلاع العادات السيئة من حياة الإنسان بإقناع صاحب العادة بضررها ، كما تسعى إلى جعل نتيجة الممارسة مؤلمة للنفس ثم تشجيعه على إحلال عادات أخرى محلها ، وتكرارها حتى تحل تدريجياً بدلا من العادات الأولى غير المرضية ، ويعطى رجال التربية للظروف والبيئة قيمة كبيرة فى مدى إثارة النفس لممارسة العادة .

ولذا يشجعون الفرد على الاعتزال مكانياً وزمانياً عن كل القوى والمؤثرات التى تستثيره أو تشجعه على ممارسة العادة غير المرغوبة . الكنيسة تحترم جهود المربين وتستخدم بعضاً من هذه النتائج التى توصل إليها رجال التربية ولكنها تعطى علاجاً أفضل قيمة وأقصر سبيلاً وأعمق تأثيراً .

إنها تقدم الروح القدس كمستقطب لكل مشكلة .. إنه يدخل فيغسل ويطهر ويقدس .. إنه يكسر أرز لبنان مثل وحيد القرن على حد تعبير داود النبى .. النعمة عندما تلمس قلب إنسان منفتح للمسيح تهبه قوة من فوق أعلى من القوى البشرية التى يستطيع الإنسان الذى تتجدد حياته وتتغير عاداته بالنعمة أن يقول مع زكريا النبى "لا بالقدرة ولا بالقوة ولكن بروحى يقول رب الجنود" .

كل إنسان معمد بالماء والروح ، ومختوم بالميرون المقدس ، ومداوم على التوبة والتناول من الجسد والدم، ينال حياة جديدة لا يستطيع العالم أن يجدها .

تستطيع القدرة الإنسانية أن تحقق أخلاقاً كريمة وعادات مهذبة ولكنها لا يمكنها أن تمارس عادات إنجيلية كمحبة الأعداء واحتمال المضطهدين بفرح والإماتة عن العالم . فهذه للذين ولدوا من الله أى المؤمنين باسمه .

الاتجاهات

ما هو الاتجاه ، يقصد بكلمة اتجاه نوع من الدوافع السلوكية المكتسبة أوسع مجالا من الميل ولكنه نسبى فى ثباته ، عاطفى فى أعماقه فعندما نتكلم عن اتجاه الفرد نحو تعليم المرأة يقصد بذلك وجهة نظره إزاء هذا الموضوع بالإضافة إلى مدى تأصلها فى وجدانه وعواطفه .. فالأمريكى ذو اتجاه عدائى للزنجى ، يتصرف إزاء الرجل الأسود تصرفات غير عاقلة ويتحيز ضده ويتعصب ضد ثقافته وآرائه لأن هناك اتجاها عدائياً ضده .

كيف يتكون ، تتكون الاتجاهات فى السنوات الأولى من حياة الطفل وتزداد بمرور الزمن . ولكن أعمق الاتجاهات هى التى تنمو فى المراحل الأولى من حياة الإنسان . والطفل الصغير يمتص اتجاهات والديه إزاء موضوعات الحياة لا شعورياً لأنه يعتبرها قدوة ويعجب بسلوكهما ويسعى إلى تقليدهما ، كما أن اخوته الكبار وخاصة المحبوبين منهم ، وكذا مدرسى المدرسة لهم أثر واضح فى تكوين وتنمية اتجاهات .. وهناك اتجاهات يمتصها الإنسان من المجتمع ونحن نقبلها بحكم الضغط الاجتماعى الذى نقع تحت تأثيره .

موقف المسيحية إزاء الاتجاه

يقوم تغلغل الدين عامة والمسيحية خاصة فى نفس الإنسان عن طريق تشبع النفس بالاتجاهات المسيحية .. لأن المسيحية كديانة تتلامس مع القلب وتدخل إلى الأعماق العاطفية للنفس ، وهذا المدخل له علاقة مباشرة بالاتجاهات ولذا نجد الناس يعرفون الإنسان المسيحى من اتجاهاته ووجهات نظره إزاء الموضوعات المختلفة .. والمسيحية تقوم أيضاً على التلمذة بمعنى تقبل كل اتجاهات مسيحية سليمة من المعلم أو المربى المسيحى للناشئ عن طريق

التسليم والقدوة والامتصاص والتفاعل والحياة المشتركة ، لذلك حرصت الكنيسة منذ عصورها الأولى أن تكون جماعاتها نقية فى اتجاهاتها متسلمة ما تعلمته وشاهدته ورأته وسمعته من القديسين . فالاتجاهات المسيحية تمثل جزءاً هاماً من الإيمان المسيحى ، وكل مسيحى مؤمن ينقل اتجاهاته بالكلام أو القدوة للآخرين وهذا هو تيار الكرازة .. كثيرون تعلقوا باتجاهات التعفف والإخلاص والأمانة واحتقار أباطيل العالم ، وكل سر تعلقهم بهذه الاتجاهات أنهم أحسوا بها وتفاعلوا معها وتتلمذوا لها على يد قديسين .

والرياء هو أن يكون الداخل غير نقى والخارج ذا شكل مظهرى .. أعنى أن يسعى الإنسان أن يظهر اتجاهات لا تقوم على الاعماق العاطفية التى فى داخله ، وهذا ما وبخه رب المجد فى الكتبة والفريسيين ولكن أولاد الله الحقيقيين يملكون كل اتجاهات سليمة خالية من التعصب والتحيز والانحراف عندما تلمس النعمة أعماق القلب ويصير المسيح هو المالك والقائد والموجه لكل سلوك الإنسان . بهذا نكون قد تكلمنا عن جميع مقومات الشخصية الشعورية إذ تحدثنا عن الدوافع الفطرية والدوافع المكتسبة الإرادية ، ولكن بقى لنا جانب آخر هو الجانب اللاشعورى ونقصد به العقد النفسية .. ولا شك أن الحديث عن هذا الجانب من الشخصية الإنسانية يستلزمنا أن نعالج ما يلى :

١ ــ ماذا يقصد بالعقد النفسية ؟

٢ ــ كيف تتكون العقد النفسية ؟

٣ ــ آثارها السيئة على الجهاز النفسى ؟

٤ ــ دور التربية الدينية إزاء العقد النفسية ؟

١ ــ ماذا يقصد بالعقد النفسية ؟

إذا وجدت رجلا يخاف من كل شىء ملون أحمر فهذا سلوك مرضى لأن الطبيعى ألا يخاف الرجل من هذا اللون ، ولكن الذى حدث أن تعديلا غير شعورى تدخل فى سلوكه ، وهذا التعديل اللاشعورى غير المنظم المكبوت فى العقل الباطن يسمى عند علماء النفس عقدة نفسية .

ونضرب مثالاً آخر فنقول إنساناً يذهب ليغسل يديه فى اليوم عشرات المرات خوفاً من القذارة فهذا عنده عقدة تختص بهذا الجانب . وثالث مثلا يخشى سماع صوت الماء المنحدر من الصنبور ، وهذا أمر غير طبيعي أو منطقي ، لابد إذن أن عاملا لا شعورياً أثر فى سلوكه هذا التأثير الشاذ ، ومثل هذا التأثير يُسمى عقدة نفسية .

٢ ــ كيف تتكون العقدة النفسية ؟

لا تتكون العقدة النفسية إلا عن طريق الصراع والكبت إذ لابد أن يحدث تصادم بين الإنسان والبيئة ، أو بين الذات والضمير ، أو بين الذات والرغبات البدائية .

وإذا انتهى الصراع بتغلب الذات لا تحدث العقدة ولكن إذا حدث انهزام وانكسار ثم كبتت نتيجة الصراع ورسبت النتيجة فى اللاشعور تكونت العقدة .

وترى مدرسة التحليل النفسى أن فترة السنوات الخمس الأولى من الطفولة هى فترة تكوين أهم العقد التى كثيراً ما توجه أصحابها إلى اتجاهات منحرفة . ومن أهم هذه العقد ما يسمى بعقدة أو ديب ، وعقدة ألكترا ، أو عقدة الأب وعقدة الأم .

وإذا كان هذا هو وسيلة تكوين العقدة فإحدى وسائل التخلص منها هو ما يعرف بالتحليل النفسى ، وفى هذه العملية يسعى المحلل النفسى إلى التفاهم مع المريض حتى يتعرف على مكان وزمان الانهزام النفسى الذى حدث له أى أنه يسعى إلى إخراجه من اللاشعور إلى الشعور ثم يأخذ فى تشجيعه وتقويته كى يستعيد نفسه لينتصر على الموقف من جديد .

٣ ــ آثارها السيئة على الجهاز النفسى ؟

تسحب العقدة النفسية طاقة من النشاط النفسى فهى كالجرثومة التى تهد من صحة الإنسان ، وكلما زادت العقد عند الإنسان قل اتاجه وانحرفت نفسه إلى المرض ، وعلى ذلك فالفرق بين الصحة النفسية والمرض النفسى فارق كمى .. لأن كل فرد منا تقابله متاعب نفسية ، ولكن الذى تغلبه هذه المتاعب لثقلها عليه يصبح مريضاً .. شبيه هذا الأمر بالمرض الجسمى تماماً .. فكل منا يدخل جسمه جراثيم متنوعة ، وهى إذا تغلبت على الكرات الدموية

فى الهجوم القائم بدأنا ندخل فى مرحلة المرض ، ويختلف مرض عن آخر حسب نوع الجرثومة ومقدار قوتها وحالة المريض الصحية . وهكذا الأمر بالنسبة للمرض النفسى ، يختلف المرض حسب نوع العقدة وشدتها وحالة المريض النفسية وجهازه النفسى ، ومدى استعداده للاحتمال أو الانكسار .

٤ ـ دور التربية الدينية إزاء العقد النفسية ؟

يرى بعض غير المتدينين أن الحياة الروحية تسبب للإنسان كبتاً وعقداً نفسية ، ويستندون فى رأيهم هذا إلى أن الغرائز والدوافع الأولية لا تجد لها إشباعاً إذ يحاول المتدين أن يقاومها وتكون نتيجة المقاومة العقد النفسية والمرض النفسى .. وهذا الرأى غير سليم ولا أدل على فساده من أن نفوساً كثيرة كانت مرضى ولما تلامست مع المسيح وعرفت الحق تشددت وصارت لها قوة وتأثير وفاعلية لم تكن لها من قبل . ومن المستحيل أن يتبع الإنسان المخلص رب الحياة وتكون نتيجة السير وراءه آلاماً نفسية .. حقيقة إن الرب يسوع وعد أتباعه أن آلاماً وضيقات كثيرة تنتظرهم ، ولكنها من الخارج وليست من الداخل . وبولس الرسول يعبر عن هذا بقوله "إن كان الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً" . أما إذا كنا نرى أحيانا فى الجو الدينى بعض الشخصيات المنحرفة لتأخذ مكان الصدارة فى بعض الخدمات الدينية فهذا مرجعه أن مجتمع المتدينين كأى مجتمع لابد أن تجد فيه السوى والشاذ أو المنحرف فى النشاط الدينى ستاراً يغطى به أمراضه وانحرافاته .. ولكن ليس معنى هذا أن الدين هو سبب الانحراف ، بل على النقيض من ذلك نجد أن الديانة المسيحية تحمى الإنسان بطبيعتها من الانحرافات النفسية ، ذلك لأنها ديانة المحبة والمحبة من طبيعتها تقضى على كل كبت وحقد وضغينة وإساءة ظن بالناس .

المسيحية ديانة الإيمان وطبيعة الإيمان أنه يسمو بالإنسان إلى ما فوق المادة فيدوس على الزمان والمكان وما تحت سلطانهما من متاعب ، وأفضل الأمثلة على ذلك حياة إبراهيم وحياة أيوب . والمسيحية ديانة الصلاة ، والصلاة تريح الإنسان من كل متاعبه لأنه فيها

يلاقى حبيبه الذى يحمل عنه كل عبء ، ويدفع عنه كل ضيق ، ويمنحه القوة للغلبة والنصرة الداخلية على كل تجربة .

والمسيحية تهتم بسر الاعتراف والتوبة وفى هذا السر نجد "تنظيفـــاً" للاشـــعور مـــن الرغبات المكبوتة كما نلمس عند المعترفين الأمناء أنهم ينالون قوة للتغلب علـــى مشـــكلات الصراع بين النفس والآخرين . إن سر التوبة يعطى للمؤمن راحة وسلاماً وطمأنينة وعـزاءاً داخلياً .. ويجب علينا أن نميز بين الاعتراف والتحليل النفسى ، الأمرين اللذين يخلط بينـــهما الكثيرون ، إذ أن التحليل النفسى يكون للمريض نفسياً أما الاعتراف فيتقدم له السليم السوى ، والتحليل النفسى ينضح النفس ويكشفها أما الاعتراف فهو يعالج ما يكشفه الإنسان عن نفســه فى ثبوته .. إنه ستر إلهى بغطى عورة النفس ، ودواء لجراحاتها "لا أدينك . إذهبى بسلام" .

التحليل النفسى علم لم يستقر بعد ، أما الاعتراف فهو سر من أسرار الكنيسة ، يمارس باستحقاقات دم المخلص وفاعلية وشركة الروح القدس .

ولعل من أهم الجوانب التى تحمى المسيحى من ألـــوان الصـــراع وجـود المرشـد الروحى.. فمهمة المرشد الروحى أن يساعد الإنسان فى وقت ضعفاته كى ينتصر على كـــل الصعاب التى تقابله ، ولكن المرشد الروحى إذا وجد أحداً من المؤمنين قد أصابته عقد نفسية فمن المفضل أن يستعين بطبيب نفسى حتى يتخلص منها ليكون الاعتراف مفيداً إذ ســبق أن قلنا إن سر الاعتراف للمؤمن السوى نفسى .

العوامل الخارجية وأثرها فى الشخصية

فى مرحلة الطفولة تأثر الشخصية بالقوى الخارجية تأثراً كبيراً وهذا الأمر هو أســاس التربية إذ بدونه لا تستطيع عملية التربية أن تؤدى دوراً ولكن فى مرحلة الشــباب يضعــف تأثير هذه القوى بالنسبة لما يحدث فى فترة الطفولة . وإذا كانت دراستنا لموضوع الشخصية من وجهة نظر مسيحية ، فإن الطفل يحتاج إلى رعاية دينية كى تنمو مشــاعره وأحاسيســه الروحية وينفتح ذهنه للحق وتتدرب حواسه على التمييز بين الخير والشر ، وإذا مـــا تقـدم

العمر بالطفل فصار شاباً له عاداته واتجاهاته الخاصة ، فإن تأثير العوامل الخارجية على حياته الروحية يتحدد فى أحد الأوجه الآتية :

١ ــ إن كان الشاب مؤمناً حقيقياً يمارس الأسرار بروح صادقة وتعمل فى قلبه لمسة الروح المجددة للحياة الباطنة فإ العوامل الخارجية لا تؤثر على النعمة المعطاة له ، بل هو على العكس يستخدمها ويسخرها لخدمة الرسالة التى تفتعل فى قلبه ، ومثالنا الواضح هنا شخصية أثناسيوس الرسولى الذى تحدى العالم بإيمانه .

٢ ــ أما إذا كان الشاب لم يختبر حياة النعمة بل هو متردد بين الطريق الروحانى وطرق العالم ، وقلبه منقسم بين الله وبلعال ، فإن العوامل الخارجية وظروف المجتمع وجماعة الأصدقاء وأحوال المهنة هى التى تحدد مصيره وتشكل مستقبله الروحى . وإذا علمنا أن غالبية الشباب يمكن وضعهم فى هذا القسم أدركنا أهمية الرعاية والأبوة الروحية الواجبة على الكنيسة حتى تلاحق نفس الإنسان وتسعى وراءه إلى أن يدرك المسيح ويحيا للحق ويخلص من عبودية تأثير المجتمع على الحياة الإنسانية الداخلية التى هى عرش للرب ومسيحه .

٣ ــ أن يكون الشاب قد انحرف فى تيار العالم واندمج فى جماعات وصداقات معثرة ولم تقدم له خدمة روحية فى بداية انحرافه بل مضى إلى الكورة البعيدة ومكث فيها سنين طويلة .

مثل هذا الشاب ميت من وجهة نظر الحياة الروحانية ويحتاج إلى خادم وأب روحى يسعى بجهاد ودموع أن يرجعه إلى الحظيرة ، ويوم أن يتوب الشاب توبة حقيقية سيودع كل المجالات المعثرة وينتفض من كل الأربطة والقوى التى ربطته بالعالم بعيداً عن أحضان الآب السماوى .

نخلص من هذا بأن المسيحى يحيا فى العالم ولا تحيا شهوة العالم فيه ، يعيش كغريب ونزيل ولكنه يؤدى دوره الاجتماعى بأمانة وإخلاص . هو سفينة تشق البحار وتتحدى الأمواج ، ولكن ماءها لا يدخل فيها لئلا يهلكها .. كل شخصية تعرفت على الحق تدرك متى

تندمج فى المؤسسات ومتى تنسحب ، عليه أن يشترك فى المؤسسات الوطنية ، وله أن يستغل وقت فراغه فى المجالات الرياضية والاجتماعية ، وليس هناك معايير محددة فى تفاعل المسيحى مع القوى الاجتماعية إذ أنها خبرة شخصية لا يقيمها إلا شهادته للحق الذى أودعه الله نوراً فى قلبه .

المسيحية لا تعرف التعصب لأن المسيحى ملح للأرض يجب أن يذوب ، ونور يجب أن يلتهب خدمة للسامرى واليهودى معاً .

المسيحية لا تعرف الانغلاقية ، لأن المسيحي ينفتح لجميع طرز الشخصيات لأنه لا يحيا لنفسه بل للذى دعاه من الظلمة إلى النور ، وإلهه أحب جميع الناس رغم اختلاف الأمزجة والأنماط .

المسيحية لا تعرف الانسحابية لأن المسيحى إذا انسحب من خدمة وطنه أو الجماعات التى يعيش فيها يخون وصية سيده ويقع تحت دينونة عدم الأمانة ، ويقف عثرة فى كل مجال، وبسببه يُجدف على الاسم الحسن .

٢ ــ أنماط الشخصية وعمل النعمة فيها

إن تصنيف الشخصية إلى أنماط ونماذج مختلفة أمر يستهوى الباحثين منذ زمن بعيد ، فقد قسم "كرتشمر" الشخصية إلى المزاج السوداوى والنارى واللمفاوى والصفراوى . واحد يمتاز بالحزن والتشاؤم ، وآخر بالحماس والغيرة ، وثالث بالهدوء والدعة إلى غير ذلك من السمات العامة ، ولكن هذا التصنيف لم يقف كثيراً أمام الأبحاث العلمية الحديثة التى أثبتت أنه ليست هناك معايير محددة يمكن بها عمل هذا التقسيم ، ولأن كل شخصية تختلف عن الأخرى وفق مبدأ الفروق الفردية فى النواحى المعرفية والمزاجية والجسمية والاجتماعية ، ثم أن شخصية الإنسان الواحد تختلف وفق مراحل العمر . فهى فى الطفولة غيرها فى الشبوبية ، غيرها فى الشيخوخة .

لذلك إذا تكلمنا عن أنماط الشخصية وجب أن نكون حذرين من أنه ليست هناك قوالب معينة تنصب فيها أنواع من الشخصيات ، لأن الشخصية نتاج عوامل داخلية وخارجية عديدة

كما سبق أن ذكرنا . وإذا أخذنا الأثنى عشر رسولا كعينة من عينات الشخصيات التى نريد أن ندرس عمل النعمة فيها لتبين لنا أن واحداً بارزاً مثل معلمنا بطرس الرسول يمثل طرازاً خاصاً ، وآخر مثل البشير يوحنا يمثل طرازاً مخالفاً .. واحد يمثل طراز المندفع المنبسط الخادم المتحمس ، وآخر يمثل طراز الهادئ المتأمل الرزين الصامت . وأما بقية الرسل فهم يمثلون الغالبية التى تأخذ قدراً من هذا وقدراً من ذاك .

وفى محيط الخدمة الدينية نلحظ أن الشبان فيهم من تنسجم شخصيته مع الرسول يوحنا، وآخرون كثيرون لا تبدو فيهم سمات المعلمين البارزين . والقديس أوغسطينوس يقول عن نمطى الشخصيتين الهامتين : "بطرس الرسول يمثل الحياة العاملة ، ويوحنا الرسول يمثل الحياة التأملية . وحياة العمل تمارس إلى أن ينتهى العالم الحاضر . أما حياة التأمل فهى تبتدىء هنا ثم تمتد لتكمل بعد نهاية العالم إذ لا يكون لها انتهاء ، وأمر السيد المسيح لبطرس الرسول "اتبعنى أنت" تشير إلى حياة الجهاد والعمل الذى تم على الصليب بالآلام . وأما اللفتة الكريمة التى كانت ليوحنا الحبيب "يبقى حتى أجيىء" ترمز إلى حياة التأمل التى تدوم حتى مجيئه .

إن مريم قريبة فى شخصيتها من يوحنا ، ومرثا تقترب من بطرس . كلا النوعين لازم للكنيسة .. والنعمة قادرة أن تعمل فى كل من هو مثل يوحنا ، ومن هو ليس مثلهما .

وفى الدراسة التحليلية للشخصية المندفعة المتكلمة الجريئة نجد أنها تقفز إلى مركز القيادة والمسئولية بسهولة ولذا فإن متاعب هذه الشخصية هى حروب الذاتية والكبرياء والشطط والاندفاع والعجب والانهيار السريع . ومن أجل هذا قال الرب يسوع لبطرس إنه سيصلى من اجله لكى لا يفنى إيمانه . أما متاعب الشخصية الهادئة المتأملة فهى حروب الكسل والخوف والانعزالية والتبعية .

عندما تعمل النعمة فى حياة المندفع الثائر الجرئ فإنها لا تغير شخصيته وتحوله إلى الطراز الآخر ، ولكنها تبقيه على ما هو وتنصر دوافعه ، وتقدس الميول والأهداف . وبولس

الرسول أصدق مثال فقد كان مندفعاً فى حربه ضد الكنيسة ، وبعد تجديد حياته صار مندفعاً للغاية فى خدمة الإنجيل وخلاص النفوس .

قد كتبنا هذا لكى لا يخطئ المرشدون الروحيون وآباء الاعتراف فى قيادتهم للنفوس ، إذ كثيراً ما يحدث أن شاباً متكلماً مندفعاً نشيطاً محباً للحياة الاجتماعية يرغب فى أن يقدم حياته للمسيح فيذهب لأب اعتراف فيأخذ فى توجيهه وفق خبراته الذاتية دون تفهم لنوع شخصية التائب فيسرع إلى توجيهه للصمت والحزن المقدس والابتعاد عن الناس ، الأمر الذى يؤدى إلى إحدى نتيجتين :إما أن يتضايق الشخص القادم للحياة الروحية ويحيا فى عدم ارتياح ، وإما أن يحيا متغرباً فى شخصية أخرى غير الشخصية التى خلقها الله له .

إن مهمة المرشد الروحى لخطيرة للغاية ولذا كانت الكنيسة لا تسمح لأحد من الآباء أن يمارس خدمة الاعتراف إلا إذا كان شيخاً محنكا روحياً ، لديه موهبة الإفراز والتمييز .. إذا أحس المرشد الروحى بشخصية المخدوم أمكنه أن يوجهه إلى الطريق الذى أعد لحياته ، ولكنه إذا أحس بذاته أو تأثر بقصص لبعض الآباء فإنه يرغب دائماً فى أن يطبع جميع الأشخاص بالنمط الذى أعجب به أو الذى يحياه . ويجدر بنا أن نشير إلى أن الدراسة النفسية لازمة للكاهن والخادم ولكن الإفراز والتمييز الروحانى أكثر لزوما ، وستظل الكنيسة فى حاجة إلى آباء دوى إفراز .

٣ ــ عمل النعمة فى مواهب الشخصية

نعنى بمواهب الشخصية الوزنات التى أنعم بها الله عليها ، وهى ذات شقين أحدهما مواهب عقلية واجتماعية ونفسية وبدنية ، وأخرى مواهب روحية . والأولى تتناول هبات الجسد ، والثانية تتعلق بهبات الروح . وللنعمة عمل فى هذه وتلك لأن الله عندما يملك على حياة إنسان فإن روحه القدوس يستخدم كل إمكانيات الشخصية لمجده .

فى إطار المواهب الجسدية يحتل ذكاء الإنسان وقدراته المعرفية ، وخبراته الاجتماعية، وصحته البدنية والنفسية مركزاً هاماً فى حياة الإنسان على الأرض ، وبالرغم من أن الله اختار جهلاء العالم ليخزى بهم حكمة الحكماء ، إلا أن كل من يأتى لله وهو شعلة

من الذكاء فإن النعمة تستخدم ذكاءه لنشر الإنجيل وامتداد الكرازة ، وأصدق الأدلة على ذلك حياة القديسين بولس وأوغسطينوس وباسيليوس واغريغوريوس وغيرهم من الذين يمكن الاستدلال بسهولة من تحليل حياتهم على تمتعهم بقدرة عقلية عالية قدمت للمسيح فى اتضاع فنالت بصيرة روحية واستنارة إلهية امتد نورها فى أصقاع المسكونة كلها . وما يقال عن الذكاء يطبق على الخبرات الاجتماعية والصحة البدنية والنفسية . فبالرغم من أن الله مستعد أن يعمل فى الفقراء والضعفاء ولكن كل الذين كانت لهم مواهب فى هذه الجوانب عملت النعمة فيها واستخدمتها لربح النفوس وجاءت بثمار كثيرة . مثالنا على ذلك حياة الأنبا شنودة لابد أنه كان يملك قدرات اجتماعية ونفسية تؤهله للقيادة الفريدة فما أن تلامست هذه مع الروح حتى أعطيت نعمة وصار أباً للشركة وقائداً ممتازاً فى الرهبنة والخدمة . لذلك يلزم أن ننبه أنظار المربين إلى أن الأشخاص دوى المواهب القيادية إذا خضعت حياتهم للصليب فإنها تكون ذات قيمة كبيرة ، وبهم تتشدد نفوس كثيرة . والخطورة شديدة فى مجال التربية الكنسية عندما يمانع المعلمون التلاميذ النشيطين الأذكياء كثيرى الحركة والسؤال والاعتراض، لأن هؤلاء ليسوا مشكلين وإنما دوو مواهب تنتظر أباً حكيماً قوياً حازماً محباً يقدمها للمسيح لتلمسها نيران الروح فتفوح منها رائحة حياة للكثيرين .

ومهمة المربى وأب الاعتراف أن ينبه الشخص إلى ضرورة العناية بوزناته الجسمية والنفسية والاجتماعية والعلمية لأن هذه ليست ملكاً للإنسان بل هى للرب ، وكلما نمت هذه المواهب واستغلت استغلالا سليما دون انحراف أو كبرياء وذاتية ، تكاملت الشخصية وأحست بالتناغم والانسجام القائم بين خدمات كافة الوزنات والرسالة الروحية التى تحتل مركز القيادة عند الإنسان الروحى .

"وأما من جهة المواهب الروحية أيها الاخوة فلست أريد أن تجهلوا .. أنها أنواع كثيرة ولكن الروح واحد .. فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة . ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد . ولآخر إيمان بالروح الواحد . ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد . ولآخر عمل

قوات ولآخر نبوة ولآخر تمييز أرواح .. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (اكو ١٢ : ١ ــ ١٣) .

فالمواهب الروحية موزعة من روح الله للبشرية لتكميل خدمة القديسين فواحد وُهب إمكانيات روحية للتعليم ، وآخر للتبشير ، وثالث للتأمل والصلاة ، ورابع لعمل قوات ومواهب شفاء وهكذا . كل حسب وظيفته وعمله كعضو فى جسد حى هو كنيسة المسيح ، ورأسها الرب يسوع فى السماء .

فتنوع المواهب لازم لبناء هيكل الكنيسة كتنوع أشكال العظام فى هيكل الجسد . إذا يتكامل المؤمنون الواحد بالآخر كارتفاق العظام بعضها ببعض بإحكام "بمفاصل وربط منآزرا" فتقف الكنيسة متساندة بعضها مع بعض كقيام الجسد ، وهكذا نحن الكثيرون جسد واحد فى المسيح وأعضاء بعضنا لبعض كل واحد للآخر .

وباتصال المؤمنين بالرأس أى المسيح يستمدون المعرفة من مصدر المعرفة والحق ، المذخر فيه كل كنوز الحكمة والعلم ، وذلك بوساطة عمل الروح القدس الذى قيل عنه إنه يأخذ مما للمسيح ويعطيهم ، وبذلك فإن عمل الأعضاء فى الكنيسة بإرشاد الراس أى المسيح هو فى الواقع استمرار وتكامل لرسالة المسيح وكرازته وتعاليمه وتعبه وآلامه بل وغاية تجسده أيضا "لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح إلى أن ننتهى جميعنا إلى قياس قامة ملء المسيح .. ننمو فى كل شئ إلى ذاك الذى هو الرأس المسيح الذى منه كل الجسد مركباً معاً ومقترنا بمؤازرة كل مفصل" (أف ٤ : ١٢ ــ ١٦) .

وشمول الكنيسة لشخصيات المؤمنين لا ينصب على معنى الجمع العددى بينها ،وإنما يشمل جمع كفاءاتهم الإيمانية وضم مواهبهم وتنسيقها وادخار شهاداتهم العديدة ، إن بالدم أو بالآلام أو التعذيب أو الجوع أو العرى أو الحرمان ، تحفظه فى قلبها وتذخره لأولادها كمنبع للوحدة يستوعب منه كل عضو جديد بقدر ما يستطيع . فإيمان التلاميذ واستنارة الرسل وغيرة الشهداء وحب القديسين لا تزال تنبض فى قلوب المؤمنين الذين يتحدون بقلب الكنيسة.

والوحدة في الكنيسة تستلزم التمايز بين الشخصيات حتى لا تكون مجرد سبيكة بشرية فاقدة تماما لكل خواص مكوناتها فالأعضاء يجب أن تسهر جميعاً للاحتفاظ بشكل كل عضو ووظيفته ومؤهلاته ، وأن اليد التى تحافظ على العين جدير بها أن تسمى يداً ، والعين التى لا ترضى بإيذاء اليد أو حرمانها من العمل والخدمة تستوجب الكرامة .

يا لخطورة التوجيه الروحى للشباب عندما يطلب المرشد الروحى من الذى وهب أن يكون واعظاً أن يكف عن الوعظ ، والذى وهب حياة التأمل أن يمتنع عن الرهبنة ، والذى وهب أن يخدم الفقراء أن يقف للتعليم بينما الروح لم يعطه موهبة هذا العمل .

لذلك يلزم لكل فرد فى كنيسة المسيح أن يتعرف على مواهبه بإرشاد من روح الله وتوجيه المرشد الروحى ويعمل على تنمية كل ما أخذه من الله كى يكون أمينا فى القليل كى يدعى للعمل فى ملكوت الآب الصالح فيكون أميناً فى الكثير .

٤ ــ الشخصية والتكيف الاجتماعى

انتشرت فى هذه الأيام الأبحاث التى تدرس القدرات المطلوبة فى الشخصية لعملية الملاءمة والتكيف مع الحياة الاجتماعية للوصول إلى أحسن تفاعل اجتماعى ، ونقرأ كل يوم عن كتب تحت عنوان كيف تكسب أصدقاءك ؟ وكيف تنجح فى المجتمع ؟ وكثيراً ما يقرأ أولاد النعمة هذه الموضوعات ويبهرهم بريقها ، وتخدعهم سلاسة أفكارها .. والأمر الذى يجب ألا يغيب عن بالنا أن المؤمنين ليسوا كباقى الناس فى أهدافهم . فهدف المؤمن الحياة الأبدية ولذا فإنه لا يصح أن يستخدم وسيلة تتضارب مع الهدف لأن الغاية لا تبرر الوسيلة فى الحياة المسيحية . فألفاظ المرونة واللياقة والتكيف كثيراً ما تحمل وراءها معنى اللف والدوران والغش والخداع ، وهذه أمور تحزن روح الله تماماً .

ليس معنى هذا أن المسيحى يجب أن يكون خشناً فظاً ، فالكتاب المقدس يطلب منا أن نكون لطفاء شفوقين متسامحين كما سامحنا الله فى المسيح يسوع ، ولكن المقصود أن يراعى المسيحى فى طرقه ووسائله التى يستخدمها مع أهله وأصدقائه وزملائه ، أن تكون شريفة طاهرة منيرة كالشمس ، صريحة كالحق ، وإذا أجبر على أن يستخدم وسيلة دنيئة كالرشوة

أو المحسوبية أو الغش أو الكذب ، فعليه أن يرفض حتى ولو كان فى هذا إغضاب للرئيس وتهديد بالنقل أو الطرد من العمل ، وهنا نجد المسيحية لا تقبل أن يتكيف المسيحى مع الباطل "لأنه ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس" .

ومهما بدت وصايا الله متضاربة مع وصايا العالم ، فلنتذكر أن هذا التعارض ظاهرى فقط ، بل لا يوجد بالحقيقة تعارض بالمرة فليس هناك وصايا إلا وصايا الله وهى نافعة ولائقة ومفيدة لكل شئ فى هذا الدهر وفى الدهر الآتى .

وصايا المسيح هينة ، وحمله خفيف. ولكن إذا حاولنا الجمع بين وصايا السيد المسيح ، وبعض مبادئ العالم فإن نير المسيح يثقل جداً ولا يطاق حمله .

ووصايا السيد المسيح كفيلة أن تجعل الشخصية سعيدة للغاية فى هذا العالم الحاضر ، لأن الثقة فى شخص المسيح ، وعدم استخدام طرق التحليل البشرى ، والسياسة والمكر وحفظ الوصية عملياً كفيل أن يجعل الإنسان يسير فى طريق الحق .

وكل إخفاق وفشل اجتماعى للإنسان السائر حسب وصايا المسيح إخفاق وفشل مؤقت يعقبه النجاح حتماً . وإن لم ننل نجاحاً ظاهراً أمام الناس فيكفينا أننا نفذنا الوصية لنلقى الرب وهو آت على السحاب دون خزى أو خجل .

أما جماعة الذين يعيشون حسب الجسد فهؤلاء يستخدمون طرقاً بشرية لمعالجة أمور حياتهم ، والروح القدس لا يعمل فى شخصية تعتمد كلية على التخطيط الإنسانى .

ولا تعطى للإيمان وروح الله مركز القيادة فى توجيه السلوك والحياة ، وفى هذا يتمايز أولاد الله عن أبناء العالم .

وندرس فى الجزء الثانى من هذا الفصل بعض الانحرافات الإيمانية التى قد يقع فيها المؤمن : نحللها ، ونكشف عن أسبابها ، ونربطها بالمفهوم الإنجيلى ، وتعاليم الرب ، من جانب ، وبمبادئ التحليل النفسى من جانب آخر .

انحرافات الإيمان

إذا كنا أوضحنا أبعاد الحياة المسيحية ؛ فإننا نعود مرة أخرى إلى ما بدأنا ذكره وهو أن المسيحية قد تنحرف إلى مظاهر تدين شكلية فيصبح المسيحى متديناً شكلا وخالياً من النعمة والحق جوهراً وموضوعاً .

وأول هذه الانحرافات هى :

الفريسية

من هم الفريسيون ؟ وما جماعة ثيوقراطية تدب جذورها التاريخية حتى أيام المكابيين، وقد تكونت بصورة واضحة منظمة قبل ميلاد الرب يسوع بمائة عام تقريباً . وكانت جماعة مدققة حريصة على تنفيذ وصايا الناموس . وإن معنى الكلمة اللغوى يفيد معنى التقديس والاعتزال . ولكن حرص الفريسيين الشديد على تنفيذ الوصايا أخذ بمرور الأيام صورة مظهرية عند غالبية هذه الفئة . فاشتهروا بالحرفية والمظهرية والتعالى ، وهكذا أصبحت هذه الجماعة حزب المحافظين الرجعيين الذين يمثلون اليهودية الضيقة ، والجماعة المقاومة لكل تجديد ولكل رسالة حق تكشف خبث ورياء ونفاق الحياة التى يعيشونها . ولأجل هذا اصطدموا بالرب يسوع اصطدماً شديداً وكانوا يسيرون وراءه ساعين أن يأخذوا عليه كلمة . وكانوا من أشد الداعين إلى صلبه ، لأن الناس انفضوا من وراءهم وساروا وراءه ، عندما وجدوا تعاليمه إلهية صافية نقية للغاية .

فبالنسبة للمظهرية ندد الرب يسوع بهذا الاتجاه البغيض فى قوله " كل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس .

فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم . ويحبون المتكأ الأول فى الولائم والمجالس الأولى فى المجامع . والتحيات فى الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدى سيدى " (مت ٢٣ : ٥ ــ ٧) .

وبالنسبة للرياء والنفاق فقد كشف الرب يسوع الأقنعة عن هذه الأمراض بقوله :

" ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة . أيها الفريسى الأعمى نق أولا داخل الكأس والصحفة لكى يكون خارجهما أيضاً نقياً " (مت ٢٣ : ٢٥ ــ ٢٦) .

وبالنسبة للحرفية والتدقيق فى الأمور البسيطة وترك الأمور الهامة يقول لهم الرب يسوع " ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرأوون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الناموس " الحق والرحمة والإيمان " (مت ٢٣ : ٢٣) .

وبالنسبة لعدم نقاوة التعليم وتلوثه بالآراء الشخصية والفتاوى البشرية :

" ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشئ ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم " (مت ٢٣ : ١٦) .

وبالنسبة للخدمة الملوثة يقول عنهم :

" ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحداً . ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً " (مت ٢٣ : ١٥) .

وهكذا تتجمع المظهرية والنفاق والريا وطلب مجد الناس ومديحهم مع الحرفية وبشرية التعليم والخدمة فى نمط يسمى الفريسية البغيضة .

وهذه الفريسية مرض يصيب المتدين الذى يحب الجو الدينى ويحرص على أوقات العبادة ، ويدقق فى تنفيذ الوصايا ، ويهتم كثيراً بارتياد بيعة الله فى كافة أوقات الخدمة .

وثمة سؤال هام وهو كيف ينحرف الإيمان إلى الفريسية ؟

الإجابة هى فى نفس أقوال الرب يسوع للفريسيين :

١ ــ أنهم يقولون ولا يعملون . يحملون الناس أحمالا عسرة ولا يريدون أن يحركوها بإصبعهم .

٢ ــ أنهم يطلبون مجد الناس ويحبون المتكآت الأولى وان يدعوهم الناس سيدى سيدى والرب نفسه يقول فى موضع آخر كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تطلبون مجداً بعضكم من بعض .

٣ ــ أنهم نفعيون يسمعون إلى الإفادة لأنفسهم من الجو الدينى ، فبينما الديانة الحقيقية حب وبذل وعطاء فإنهم لعلة يطيلون الصلاة ، وهم أيضا يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل .

٤ ــ أنهم لا يعيشون حسب الحق والرحمة والإيمان ولكنهم يعيشون حسب حرفية كاذبة متحجرة .

٥ ــ أنهم متعالون يتصورون فى أنفسهم أنهم معلمون وفاهمو الناموس ، وأنهم أفضل بكثير من عامة الناس فهم يعيشون فى البر الذاتى ، وهذه هى الخطيئة الكبرى للفريسية .

٦ ــ أنهم متعصبون ضيقو الأفق لا يقبلون أن يتعلموا من أحد شيئاً جديداً يخصبون به فكرهم ويجددون به ما عتق وشاخ عندهم . وهذه الانغلاقية هى نتيجة حتمية للتعالى والبر الذاتى والتمسك بالقيود الضيقة والأشكال الرجعية .

وعلى ذلك هناك سؤال هام وهو كيف يتحصن المسيحيون ضد الفريسية ؟ لكى يكون تدينهم ليس مجرد نشاط دينى مظهرى وإنما حياة مسيحية صادقة أصيلة .

الإجابة نجدها فى النقاط الآتية :

١ ــ أن ندرك جيداً أن المسيحية نعمة وحق ، النعمة تنال بالخلاص المجانى الذى لنا فى استحقاقات الصليب والتى تصل إلينا بوسائط النعمة من صلاة وإنجيل وأسرار مقدسة فى الكنيسة ، والحق الذى يلزم أن نشهد له .. هذا يتطلب منا جهاداً أمينا مخلصا ضد ذواتنا التى تريد أن تخالف الحق فى كل مجال من المجالات التى نحياها . إن النفس التى تعشق الحق وتحيا للحق وتشهد للحق حريصة كل الحرص على صلب الأهواء والميول والشهوات ، وحريصة على مقاومة كل مشيئة ذاتية حتى يكون المسيح هو الكل فى الكل .

٢ ــ أن لا نسلك سلوكاً معيناً أمام الناس يختلف عما فى باطننا إزاء الموقف ، كأن نقف أمام الناس نصلى بحرارة ودموع ونحن لا نصلى فى حجراتنا الخاصة ، أو أن نُظهر لإنسان اهتماما شديداً ونحن لا نقبله داخليا . فالركب المنحنية وأنت مكسو بداء الكبرياء

والتضرعات الشفوية وأنت تكدس كنوزك فى الأرض ، والابتهالات الحارة وأنت تعيش فى حماقات العالم ، وصلوات الوداعة والمحبة وأنت تحتضن فى قلبك سخائم الحقد والضغينة ، وفترات التعبد وأنت تعطى أيامك وسنيك للملذات الباطلة والزيارات العقيمة والأحاديث الفارغة .. هذه كلها مظاهر جوفاء باطلة ودلائل على الحياة المملوءة رياء وغشاً وكذباً وخداعاً.

٣ ــ أن يدقق كل متدين فى سلوكه ويعطى فرصة لكلمة الله كى تجدد حياته ، ويفحص نفسه على ضوء الإنجيل وتوجيهات أب الاعتراف مع العزم الأكيد على اتخاذ مواقف حاسمة ضد الذات الملتوية المرائية حتى لا ينمو فيها هذا المرض ، وكما أن الأورام السرطانية الخبيثة تحتاج إلى مشرط الجراح ، هكذا رياء الفريسية عندما نكتشفه فإننا نحتاج إلى سيف الروح وترس الإيمان وأسلحة الحرب المقدسة لمقاومة الذات اللئيمة .

٤ ــ ألا نعلم الأطفال من خلال أنماط سلوكية وقوالب معينة وتدريبات شكلية تستند على أعمال الذات وقوة الإرادة البشرية البحتة دون أن يكونوا قد تفتحت نفوسهم لنيل النعمة اللازمة لمثل هذه التصرفات .

يلزمنا فى التعليم أن نسلم المسيح الذى فينا ، وأن نعلم الأطفال كيف يتحسسوا النور والحق الذى فيهم حتى يكون كل ما يعملونه إنما بتوجيه من مسحة الروح الداخلى ، وهى حق لا غش فيها .. وأن تملك النعمة العاملة فى داخلهم تدريجياً على كل تصرفات حياتهم لا أن يكون الدين أغلفة وأردية تلقى عليهم من المربين والمسئولين .

٥ ــ أن نعلم أطفالنا وشبابنا التمسك بالمسيح نفسه ، وأن نقاوم فهم عبادة الكبار والقادة ..لأن عبادة الأشخاص تؤدى إلى الانحراف عن الحق وإلى التعصب وضيق الأفق والتحزيات والانقسامات والتعالى وعدم أخذ المشورة من ينبوع الحق عينه ، وإنما الالتجاء إلى الآبار البشرية المشققة التى لا تضبط ماء . وإذا كنا نرى بولس الرسول يقول تمثلوا بى فإنه يكمل قوله كما أنا بالمسيح .. فالقدوة عنده من خلال الحق وحده ، هكذا يلزم أن يكون ظل الآباء والخدام على أولادهم خفيفاً للغاية ، وهذه الشفافية تعطى فرصة للروح

القدس أن يعمل بقوة فيهم وفينا كما تعطيهم المجال لتكوين شخصيات متحررة خالية من الكبت والضغط ، والقسر والعوامل النفسية المنحرفة المريضة .

ويرتب بهذا الجانب إعطاء التلاميذ والأبناء فرص الحوار المفتوح والسؤال عن كل ما يختلج فى داخلهم . وأن نرى فيهم الشجاعة وأن يفصحوا عن مشكلاتهم وخاصة أمام آبـاء الاعتراف فى وضوح وصفاء .

إن الشاب الحر الجرىء الواضح القادر أن يتفهم نفسه ويتقبلها ويقاوم بالنعمة الأهـواء التى فيها ، لهو وحده الشاب الذى يدعى مسيحياً ، بينما النفوس المريضة الجبانة المتعالية فى الداخل والمتظاهرة بالاتضاع فى الخارج حريصة على ممارسة الأصوام والصلوات خشـية كلام الناس وحباً فى إرضاء الوسط الدينى .. هذه جماعات فريسية متدينة بالمفهوم السـابق ، ولكنها ليست مسيحية بالمعنى الصحيح .

٦ ــ أن نحرص فى خدماتنا على مقاومة المظهرية كأن نهتم بالأعداد والأرقام والأشـكال والدعايات والمطبوعات ، دون أن يكون هناك عمل روحـى دؤوب لخدمـة خـلاص الأنفس وبنيانها ونموها فى النعمة والحكمة .. إن فرع التربية الكنيسـة الـذى تهمـه المظهرية يؤذى نفسيات الناشئة ويحرفها عن الإيمان انحرافا خطيراً إذ سلمها الـروح الفريسية دون أن يدرى . والرب يسوع علمنا أن تجرى وراء الخروف الضال وحـده ، وألا نبحث عن إرضاء الجماهير ولكن الذى يلزم أن نرضيه هو الحق وحده .

عندما ننظر إلى الكنيسة ككيان اجتماعى أو كهيئة ، أو كمنظمة فإنها تتحول فى نظرنا إلى طائفية .

ويشبّه أحد الكتاب الطائفة بالنسبة للكنيسة كالجسم بالنسبة للإنسان فيقول "كما أن الجسم ليس إنسانياً إلا بقدر ما يعبر عن فكر الإنسان وإرادته وشعوره كذلك فالطائفة ليست طائفـة مسيحية إلا بقدر تعبيرها عن حياة دينية هى فى جوهرها سعى الجماعة إلى الله وطاعتها له".

والكيان الاجتماعى الذى نسميه طائفة يفقد كل صفة مسيحية إذا استقل عن تلك الحيـاة الكنسية الذى يفترض فيه أن يعبر عنها ، وعن الطائفية يقول إنها التوقـف عنـد المظـهر

الاجتماعى للكنيسة وإهمال رسالتها الأصيلة المميزة واعتبار الكنيسة تكتلاً اجتماعياً فى الأساس يقوم تجاه تكتلات أخرى لا يميزه عن كافة الهيئات الاجتماعية سوى شعائر فصلت عن مضمونها ولغة أفرغت من معناها .

لماذا تنشأ الروح الطائفية فى مجتمعنا المسيحى ؟

فى مصر نحن نخلط كثيراً بين القبطية والأرثوذكسية ، إن كلمة قبطى فى معناها اللغوى تعنى كلمة "مصرى" فالاعتزاز بالقبطية اعتزاز اجتماعى فيه حنين إلى التراث القديم وتاريخ الأرض ورجالها القدماء . اما الاعتزاز بالأرثوذكسية فهو إيمان مسيحى فيه حنين إلى الحياة الأبدية وانفصال عن كل ربط أو تعصبات تعطل استقامة الإيمان والحق الذى فى قلب المؤمن .

+ المتمسك بالأرثوذكسية إنسان روحى .

+ والمتمسك بالقبطية إنسان طائفى .

ولكن هل من نقط تماس واقتراب بين البعدين ؟

نعم هناك مجالات مشتركة ولكن يلزم الدخول فيها بحرص .

لنذكر على سبيل المثال اللغة القبطية

إنسان ينادى بدراسة اللغة القبطية بدافع تعلم ألحان الكنيسة وتسبحتها وقراءاتها فى القطمارس السنوى ، هذا إنسان كنسى روحى أرثوذكسى .

وآخر ينادى بدراسة اللغة القبطية للاعتزاز بالقومية ، والتكلم بها فى البيوت بغية التكتل الطائفى . هذا إنسان طائفى .

مثال آخر : النظرة إلى رؤساء الدين

واحد ينظر إليهم من خلال المسيح والصليب والإيمان ، هذا رجل ينظر نظرة روحية.

وآخر ينظر إليهم على أنهم زعماء وحماة مصالح الطائفة المالية والاجتماعية ويفرح عندما تزداد سطوتهم وسلطانهم المادى ، هذا ينظر نظرة طائفية بحتة .

الأول القوة عنده هى عمل الروح القدس فى خلاص الأنفس ، والثانى القوة عنده هـى المال والمراكز ومواقع السلطة والامتيازات وكثرة عدد الأقباط فى القيادات .

مثال ثالث : النظرة إلى غير المسيحيين

واحد ينظر إليهم على أنهم أعداء الدين ويفرح عندما يصيـب بعضـهم ضيقـات أو كوارث ، هذا إنسان متعصب طائفى .

وآخر ينظر إليهم على أنهم خلقوا على صورة الله ومثاله ، وإذا كانوا لم يتعرفوا علـى حق الله الذى فى الإنجيل فهم أكثر الناس احتياجا إلى حبه واتسـاع قلبـه ومودتـه ولطفـه وانفتاحه ، مثل هذا إنسان مسيحى حقيقى .

والطائفى يفرح بانضمام أى شخص من الطائفة الأخرى إلى جماعته مهما كان هدفـه لهذا الانضمام لأنه يشعر أنه أقليه ويريد من خلال زيادة الأعداد وتكتلها أن يستشـعر أمنـا وطمأنينة لنفسه ولطائفته ، بينما الشخص الروحى لا يهتم بالانضمام الشكلى ولكنـه يريـد عضوية روحية فى جسد المسيح الحى ، ولا يشعر إطلاقا أنه عضو فى أقلية من من الأقليات لأن عضويته فى الكنيسة عضوية روحية تجعله ينتمى إلى ألوف وربـوات مـن القديسـين المنتصرين والمجاهدين ، وعضويته فى وطنه عضوية اجتماعية ، تجعله يشعر أنه مواطـن وليس عضواً فى جالية أجنبية متغربة .

لذلك يلزمنا أن نقاوم القومية والتكتل فى المسيحيين ، فالذى يريد أن يحيا فى قوميـة قبطية ، هذا إنسان له رأيه الاجتماعى والسياسى ولكنه لا يعبر عن المسيحية الأرثوذكسـية ، وليس هو عضو فى كنيسة الله الجامعة المقدسة الرسولية . لأنه إذا كان قد عجـز عـن أن يتجاوب مع أل وطنه ويذوب فى خدمة الجماعة كيف يستطيع أن يدعى أنـه عضـو فـى أورشليم السمائية التى بها أعضاء غير منظورة .. والذى لم يستطع أن يخدم المسـيح فـى اخوته الأصاغر كيف يدعى أنه يستطيع أن يخدمه فى الكنيسة .

هناك نفوس كثيرة تنزعج من هذا الكلام لأنك لو أفرغت منهم طائفيتهم لا يتبقى عندهم شىء .

ولكن هناك نفوس ، ولو قليلة ، حريصة على أن تنقض كل فكر طائفى يندس فى جماعة المؤمنين كى تبقى كنيسة الله الأرثوذكسية طاهرة كالشمس ، جميلة كالقمر ، قوية كجيش ذى ألوية .

مظاهر انحرافات الطائفية

١ ــ الإنسان عضو فى الكنيسة لأنه عضو فى الطائفة

فالإنسان يعتبر مسيحياً مهما كان موقفه من الإيمان ومن شخص ربنا يسوع المسيح ، والذى يؤهله إلى هذه العضوية في الكنيسة ليس إيمانه ولا إخلاصه للحق ولكن لأن بطاقته مكتوب فيها أنه مسيحى . فالمسيحية الاسمية هى حيثية العضوية . يتذكر كاتب هذه السطور أنه كان جالساً مع أستاذ جامعى فجاء البريد يحمل إلى الأستاذ طالباً من وزارة التربية والتعليم مراجعة مناهج الدين المسيحى وهو شخص ليس له أية علاقة بالدين نهائياً ، سوى أن اسمه فقط يشير إلى أنه مسيحى بالوراثة .

" فالإنسان يمكنه أن ينكر المسيح ومع ذلك يصر على اعتبار نفسه منتمياً إلى الجسم المسيحى ، ويعطى لنفسه الحق بالمساهمة فى شئون هذا الجسم " .

بل أحياناً هناك كثيرون من المسيحيين بالاسم يتبوأون قيادات ومسئوليات ومهام وإدارات فى الكنيسة .

ويرتبط بهذا الموضوع مقابل آخر له ، فكما أن المسيحى بالاسم مفروض على الكنيسة، كذلك الكنيسة " كطائفة " تفرض على المسيحى بالاسم أن يمارس شعائر وتصرفات دينية لا تتفق مع حالته وموقفه من الدين . كأن يكون ضرورياً على أى مسيحى بالاسم "وهو ملحد مثلاً" أن يمارس سر الزيجة في الكنيسة !! وأن يصلى على جثمانه بعد وفاته لكى يؤبن ويمتدح إيمانه وأمانته !! .

إذن يلزم أن يكون هناك زواج مدنى وزواج كنسى ، يبقى الزواج المدنى لكل المواطنين مهما كانوا ، وأما الزواج الكنسى فهو للمؤمنين القديسين الملتزمين بالإنجيل وتقليد الكنيسة الرسولى .

وقد تسأل وما الحل مع ضعاف الإيمان ؟ الإجابة إن الحل هو من خلال الكنيسة والرعاية والافتقاد والسهر الروحى ، وليس من خلال الضغط الاجتماعى والقوانين والنظم المرعية .

إن استخدام الضغط الاجتماعى فى القضايا الإيمانية يتنافى مع كرامة الإيمان والأسرار الإلهية كما يتنافى أيضا مع حرية الإنسان التى أودعها الله فيه .. نستطيع أن نخلص إذن أنه ليس كل قبطى فى بلادنا هو مسيحى بالضرورة ، ولكن المسيحى هو المؤمن الملتزم بالإنجيل والتقليد الرسولى الأرثوذكسى .

٢ ـ التعصب

يقول الأستاذ كوستى بندلى فى دراسته لموضوع الطائفية : " إن الموقف الطائفى ليس سوى تزييف للإيمان لأنه طعن للمحبة فى الصميم . ذلك أنه يجعل من الطائفة كتلة منغلقة على مصالحها وأمجادها . ولذلك فلابد لهذه الكتلة فى تهالكها وراء المغانم الترابية والمجد الدنيوى أن تصطدم بغيرها من الكتل المتهالكة وراء المصالح عينها .. وبعبارة أخرى فإن الطائفة إذ تؤله ذاتها تتغرب عن الله وفى آن واحد تتغرب عن الآخرين " .

فالموقف الطائفى لا بد أن ينشئ تناحراً وخصاماً وتحدياً وكراهية وتعصباً .

٣ ـ إصدار أحكام دينية على تصرفات اجتماعية

فكما أن المتعصب والطائفى ينظر إلى الكنيسة ككيان إجتماعى ويسعى إلى تحويلها مؤسسة أو منظمة أو أجهزة تواجه وتقابل مؤسسات وأجهزة الطوائف الأخرى ؛ فإنه أيضا يحكم على الأنشطة الاجتماعية أحكاماً دينية . وهذا هو العمى الروحى .

المجتمع نحكم عليه أحكام دينية .

والدين والكنيسة نحكم عليهما أحكاماً اجتماعية .

ما معنى هذا ؟ معنى أن هذا الطائفى عندما يتعامل مع المواطنين يكون لابساً منظاره الطائفى . ومن خلال هذا المنظار ينظر إلى جميع التصرفات ملونة بلون منظاره . فإذا ضايقه أحد الرؤساء فإنه سرعان ما يرجع هذا التصرف إلى سبب دينى . وإذا نقل إليه زميل

أو رئيس أو مرؤوس فإن أول ما يريد أن يعرفه كي يتعامل معه على أساسه ، ليس الخبرة ولا المؤهلات ولا الإخلاص فى العمل ، وإنما العقيدة والمذهب والدين والطائفة .

وإذا صدرت حركة تعينات أو ترقيات وخاصة للرؤساء الكبار فإنه يجلس يحصى أسماء المسيحيين وكم يرضيه أن يرى هذه الأعداد كثيرة ، مع أنه كان يلزم أن يعرف أن هذه الأمور الاجتماعية لا ينظر إليها من خلال العقيدة والدين ، وإنما تعالج بالقواعد والأحكام الاجتماعية . ألم يقل الرب يسوع " إعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله " .

ويرتبط بهذا المبدأ أن تحرص الكنيسة على تنقية جميع أنشطتها من كل ما هو طائفى، ويبقى نشاطها الوحيد هو العمل الروحى . وهذا ما يحتاجه العالم دائماً لأن فيه شبعاً ورياً .

على أن مبدأ علمانية الدولة الذى أصبح طابع القرن العشرين يلزمه أن يقابل بمقاومة لفاتيكانية الكنيسة ، أى إشرافها على بنوك ومؤسسات واقتصاد وسياسة . فدور الكنيسة أن تشجع أولادها على الوطنية والحب والانفتاح والبذل دون دخولها فى السياسات والحزبيات !! وأما دور الدولة فهو تشجيعها للكنيسة على أداء رسالتها وقيامها بمسئولياتها ؛ ونهوض الحكومات بمسئولياتها الاجتماعية والإنسانية دون تحيز أو تعصب ما .

ويكتب الدكتور وليم سليمان عن فاتيكانية الكنيسة شارحاً موقف الكنيسة المصرية بقوله " إن تاريخ كنيسة بلادى يشجب هذا الإقحام للدين فيما لقيصر . إن الأقباط يتحركون سياسياً واجتماعياً ولكن فى إطار الوحدة الوطنية . وعملهم هذا لا يمكن إضفاء صفة دينية عليه ولكنه فى المحل الأول عمل وطنى يشتركون فيه مع باقى المواطنين ويطبقون نفس المبادئ لتحقيق ذات الأهداف " .

مسئوليتنا إزاء الروح الطائفية

يلزم إيضاح مفهوم الكنيسة فى أذهاننا وأذهان الناشئة ، فإذا عرفنا الفرق الكبير بين الكنيسة والطائفة حرصنا على أن يكون لكل واحد منا عضوية فعالة فى الجسد الحى .

إن الارتباط الصحيح بالكنيسة يخلصنا من داء الطائفية المسيحى المرتبط بالحياة الأبدية وأورشليم السمائية لا يتعصب لطائفة أو جماعة أو هيئة لأن أمنه وسلامه متحقق فى الملكوت

المنسكب فى قلبه بالروح القدس . أما الذى لا يملك فى حياته اختباراً روحياً صادقاً فإن نفسه لابد أن تتعصب وتتحيز لأن هذه هى طبيعة الجسد .

ويلزم أيضاً تربية الناشئة على الحب والبذل وتقديم القيم الدينية الأصلية ورفض المظاهر الطائفية . فالتربية الدينية القائمة على أساس الحق والرحمة والإيمان تتنافى مع التعصب والطائفية . إن تربية الناشئة على ممارسة أعمال الرحمة لجميع المواطنين دون تمييز أو تحيز ، وعلى تنمية روح الإخاء فى قلوبهم نحو جميع الناس لأمر كفيل أن يجعل من كل شخص سامرياً صالحاً متجنباً التعصب الطائفى والفريسى .

ويلزم تشجيع الناشئة على الاندماج مع مواطنين يختلفون معهم فى العقيدة والمذهب على صعيد السياسة والوطنية والخدمات الاجتماعية . نعم ! يلزم تربية أولادنا على الالتزام بالأعمال السياسية والاجتماعية التى تهدف إلى بناء دولة ترتكز على مساواة الجميع أمام القانون واتخاذ المصلحة الوطنية هدفاً ، لا الامتيازات الطائفية .

يلزم أيضا مقاومة الأحكام الدينية على الأنشطة والتصرفات الاجتماعية .. وليس معنى هذا أن يتخلى الأفراد عن قيمهم الروحية فى ثنايا ممارسة الأنشطة الاجتماعية وإنما المقصود هو مقابلة ألوان المعاناة والإحباط وكافة وسائل الظلم والافتراء بالأساليب الاجتماعية والقانونية المرعية فى شجاعة وصراحة ووضوح مع الاستعداد الباطنى لقبول كل ظلم بفرح ودون أنين .

" لأن هذا فضل إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل أحزاناً متألماً بالظلم " (١بط ٢ : ١٩) .

وهنا يلزمنا أن نفرق بين الظلم والاضطهاد الدينى ، فالظلم داء اجتماعى يحدث للأفراد والجماعات لأسباب نفسية أو طبقية أو مصلحية .. أما الاضطهاد الدينى فهو الخطة المعتمدة من الدولة لمقاومة دين أو عقيدة معينة . وهذا أمر غير حادث حالياً لأن الحكومة الآن لا تتبنى مقاومة أية دين ، بل على العكس إنها تشجع الهيئات الدينية على تنمية روح التدين ، ولكن الذى يخيفها هو التكتل والطائفية وإثارة النعرة الحزبية والتعصبية .

والنفس الشفافة التى لديها اختبار روحى سليم وحركة اجتماعية وطنية طليقة تجدها سوية غير ملتوية .. تعرف كيف تنظر إلى الكنيسة كوعاء للإيمان ، وتعرف كيف تنظر إلى الوطن كمجال للإخلاص والحب والبذل الذى يستلزمه الإيمان المسلم فى الكنيسة .. وفى تاريخ كنيستنا أمثلة مجيدة لمقاومة كل حركة طائفية وتعصبية . فليس بعيداً رفض البطريرك القبطى لقنصل القيصرية الروسية لوضع كنيسة مصر تحت حماية قيصر روسيا ، وليس بعيداً أيضا كيف قاوم بطريرك الأقباط والشعب مؤتمر أسيوط الذى عقد سنة ١٩١١ بإيعاز من الاستعمار ، وتزعمه الإقطاعيون الأقباط لأهداف طائفية استغلها الاستعمار لصالحه .

تشجيع المؤمنين وتربيتهم على عدم الانعزال عن المواطنين الآخرين حتى لو اختلفوا عنهم فى بعض أنماط السلوك الخلقى ، لأن الرسول عندما قال اعزلوا الخبيث من وسطكم ولا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين ، إنما قصد عزل المسيحيين الإسميين من وسط الكنيسة حتى تصبح عضوية الكنيسة الروحية واضحة للجميع ، أما الذين هم من خارج فلايدينهم أحد لأن الله وحده هو الذى سيدينهم .

وفى هذا يقول الرسول بولس " كتبت إليكم فى الرسالة أن لا تخالطوا الزناة ، وليس مطلقاً زناة هذا العالم أو الطماعين أو الخاطفين أو عبده الأوثان وإلا فيلزمكم أن تخرجوا من العالم .

وأما الآن فكتبت إليكم إن كان أحد مدعو أخاً زانياً أو طماعاً أو عابد وثن أو شتاماً أو سكيراً أو خاطفاً أن لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا ، لأنه ماذا لى أن أدين الذين من خارج. ألستم أنتم تدينون الذين من داخل .أما الذين من خارج فالله يدينهم .. فاعزلوا الخبيث من بينكم" (اكو ٥ : ٩ ــ ١٢) .

وليعلم كل مسيحى أنه لا فضل له فى نعمة الإيمان وليذكر أن مسيحه قد مات لأجل الجميع ، وأن جميع الناس خلقوا على صورة الله ومثاله ، وأن مسئولية الإيمان أن يعيش المسيحى أسير لطف الله ورحمته ويبذل نفسه لأجل الآخرين دون محاباة ، كما بذل الرب حياته للجميع دون تحيز .

العقلانية

ونقصد بالعقلانية هنا أن يحكم الإنسان على كل الأمور الإيمانية بالعقل وحده ، فهو لا يريد أن يقبل الإيمان إلا بعد أن يفهم ، وهو يستخدم التحليل والنقد وطرق التفكير العلمى فى دراسة الأمور الإيمانية والسلوكية كتلك التى تستخدم فى مناهج البحث العلمى فى المعامل والدراسات العليا .

والحقيقة أن الله خلق العقل لكى يبحث ويحلل ويفكر وينتقد ويتذكر ويتخيل ويبتكر ويخترع ويتسلط على كل الطبيعة والكائنات المادية وذلك حسب أمر الله فى البدء (تك ٢ : ٢٩) ولكن أمور الله لا تعرف بالعقل وإنما تعرف بالروح القدس العامل فى القلب كما يقول بولس الرسول " لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله " (١كو ٢ : ١٠) . ويقول أيضا " ونحن لم نأخذ روح العالم ، بل الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله . التى نتكلم بها أيضا لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية ، بل بما يعلمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات . ولكن الإنسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ، ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحياً ، وأما الروحى فيحكم فى كل شئ وهو ولا يحكم فيه من أحد ، لأنه من عرف فكر الرب فيعلمه ، وأما نحن فلنا فكر المسيح " (١كو ٢ : ١٢ ــ ١٦) .

وهكذا يوضح لنا معلمنا بولس الرسول أن الروحيات تحتاج إلى ذهنية مسيحية ، وهذه الذهنية ليست كذهنية أهل العالم ، وإنما هى بصيرة إلهية باطنية ومن خلال النور الإلهى فى الداخل يستطيع المؤمن أن يتعرف على الحق " بنورك يارب نعاين النور " .

أما فى مجال الخدمة ، فكما فى اختبار الإيمان ، يقول معلمنا بولس الرسول " وأنا لما أتيت إليكم أيها الأخوة أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة منادياً لكم بشهادة الله . لأنى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً .. وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع ، بل ببرهان الروح والقوة . لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس ، بل بقوة الله . لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء

هذا الدهر الذين يبطلون ، بل نتكلم بحكمة الله في سر .. الحكمة المكتومة التي سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا " (١كو ٢ : ١ ــ ٧) .

والقديس أوغسطينوس المفكر المسيحى يحل لنا مشكلة العقل والإيمان فيقول أؤمن أولا ثم أتعقل .. فالإيمان عند أوغسطينوس هو المدخل الوحيد إلى تعقل الأمور الروحية ، كما أن الاستنارة وعمل النعمة وفعل الروح القدوس هو الوسيلة الوحيدة للتعرف على الإيمان المسيحى السليم .

مظاهر العقلانية

إن جماعة العقلانيين يؤلهون العقل ويزهون بذكائهم ويرفضون المسلمات الإيمانية التى يحفظها البسطاء بقلوبهم دون جدال .

وهم يدرسون الكتاب المقدس من خلال الجدل ، والاستدلال والنقد وهناك أمور يقبلونها وهناك أمور أخرى يرفضونها علناً أو باطنياً وأكثر ما يعثر العقلانيون هو الصليب ، فالصليب عثرة للذين يطلبون حكمة وآية .. وبالحقيقة أنه ما من حكمة أرضية تقبل أن الله ينزل من السماء ويتجسد ويصلب ويموت .. إن العقلانيين يرفضون فى أعماقهم المعجزة ، ذلك لأنها فوق العقل ، ويكاد يكون مسيح الجليل عندهم مجرد شخصية قوية ونبياً مقتدراً وحكيما ممتازاً .

أمثال هؤلاء العقلانيين كثيرو النقد وخاصة للمتدينين ، سواء على المستوى الفريسى ، أو على مستوى التكريس الكامل .

إنهم يرفضون كل من ليس على شاكلتهم .. إنهم يرفضون مغامرة الإيمان ويعتبرون كل تكريس وتضحية وبذل حقيقى للرب إنما هو مبالغة وتطرف لا داعى له ، وكثيراً ما يفسرون هذه الاتجاهات على أنها أمراض نفسية .. ومع كل هذا تجد أن المتدينين العقلانيين يواظبون على حضور الشعائر الدينية ويشتركون فى الندوات والمحاضرات الدينية ، ويسرون عند اشتراكهم فى تخطيط برامج الكنيسة وأنشطتها .

وأكثر المصابين بالعقلانية هم أصحاب المواهب الفكرية النادرة الذين لم يحنوا رقبتهم للمصلوب ، ولم يخضعوا فكرهم لصليب ربنا يسوع المسيح .

على أنه ليس معنى رفض العقلانية فى التدين المسيحى أن هذا تشجيع للجهالة وعدم الدراسة ، فالرسول بولس طلب من تلميذه تيموثاوس " إلى أن أجيء أعكف على القراءة والوعظ والتعليم " (اتى ٤ : ١٣) ، والقديس بولس نفسه كان حريصاً على أن يطالع ويدرس ، وكانت الرقوق دائماً مرافقة له فى أسفاره ورحلاته .

إنما المطلوب من المسيحى أن يكون بسيطاً وخاصة فى نظرته للأمور الروحية ، وكلمة البساطة تعنى الواحدية .. أى أن ينظر إلى الإيمان بعين واحدة ، هى عين المسيح التى فيه " أما نحن فلنا فكر المسيح " ، ولا يدع عيناً أخرى تدخل مجال إيمانه لئلا تفقده بساطة الروح وتدخله فى تعقيدات لا نجاة منها .

وهذه البساطة تنمو من خلال روح الطاعة للوصية وقبولها بقلب منفتح وضمير صادق ونفس متضعة منكسرة .

وقد يسأل سائل وهل جماعة المفكرين يصعب عليهم أن يكونوا بسطاء فى حياتهم الروحية الإيمانية ؟

الإجابة كلا .. فإن تاريخ الكنيسة يوضح أن هناك كثيرين كانوا على مستوى عال من العلم والفلسفة ومع ذلك كانوا رجال إيمان بسيط ، بل إن بولس الرسول نفسه أفضل نموذج على ذلك .. فقد كان فريسياً ناموسياً تلميذاً لغمالائيل ، عنده حكمة البشر ، ولكن ما كان له ربحاً حسبه نفايه لفضل معرفة ربنا يسوع المسيح . وحسب كل هذا نفاية لكى يوجد فيه ويكون له البر الذى بالإيمان وليس بر الناموس والحكمة والأخلاق البشرية .

فالمسيحى الحقيقى لا يستخدم الإيمان فى الأبحاث العلمية لأن هذه أمور قيصر تخضع لمناهج البحث العلمى .. ولا يستخدم هذه المناهج فى أمور الإيمان لأن هذه أمور الله ولها مستوى آخر يفوق كل عقل ويعلو على كل إدراك ، كما تعلو السماوات على الأرض .

إننا إذا أفرغنا الحياة الروحية من الاختبار الشخصى استحالت إلى موجودات كمجرد دراسات لاهوتية أو أبحاث كتابية أو مناقشات بيزنطية .. أنها تكون كالجسد بلا روح ، وكتمثال دقيق لا حركة فيه ولا حياة .

وما أكثر الدراسات ذات الطابع العقلانى ، وخاصة فى علم اللاهوت .. ففى ألمانيا مثلا هناك أقسام فى الجامعات لدراسة علم اللاهوت النقدى وعلم اللاهوت التحليلى !!

وما الوسيلة لنتخلص من اتجاه العقلانية فى الدين ؟

أن يحرص كل مؤمن على اختبار حياة الإيمان قبل أن يقرأ كثيراً أو يكتب ويتكلم عن حياة الإيمان . فالمسيحية إنجيل معاش وليست مفاهيما وأيديولوجيات .

أن يحرص كل مؤمن على أن يقرأ الكتاب المقدس بروح الطاعة والخضوع ، وليس بروح النقد والبحث والتحليل . وليثق أن الله يكلمه شخصياً من خلال الإنجيل حتى يفتح قلبه ويخضع مشيئته لكل توجيه .

أن يحرص كل مؤمن على أن يقرأ الكتاب المقدس والكتب الروحية لحياته الشخصية والتعمق الداخلى .. قبل أن يكون مادة للمباحثات والمجادلات والدراسات والعظات .

أن يحرص كل مؤمن على أن تكون خبرته الروحية مستمدة من واقع شركته مع الله وليست مجرد قراءات فى الكتب الروحية المنتشرة الآن .

وعندما يسمع عظة ، عليه ألا يجلس مفكراً فى العناصر والأفكار والأسلوب ، بل يجلس منصتاً إنصاتاً داخليا للانتفاع بها ، فالقديس أنطونيوس سمع صوت الله مرة واستجاب له من كل قلبه فصار كوكب البرية وأب الرهبان .

وإن كانت هناك دراسات وأبحاث فهى للبناء والنمو فى الاختبار وللإجابة عن سبب الرجاء الذى فينا . بهذا يلزم أن تكون هناك بداية سليمة وهى الموت عن الذات والقيامة مع المسيح لحياة جديدة ، ثم بعد ذلك تكون الأبحاث والدراسات لتعميق المفاهيم واتساع الرؤيا وإيضاح الأبعاد المترامية للطريق .

لهذا يلزم ألا يدخل الكلية الأكليريكية ومعاهد اللاهوت إلا من بدأ حياة روحانية حقيقية.

التواكلية

هذا نوع مريض من أنواع التدين .. أولئك الذين يظنون أن الديانة هى حيـاة الكسـل والجهالة والسلبية واللامبالاة .

فإذا كان النوع السابق من الانحراف (العقلانية) قد يصيب جماعة من القادة المفكرين فإن هذا النوع يصيب جماعة العامة غير الطموحين . يقـول داود "قبـل أن أتواضـع أنـا تكاسلت" . لهذا فإن التكاسل يصيب النوع الذى يحيا فى الأوديـة والمتواضعـات ، بينمـا العقلانية كثيراً ما تصيب الذين يعيشون فى الربى والمرتفعات .

وهذا النوع من الناس لا يحبون العمل ، ولكنهم كثيراً ما يفكـرون فـى أن تعولـهم الكنائس أو الأديرة ، ويظنون أن هذا واجب على هذه المؤسسات طالمـا هـم يحضـرون الاجتماعات الدينية .

وهم لا يحبون التقدم والمزيد فى الدراسة أو التعمق الروحـى والعلمـى ظـانين أن البساطة هى الجهالة ، وأن الله لا يريد منهم الكثير سوى أن يؤمنـوا بـالمصلوب ، وهـذا يكفى!! .

وهم لا ينجزون أية أعمال توكل إليهم ، وعندما تسألهم أو تطالبهم عما فى أيديهم مـن مسئوليات يقولون لك " خليها على ربنا " دون أن يدروا أن الاتكال على يد القدير ليس هـو التواكل والسلبية واللامبالاة .

وكثيراً ما ينبغ هؤلاء فى نقد العاملين والنشيطين فى الخدمة ، ويسقطون عليهم عقدهم النفسية ، ويتهمونهم أنهم محبون للظهور والمجد الباطل إلى أن يكفوا عن العمل ويتكاسـلوا مثلهم .

إنهم كثيراً ما يكونوا ثرثارين أو نمامين أو أتباعاً لبعض القادة الذين يفرحون بكـثرة الأتباع وتكوين الشلل فى الجو الدينى .

أمثال هؤلاء عاشوا فى عصر كنيسة الرسل ، وكتب إليهم الرسول بولس يقول : "ثـم نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التعليم الذى أخذه منا إذ أنتم تعرفون كيف يجب أن يتمثل بنا لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم .

ولا أكلنا خبزاً مجانا من أحد ، بل كنا نشتغل بتعب وكد ليلاً ونهاراً لكى لا نثقل على أحد منكم . ليس أن لا سلطان لنا بل لكى نعطيكم أنفسنا قدوة حتى تتمثلوا بنا . فإننا أيضا حين كنا عندكم أوصيناكم بهذا انه أن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضا . لأننا نسمع ان قوما يسلكون بينكم بلا ترتيب لايشتغلون شيئاً بل هم فضوليون . فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيح أن يشتغلوا بهدوء ويأكلوا خبز أنفسهم " (٢ تس ٣ : ٦ ــ ١٢) .

وعلاجا لهذا الانحراف لابد أن

تحرص القيادات الدينية على تحديد مسئوليات وأعمال كل عضو فى الكنيسة حتى لا توجد هذه العناصر الفضولية .

تصلح الأماكن التى يكثر فيها أمثال هؤلاء النفعيون ، ومنها الأديرة والملاجئ والمؤسسات الدينية ، وأن يكون هناك الحرص الواضح على تنفيذ قوانين هذه الهيئات والتدقيق الشديد فى الانضمام إليها ، وأن يكون قادة هذه المنظمات أمثلة حية فى النشاط الداخلى والخارجى .

تُراجع مناهج التربية الدينية لتوضيح المعنى الصحيح للاتكال على ذراع الرب ، والمفهوم الصحيح للإيمان والتسليم الحقيقى للإرادة الإلهية والطريق السوى لفضيلة الاتضاع وخلوها من الضعة والكسل والفضولية وكافة الأمراض التى تعطل النمو الروحى .

النفعية

وهذا انحراف آخر خطير .. هو أن أجعل الدين لخدمتى ومصالحى بدلا من أن أكون أنا ذبيحة وضحية وبذلا وفدية .

ومنشأ هذا الانحراف هو التربية الدينية الخاطئة .. فالوالدان يشجعان الطفل على الصلاة لمجرد أن يساعده الله فى حياته ، وينجحه فى امتحاناته ويحفظ له صحته .. ثم تأتى مدارس التربية الكنيسة وتنمى هذا الاتجاه عندما تقرن حضوره للكنيسة بالجوائز القيمة والهدايا . وكل نشاط يؤديه لابد أن يكافئ عنه ماديا أو معنويا .. وهكذا يرتبط الدين عند الطفل بالنفعية .

وينمو هذا الاتجاه نمواً خطيراً عندما يكبر الفتى ويصبح مسئولاً فى الكنيسة .. وإذ به نفعى وأحتكارى فى اتجاهاته . فهو يسعى إلى أن يستفيد مادياً أو معنويا من كل ما يمارسه فى الكنيسة .

بل وكثيراً ما يصل به الاستبداد والاحتكارية إلى مطاردة كل من يراه منافساً له فى مجاله . فالكاهن الاحتكارى يرفض رسامة كاهن جديد معه فى كنيسته . والواعظ النفعى يجرى وراء العظات التى يأخذ منها أجراً ويهرب من الخدمات المجانية .

والخادم المتمركز فى ذاته يدعى العصمة فى تعليمه ، أو خدمته أو سيرته .. هذا نوع من الصنمية وإن غُلف بأغلفة دينية . والمرتل النفعى هو الذى يحتكر حفظه للألحان الكنسية ويسلمها لمن يدفع أكثر أو لمن يحتل مركزاً أعظم ، دون أن ينظر إلى من سيفيد الكنيسة أكثر .

والحقيقة أن الطفل بطبيعته الغريزية نفعى فهو يقبل على الأجواء الدينية وخاصة مدارس التربية الكنسية لما فيها من أنشطة وجو يُشبع بعض حاجاته .. فهو يَقبل على الأنشطة الاجتماعية مثل الرحلات والحفلات والأفلام والمسابقات إلى غير ذلك ليثبت وجوده وينمى علاقاته ..

إلى هذا الحد ليس هناك خطر شديد ولكن الخطر كل الخطر أن يتثبت الشخص عند هذه المرحلة .. وينمو فى كل شيء فيما عدا الحياة الروحية التى تظل عاجزة بسبب اتجاه النفعية ، فيحب الله عندما تقبل عليه الدنيا ويكره الدين ويسخط على التدين عندما تحل التجارب .

لذلك يلزمنا أن نربى الأطفال منذ نعومة أظافرهم على روح البذل والعطاء ، ومهما قدمنا من هدايا وجوائز فيلزم أن يكون هذا مصبوغاً بالتوجيه الروحى الصحيح .

وهو ان يسوع أعطانا افضل من كل هذا أعطانا شخصه ، أعطانا جسده ودمه . أعطانا الفداء على الصليب . ومن ثم يلزم للأحياء أن يعيشوا فيما بعد لا لأنفسهم ، بل للذى مات لأجلهم وقام .

والأمور التى تقاوم النفعية والاحتكارية فى التدين هى :

١ ـ وجود مثل عليا باذلة ، وذبائح حية مباركة تقدم كل شئ للخدمة دون نظر إلى أية مكافأة .. هذه تكون نماذج سلوكية لكل من يريد أن يحيا الحياة المسيحية .

٢ ـ مراجعة برامج التربية الدينية ، وخاصة فى مرحلة الطفولة المبكرة ، وجعلها برامج تهدف إلى البذل والحب لا إلى الأخذ والاكتساب سواء كان هذا الاكتساب مادياً (جوائز وهدايا) أو معنوياً (تكوين أنماط خلقية من خلال ممارسات ذاتية) وضرورة التصرف بحكمة فى الحوافز المادية التى تعطى لتشجيع الحضور للكنيسة .. وإعطاء هذه الجوائز كتشجيعات على مزيد من التقدم الروحى والسلوكى الشخصى .

٣ ـ عدم إعطاء فرص لأحد من المتفرغين أو المسئولين فى الخدمات الدينية أن ينفرد فى قيادة العمل ، والحرص الدائم على إيجاد الروح الجماعية فى قيادة خدمات الكنيسة حتى لا تكون الانفرادية فرصة للنفعية والاحتكارية فيما بعد .

٤ ـ مراجعة التنظيم المالى فى الكنيسة وخاصة فيما يتعلق بمرتبات الكهنة والوعاظ ، وإيجاد حلول للمشكلات المالية القائمة ، وذلك كى يتفرغ العاملون للعمل الروحى وحتى لا يصبح الدين احترافاً . وقد رفض الله الاحتراف فى الدين .

موسوعة حياة ومؤلفات

نيافة الحبر الجليل مثلث الرحمات

الأنبـــا بيمـــــن

أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين

المجلــــــد الأول : حياة الأنبا بيمن (من التعب إلى المجد)

المجلــــد الثـــانى : الأصوام والأعياد (الجزء الأول)

١ـ الصوم الكبير .
٢ـ صوماً روحانياً .
٣ـ التجسد الإلهى .
٤ـ مجد وسلام ومسرة .
٥- ذهباً ولباناً ومراً .
٦ـ الميلاد الثانى .
٧ـ القيامة ومشكلات الشباب .
٨- القيامة وحياتنا الروحية .
٩- عيد الصعود الإلهى .
١٠ ـ السماء الثانية .

المجلـــد الثـــالث : **الأصوام والأعياد (الجزء الثانى)**

١ـ دراسات وتأملات فى الأصوام والأعياد .
٢ـ الأنبا بيشوى .
٣ـ مقتطفات من الأعياد .

المجلـــد الرابـــع : **دراسات وتأملات فى الكتاب المقدس**

١ـ الوصايا العشر .
٢ـ صوت الرب .
٣ـ تأملات فى إنجيل يوحنا .
٤ـ تأملات فى سفر أعمال الرسل .
٥- تأملات فى تيموثاوس + كولوسى .
٦- تأملات فى يعقوب + بطرس الأولى .
٧- تأملات فى ألقاب المسيح ووظائفه .
٨- تأملات فى شخصيات من الكتاب المقدس .

المجلـــد الخـــامس : **الخدمة**

١ـ الخدمة فى القرية .
٢ـ خدمة الشباب .
٣ـ الشعور الدينى فى الطفولة والمراهقة .
٤ـ مستويات تدريس الأعياد .

المجلد السادس : الشباب والأسرة

١ـ قضايا شبابية واجتماعية .
٢ـ الرؤية المسيحية للعمل .
٣ـ المسيحية وبناء الشخصية .
٤ـ الإرادة فى حياة الشباب .
٥- المسيحى وروح العصر .
٦ـ الأسرة المسيحية .
٧- الطفولة من منظار مسيحى .
٨- الحياة العائلية .
٩ـ الحياة الاجتماعية .

المجلد السابع : التدين السليم

١ـ التدين السليم .
٢ـ العبادة المقبولة .
٣ـ مسيح الكون كله .
٤ـ الجهاد الروحى .
٥- الحياة الباطنية .
٦ـ الفضائل .

المجلد الثامن : التربية المسيحية

المجلد التاسع : حياة العفاف

١ـ العفاف المسيحى .
٢ـ سر الحب .
٣ـ المسيحية والجسد .
٤ـ الجنس مقدساً .

المجلد العاشر : وسائط النعمة وموضوعات روحية أخرى

١ـ أعظمهن المحبة .
٢ـ كيف أمارس سر الاعتراف ـ والمرشد إلى الاعتراف .
٣ـ كيف أبدأ .
٤ـ الروحانية الأرثوذكسية .
٥- الناموس والنعمة .
٦ـ علامات الكنيسة .
٧- نريد أن نرى يسوع .
٨- يمين الرب .
٩ـ الغيرة المقدسة .
١٠ـ ولم يحبوا حياتهم .
١١ـ إرادة الله وحياتنا .
١٢ـ ظاهرة الهجرة .
١٣ ـ الاكتشاف الثالث .
١٤ـ أين أنت .
١٥ ـ المسيحية إلتهاب .

المجلد الحادى عشر : المناهج للمرحلة الإعدادية السنة الأولى .

المجلد الثانى عشر : المناهج للمرحلة الإعدادية السنة الثانية .

المجلد الثالث عشر : المناهج للمرحلة الإعدادية السنة الثالثة .